

ج ۱ ص ۴۷۸

ومنهم شيخنا العلامة الدراك الفهامة محقق العلوم على اختلاف أنواعها ومقيد شورادها في بطئها وإسراعها، ومداوي أدواء القلوب مع تباين طباعها، ومؤهل إضلال المعارف بعد إقواء رباعها، ناذرة الأعصار، وعلم الشكل في سائر الأمصار، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار الأنظار الدقيقة، بدهن ذهنه يستصبح في حوالك ليالي المعقولات، وعمار نور علمه يهتدى في هواجر نهار النقولات، قد نهج لأهل الإرادة طرقا كانت قبله رمسة، فاقتدى من أغرم نفسه

---

(1) زبيد: بلد باليمن معروف: معجم ما استعجم 2: 694.

(2) مختصر خليل، ص: 57.

(3) نص الحديث الشريف كما ورد في المعجم الأوسط (5: 97): حدثنا عبد الرحمن بن زياد أبو مسعود الكنانى الأبلى قال حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعى الصفار قال حدثنا حسين بن علي الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن افضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم علي معروضة. قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقولون قد بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

في يومه ما استهلكت أمسه، فأظهر نوعاً من المعارف لا يدرك أهل زمانه جنسه، فصار ملة وحده، وطريقة ملته مترهة عن كل خسة، فهو إمام الأئمة وحبر الملة، (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)<sup>(1)</sup>، فقيه الصوفية وصوفي الفقهاء، وعالم الصلحاء وصالح العلماء، وارث علوم الختم، الصفي ووارد مورد الأنس الصفي، سيدنا وشيخنا وقدوتنا وإمامنا الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم الشهري زاده الله من نوره القدسي على نوره النفسي، ومن علمه الوهبي على علمه الكسبي، أناله الله من كل مكربة أعلاها، وأذاقه من كل شربة قدسية أحلاها، نشأ، رضي الله عنه، على ما أخبرني، في بلاده من شهران من جبال الكرد في عفة وصيانة وديانة، وأخذ في طلب العلم في بلده على مشايخ قطره، فقرأ العربية ومهر في المحتاج إليه منها، وأول ما يقرؤون في العربية عندهم العوامل<sup>(2)</sup> للجرجاني، ثم كافية ابن الحاجب<sup>(3)</sup>، وهي العمدة عندهم، وقد ألف شيخنا هذا تأليفاً حسناً في العربية على نمط العوامل المذكورة، استندرك عليه عوامل كثيرة تركها، وقرأ أيضاً فنون المعقولات من كلام ومنطق وفلسفة بأنواعها من هندسة وهيئة وغيرهما، وقد أخبرني حين قراءتي كتاب الهداية الأثرية<sup>(4)</sup> في الحكمة عليه أنه كان في أول قراءته لها عرضت مسألة هندسية فلم يتجاوزها حتى قرأ علم الهندسة وأتقنه، ثم عرضت مسألة من الهيئة فاشتغل بعلم الهيئة حتى عرفه، ولم يزل كذلك لا تعرض مسألة تتعلق بعلم من العلوم إلا وقرأ ذلك العلم حتى يحيط علماً بمقاصد الكتب، ولم يختمه حتى حققه وحقق معه عدة علوم، وكذلك كان شأنه في كل العلوم لا يرضى لنفسه الاقتصار منها على أدنى، وقرأ المعاني والبيان وأصول الفقه وفقه الشافعية، كل ذلك في بلاده، وقرأ لتفسير أيضاً في بلاده على علماء قطره، وأكثر استفادته على شيخه الملا محمد شريف، وسيأتي ذكره.

ولم يترك علماً من العلوم إلا أخذ منه نصيباً في بلاده إلا علمي الحديث والتصوف، أما علم الحديث فقال لي رضي الله عنه: ما كنت أظن أنه بقي على

(1) البقرة: 130.

(2) العوامل في النحو لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي المتوفى سنة 377 هـ: كشف الظنون 2: 1179.

(3) الكافية في النحو للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، المالكي النحوي المتوفى سنة 646 هـ: كشف الظنون 2: 1369.

(4) الهداية إلى علوم الدراية: منظومة للشيخ الإمام محمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة 833 هـ: كشف الظنون 2: 2028.

وجه الأرض أحد يقول حدثنا وأخبرنا حتى وصلت إلى بلاد العرب بالشام ومصر والحجاز. وأما التصوف فكذلك أيضاً ما كنت أظن أن ليس أحد يتداوله بالقراءة والتصنيف والمنازلة بالفعل إلا ما في بطون الدفاتر أو ما عند المنقطعين في رؤوس الجبال. ولقد أخبرني صاحبنا السيد محمد بن رسول<sup>(1)</sup>، وكان بلديه وعليه جل انتفاعه لأنه أصغر منه سناً أن شيخنا الملا محمد شريف كان يقول: بلغ من قوة حافظة الملا إبراهيم أنه لو ملح مسألة في أي ما<sup>(2)</sup> كتب وغاب عنه سبع سنين ثم سئل عنها لقال: هي في كتاب كذا في صفحة كذا في سطر كذا، وهذا لعمري إدراك ألمعي وذكاء إياسي، وكفى بشهادة هذا الشيخ له فإنه أدرى به من كل أحد لأن الشيخ والد معنوي، والوالد أدرى بأخلاق ولده. ولما استكمل أنواع الكمالات الإنسانية التي أمكنه اكتسابها في بلده خرج من بلاده، بعد ما مات والده وتزوج وولد له، قاصدا لأداء فريضة الحج وسنة الزيارة، ثم يعود إلى بلده، وكانت طريقهم على بغداد؛ فإن بلادهم في ناحية الشمال من بغداد. ولما وصل إلى بغداد أقام فيها أياما ثم خرج مع قافلة قاصدا مكة، وكان معه أخوه عبد الرحمن، وهو أصغر منه، وبعد انفصالهم عن بغداد بأيام مرض أخوه مرضاً منعه من المشي وعزم على الرجوع إلى بغداد. قال: فلما رأيت عجزه وعزمه على الرجوع لم تطب نفسي بتركه وفراقه، مع ضعفه ومرضه، فرجعت معه إلى بغداد ولم يمكنهما الحج في تلك السنة، فبقي في بغداد وطالت إقامته به، أظن نحو العامين فيما أخبرني. وطلب منه أهل بغداد التدريس، قال: وكنت لا أحسن اللسان العربي إلا ما أقرأ في الكتب، فشق ذلك علي فعانيته أياماً، فسهل الله ذلك علي حتى لا أبالي أقرأت بالفارسية أم بالعربية. قال: وكان هنالك طلبة من الأتراك فطلبوا مني أن أقرئهم بالتركية في كتبهم التي هي بلغتهم، وكنت لا أحسن شيئاً منها، فتعلمتها في مدة قليلة فصرت أقرأ بالعربية والفارسية والتركية، وما كان شيء أحب إلي من اللغة العربية حتى أني كنت أطلب الله تعالى كثيراً وأقول: أمنيبي من الدنيا أن يرزقني الله ولداً ذكراً أعلمه التكلم بالعربية، وذلك لغلبة العجمة في بلادهم. ولم يزل في بغداد على أحسن حال إلى أن من الله عليه بمحبة كتب القوم والمطالعة فيها في مجاورة الشيخ قطب الزمان مولاي عبد القادر الجيلي. قال: فبينما

(1) السيد محمد بن السيد رسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي، تفقه على يد الشيخ إبراهيم الكوراني: تحفة الأخلاء، ص: 123.

(2) زيادة من ط.



أنا ذات ليلة وقد فكَّرتُ في أمري وخلوي مما عليه أهل الحق، فصغرت لدي نفسي وعلمت أن ذاك لا ينال إلا على يد شيخ، فسألت الله تعالى عند قبر الشيخ أن يلهمني ما فيه صلاح نفسي وأن يوجهني إلى حيث يعلم لي الخير ويجمعني بشيخ أسلك طريق الحق على يديه، قال: بينما أنا قائم في أثناء ذلك رأيت الشيخ عبد القادر، رضي الله عنه، في النوم وهو يشير إلى ناحية المغرب، فاستيقظت وعرفت أنني أقصد جهة المغرب ولا أنتهي حتى ألقى من يدلني على الله، أو أجول أقصى العمران من ناحية المغرب، فتجهزت للرحيل من بغداد وقصدت الشام لأنها في مغرب بغداد، فلما وصل إلى الشام أقام بها على الحال التي كان عليها في بغداد من التدريس ولقاء الناس بدمشق. قال: وكنت مغرماً بكلام الشيخ محي الدين وزيارته ومطالعة رسائله، وحصلت لي مبادئ الفتح في فهم بعض كلام القوم.

قلت: وذلك الشأن ببركة الشيخ محي الدين فقد قال السيد عبد الوهاب الشعراني فيما رأيته في بعض تأليفه نقلاً عن غيره من المشايخ مقررًا لما نقل ومصدقاً له أن من خاصية كلام الشيخ محي الدين أن المتأثر على مطالعته يرزق الفهم في كلام القوم وحل مشكلاته، ومصدق ذلك في شيخنا هذا فإنه من أشد الناس كلفاً بمطالعة كتبه الكبيرة والصغيرة، وقد أعطي من الفهم في كلام القوم وحل مشكلاته والإحاطة باصطلاحات الصوفية وفهم إشاراتهم، وكشف أسرارهم وتمييز أذواقهم ما لم يعطه أحد ممن رأيت<sup>(1)</sup> في مشارق الأرض ومغاربها. ومن بركة مطالعة كلام الشيخ محي الدين اتصل بغوث الزمان ورئيس أهل العرفان، شيخنا الختم صفى الدين القشاشي إذ كان كلام الشيخ محي الدين هو السبب في ذلك، وذلك على ما أخبرني أنه وقع كلام بينه وبين بعض أصحابه أيام إقامته بدمشق في حل إشكال وقع في بعض كلام الشيخ في الفتوحات<sup>(2)</sup>، فدار الكلام بينهما في ذلك، وبعد ذلك قال له صاحبه: إني رأيت في هذه المسألة كلاماً لبعض علماء العصر من أهل المدينة المشرفة، يعني شيخنا القشاشي، وكان كتب في تلك المسألة شيئاً فأناؤه بكلامه، فلما رآه وطالعه استحسنته. قال لي: فقلت له: يبعد أن يكون في هذا الوقت من يتكلم بهذا الكلام لعله منتحل من كلام بعض من تقدم. فلما قلت له ذلك أتاني برسالة الشيخ المسماة بـ: ضوء الهالة في ذكر هو

(1) في ط: رأينا.

(2) الفتوحات المكية للشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي.

والجلالة. فلما طالعناها ورأيت فيها ما بهر عقلي مما منح الشيخ من العلوم اللدنية والمواهب القدسية والكشوفات الغيبية، فرجعت على نفسي باللوم فقلت لها: لم يبق بعد هذا إن لم تصدقي بمقام الرجل إلا محض الخذلان الناشئ عن إساءة الظن بعلماء المسلمين ونسبة الكذب إلى ذي شبهة في الإسلام ملحوظ عند أهله بعين الإجلال والإكرام، فوقعت في قلبي محبته واعتقدت تعظيمه وإجلاله.

قلت: وقد رأيت هذه الرسالة وهي في كراسة مضمونها أن الشيخ، رضي الله عنه، طاب وقته ليلة من الليالي لورود بعض العارفين لزيارته فأخذ يذكر بذكر هو الله على كيفية بينها في الرسالة، وذلك فيما بين المغرب والعشاء، فاستغرق في الذكر إلى أن حصلت له غيبة مقدار ربع ساعة أو نحو ذلك، فكشف له في تلك الغيبة من أسرار الملك والملكوت ومعاني الأسماء والصفات، ومنح من العلوم الوهية ما بهر العقول سماعه، فذكر، رضي الله عنه، في تلك الرسالة أنواع العلوم التي وهبها في تلك الغيبة والكشوفات التي حصلت والإسراءات الروحانية التي منحها في تلك المدة القليلة، وذلك شيء يستغرب وقوعه في هذه الأعصار من لم يؤيده الله بمدد التصديق بأهل ولايته، قال شيخنا الملا إبراهيم: وبعد رؤية هذه الرسالة لم يبق عندي شك في أن صاحبها هو الفرد في وقته وأنه طلبني التي كنت أطلبها وإليه إشارة الشيخ عبد القادر؛ إذ نحو إشارته وجدت أخباره واتضح أمره، ولا يلزم من صدق رؤيائي أن تكون إشارته إلى محل وجوده، بل ولو إلى محل وجود خبره. ثم أخذت في مكاتبة الشيخ، رضي الله عنه، من دمشق إلى المدينة فتأتيني كنبه بما يزيد وثوقا ويقينا بأنه البغية.

وأقمت بدمشق قريبا من أربع سنين على هذا الحال إلى أن أتاني كتابه يأمرني بالقدوم إليه، فتجهزت للرحيل من دمشق وخرجت منها قاصدا مصر فمررت بالقدس والخليل وزرت<sup>(1)</sup>، فذهبت إلى مصر ولم أتفرغ للقاء المشايخ بمصر لشغل القلب أنا به متهم من القدوم على الشيخ ولم ألق من مشايخ مصر المشهورين إلا الشيخ شهاب الدين الخفاجي وإلا الشيخ سلطان، أما الشيخ شهاب الدين فبسبب اجتماعي به أني كنت إذ ذاك آخذا في تأليف كتاب: إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله، فأشككت علي مسألة، ووجدت النقل فيها عن كتاب سيويه، وتوهمت أن فيه تحريفاً، فأردت تصحيح النقل من نفس الكتاب فسألته

(1) في ط: وزرت.

عنه بمصر فقيل لي: لا يُوجد إلا عند الشيخ شهاب الدين، فذهبت إليه ورَحَّب بي وأخرج لي الكتاب، ووجدت النقل منه على نحو ما توهمت، فصححت النقل منه وفرحت بذلك غاية، وكانت تلك طلبتي ولم تكن همتي الرواية، وكنت أقول في نفسي: إني متوجه في طلب هذا الأمر الذي أنا بصده وأنا عازم على ركوب البحر إلى مكة، فرمما غرقت فيه فلا يبقى مني من يقول حدثنا ولا أخبرنا، فأكون قد ضيعت وقتي بشيء لا أدري هل يحصل المقصود منه وشئت إرادتي بما ليس من شكلها، فأعرضت عن طلب الرواية وما هو من شكلها من ملاقة علماء الرسوم، ولم أتفرغ إلا للزيارة وقضاء ما لابد من الأوطار.

وأما الشيخ سلطان فإن بعض أصحابي الذين كنت آلفهم وبألفوني كان من أصحابه ولم يزل يقول لي: يقبح عقلك أن يدخل القاهرة ولم يلق أحدا من علمائها ولم يأخذ عن أحد من مشايخها، ولهم علو سند وقدم راسخ في الرواية والدراية، ولم يزل هذا شأن العلماء وأهل الفضل إذا قدموا بلدا أخذوا عَمَّنْ بها من كبار المشايخ، وكنت أتعلل له بما تقدم فيقول: هذا مقصد محمود من المقاصد الدينية لا ينافي ما أنت بصده إذا أخلصت فيه النية، فلم يزل بي حتى ذهبت معه إلى الشيخ سلطان، فسمعت عليه بعض أحاديث الصحيحين وبعض المنهاج<sup>(1)</sup> في فقه الشافعية، وأجازني وكتب لي بخطه الإذن في الفتوى والتدريس والرواية عنه.

قلت: وقد رأيت الإجازة التي كتب له الشيخ بخطه عنده، وكأني مع شيخنا الملا إبراهيم في لقاء المشايخ بمصر على طرفي نقيض، وذلك أني دخلت القاهرة قبله وبعده، فأخذت عن غالب من أدركت بها ممن هو أهل لذلك إلا الشيخ سلطان، فدخلها هو مرة واحدة فلم يأخذ عن أحد بها إلا عنه، وما منعي أنا من الأخذ عنه، رضي الله عنه، إلا الحدة التي جبل عليها والشكاسة التي في أخلاقه والشراسة التي قل أن توجد بدین فضلا عن صديق، ولكن الله بلطف صنعه وخفي حكمته قادر على أن يجمع له بين تلك الأخلاق والمباركة التي هي أمر من الصبر وأحد من رؤوس الإبر، وبين الصدق مع الله في موارده ومصادره، كما يدل على ذلك جده واجتهاده في عباداته وتقشفه في هيئته وتعففه في مكسبه، وإعراضه عن الرياسة الدنيوية، وما كان السبب لأخذ شيخنا الملا إبراهيم عنه إلا تسخير الله وسبقية

---

(1) منهاج الدين: كتاب في شعب الإيمان، وهو الشيخ الإمام أبو عبد الله حسين بن الحسن الحلبي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة 403 هـ: كشف الظنون 2: 1871.

الكتاب بذلك، ولعل المتوسط له في ذلك كان شديد المداخلة معه، فتحين في ذلك وقت انبساطه وما أندره حتى أمكنه ذلك، وسيأتي إن شاء الله في ذكر رجوعي إلى القاهرة بعد الحجى من القدس ما وقع بيني وبين الشيخ سلطان عندما رمت الأخذ عنه والله يغفر لي وله وينفعنا ببركاته آمين.

وممن لقيته الشيخ إبراهيم، من مشايخ الطريق بمصر، من دون أخذ عنه، [و] (1) الشيخ محمد الخلوتي (2) القاطن بجامع المارديني من مصر، وكنت قد اجتمعت به في إحدى خطراتي بمصر، وزرته مرتين أو ثلاثاً في محله من الجامع المذكور وقال لي: إن طريقتنا نحن محمدية لا تنسب لأحد، وكان، رضي الله عنه، من الموسومين بالصلاح في تلك الديار. وطريق الخلوتية مشهورة عند أهل مصر وغيرهم، فلما اجتمعت بالمالا إبراهيم وذكرت له ما سمعته منه قال لي: وأنا قد سمعت ذلك منه وأثنى عليه ثناء حسناً، وذكر لي أنه كان جالساً عنده فجرى في خلده يا ترى، وهل بقي أحد اليوم في هذه الديار ممن له التصرف في المقامات والأحوال وما يشبه هذا، قال: فلما جرى ذلك في قلبي قال لي بسرعة: قد بقي في هذه الديار من له التصرف والنفع والدفع، أو كلاماً قريباً من هذا. قال: فقلت في نفسي: إن كانوا موجودين فأين هم؟ فإننا لم نَرَ منهم أحداً. فذكر كلاماً يدل على أنه منهم صريحاً، فشمت من نفسي رائحة الإنكار لذلك، فرجعت عليها باللوم والتوبيخ وقلت لها: ما أبعدك من الظفر بالخير، أي شيء يفيد فيك وأي حيلة تعمل معك؟ قلت هل بقي منهم أحد؟ فقال لك: بقي. وقلت: أين هو؟ فينبه لك، فأنتفت. ولو يَبِّ غيره لما قبلت أيضاً هذا، والله الجحود البين، فتبت إلى الله من الإنكار عليه واعتقدته.

قلت: وهكذا ينبغي لمن ألهم رشده وسعى في إصلاح قلبه أن يكون خصيم نفسه وحجيجها حسن الظن بعباد الله ما لم يظهر منهم ما دل القاطع على منافاته لصلاح الطوية والحافظ بالمكابرة جحود وردي تقليد، وفيما سوى ذلك فسوء الظن من فساد الطوية وفساد الداخلة. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(1) زيادة اقتضاها السياق.

(2) محمد بن أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي، لزم الشيخ أحمد العسالي مع والده في طريق الخلوتية، من فضلاء أهل النوق، توفي سنة 1072 هـ: خلاصة الأثر 3: 399.

ولم تطل إقامة الملا إبراهيم بمصر على ما أخبرني، بل جد السير وأسرع النقلة قاصدا الحجاز وحادي الشوق يحلو به، وسائق العناية يسوقه، ورائق التوفيق يهديه، وهمة الشيخ جاذبة لأفكاره ومحمته آخذة بمجامع قلبه، فركب البحر من السويس حتى أناخ بجدة، وكان ذلك في أشهر الحج فبقي بمكة حتى حج وأدى الفريضة، فذهب إلى المدينة وزار الرسول الأعظم والنبي الأكرم وأفضل شافع وأقرب مشفع، صلى الله عليه وسلم، ولقي الشيخ الذي كان طلبته منذ أزمان فواجهته عنايته وجذبت به إلى حضرة التقريب همته، فاجتمعت على قلبه نورانية حضرة الاصطفاء، وسريان مدد أهل الصفا، فلم تلبث أمراضه أن عاجلها الشفاء، فأقام بحضرة الشيخ يغذيه بالبيان تربيته ويربي طفل إرادته بلطائف أغذيته، ويحضره في أنديته، وينمي ضعيف سلوكه بأحسن تنميته، فقطعه عن أعظم ما لوفاته وألذها عنده، وهو التدريس في العلوم الظاهرة التي هي هجيره<sup>(1)</sup>، ومنعه من حضور مجالسها عند سواه، ثم أدخله الخلوة، وكان ذلك كما أخبرني في رباط السلطان الذي بباب الرحمة، أحد أبواب الحرم الشريف، وأمره بإهداء كل ما يتجدد له من المعارف والعلوم إليه، فكان الشيخ، رضي الله عنه، يعظم سروره بما ينهيه إليه من ذلك ويعجبه حسن إدراكه وسرعة نفوذه في طرق المعارف وترقيه في مدارج السلوك، فينبهه على ما عسى أن يقع له من الوهم والخيرة، وينقذه من أحوال الشكوك بنافذ همته، فسار في مهامه السلوك سير جاد يهديه ماهر خريت<sup>(2)</sup>، عارف بأغوار الطريق وأنجادها، عالم بشعابها وأوهادها، فلا تسأل عن قرب وصول من هذه صفته إلى مقصوده، ولا تستبعد ما ينال عند وصوله من كرامة معبوده، وما شق عليه من عقبات الطريق التي سلكها، ولا طال عليه منها إلا عقبة محو الصور المنتقشة في لوح قلبه من مكتب تعليم العلوم الظاهرة وتقرير أدلتها التي هي من بضاعة العقل والحس مكتسبة وعلى نهجها سائرة، والعلوم الوهية والمعارف الإلهية التي هي من وراء طور العقل لا ترسم في القلب ما لم يصف من كدر الجمود على النقل.

ولقد أخبرني، رضي الله عنه، أنه لما أدخله الشيخ الخلوة أدخل رجلا آخر من أصحابه، وكان ذلك في يوم واحد، فبعد الأربعين يوما أذن لصاحبه في

(1) هجيره: دأبه ودينته: لسان العرب: هجر.

(2) الخريت: الليل الحاذق: لسان العرب: خرت.

الخروج ولم يأذن لي إلا بعد السبعين، وكنت أوبخ نفسي وأقول: ما أبعدك عن الخير، دخلت مع صاحبك في يوم واحد، وها هو لحسن استعداده وقوة جده واجتهاده قد أذن له في الخروج، وأنت إلى الآن لم تزال مع كنوارتك ومعاييك. قال: فلما أذن لي في الخروج وحيئت إلى الشيخ قال لي: يا ولدي ليس اللوح الذي لم يكتب فيه أصلاً، وإنما توسخ من طول المكث مثل الذي كتب فيه طويلاً وانتقشت فيه صور الحروف فإن الأول يقرب جلاؤه من دون كبير مؤنة والثاني لا ينجلي إلا بعد مؤنة كبيرة، فعلمت السر في تأخيري عن صاحبي، وكان هو قليل الأخذ في العلوم الظاهرة، ولم تزل حال الملا إبراهيم تترقى عند الشيخ إلى أن أذن له في الإفتاء والتدريس، وزوجه ابنته، وكان في آخر حياة الشيخ قبل موته بأعوام هو الذي يتولى كتب الجواب عن الرسائل التي تأتي للشيخ من الآفاق ثم يطلع عليها الشيخ، فتارة يزيد فيها شيئاً أو ينقص منها شيئاً، وتارة يتركها على حالها. ولقد رأيت كثيراً من الرسائل التي هي من تصنيف الملا إبراهيم مكتوبة في هوامشها بخط الشيخ، وكان الشيخ، رضي الله عنه، ترد عليه أسئلة كثيرة من سائر الآفاق شاماً وعراقاً ومنا، بل ومن الهند، وكان يجيب عن كل ذلك في العلمين الظاهر والباطن، وأعطاه الله من القوة على ذلك ما يدل على أنه مأذون له في الإرشاد وممد من الله بالتوفيق والإسعاد. وغالب رسائل الشيخ، وهي كثيرة نحو السبعين، إنما كانت أجوبة عن أسئلة، ولذلك انتشرت في البلاد، فيوجد كثير منها بالشام واليمن ما لا يعرفه أهل الحجاز، وقد اعتنى تلميذه وخليفته الملا إبراهيم بجمعها واستكناها من الآفاق، فاجتمع عنده أكثرها. ولما قربت وفاة الشيخ، رضي الله عنه، قدمه على جميع أصحابه وأولاده، واستخلفه وأوصى إليه، فصار هو الخليفة من بعده ظاهراً وباطناً، قائماً بوظائف التدريس ومجالس الذكر والتلقين والإلباس والصحية والإرشاد إذ لم يترك الشيخ رحمه الله شيئاً مما يتوقف عليه أمر الإرشاد إلا وأتخذه به من تلقين وإلباس وصحية وغير ذلك، وسيأتي ذكر الوصية التي كتب له الشيخ، رضي الله عنه، قبل موته في آخر الترجمة.

ذكر اجتماعنا به، وما قرأناه عليه واستفدنا منه، وما كتبناه له  
وشيء من كلامه رضي الله تعالى عنه (وأرضاه)<sup>(1)</sup>

تقدم في ترجمة شيخنا أبي الحسن الدبيع أنه هو وشيخنا الثعالبي كانا السبب  
في معرفتي به لثناهما عليه وتحريضهما لي على لقائه والاتصال به، فلما قدمت  
للمدينة وكانت أيام الموسم وكثرة الأشغال وعلمت أنه لا يتفرغ لي، وكنت  
أؤخر لقاءه يوما فيوما لكون منزله خارج المدينة، فلم يقدر لي لقاءه حتى قدم  
شيخنا أبو الحسن الدبيع، وكان بينهما ود وإحاء من قبل الشيخ، فذهبت معه إليه  
ودخلنا إليه في مكانه الذي كان يجلس فيه خارج زاوية الشيخ، فوجدناه في عليه  
له فيها كتبه التي يطالع فيها، فرحب بنا كثيراً، وأعلمه الشيخ أبو الحسن بشأني  
وأني ممن صحب الشيخ وأنتسب إليه، فرعى لي ذلك حق رعايته، وهش وبش،  
وأنس ورحب، ودعا بخير، وكنت كتبت قصيدة في مدحه قبل الاجتماع به فناولها  
إياه شيخنا أبو الحسن وهي هذه<sup>(2)</sup>:

[طويل]

أشافي قلبي بعدما كنت جارحة	يُحبك مني كل عضو وجارحة
عليك ثنائي ما حييت فأنثي	بساحة من كل خير وسارحة
وبين يدي نجواي قدمت مدحتي	لثكرمني والمرء يكرم مادحة
ولم أبغ إكراماً بذنيا أنا لها	ورفعة قدر في الديانة قادحة
ولكن لإصلاح بنفس خبيثة	عن الخير ما زالت مدى الدهر جامحة
فما زلت من أقصى البلاد أسوقها	إلى المصطفى خير الوري وهي فارحة
ومن بعده للشيخ كما يذمها	فتسكن فهي بالرياسة طافحة
فلما وجدت الشيخ لله رائحة	بروح وريحان وأعبق رائحة

(1) زيادة من ط.

(2) وردت القصيدة في الثغر الباسم، ص: 12.

سألتُ ذوي العرفانِ عن بابِ فضله  
فقالوا أبو إسحاق خاتمة النهي  
فيمتُ هذا البابَ أرجو افتتاحه  
أناديك يا مولاي بالسِرِّ قائلًا  
أمولاي إبراهيمُ يا مَنْ بفضله  
ببابك عبدٌ طالبٌ لزيارة  
أحبك لا عن رؤيةٍ سبقتُ له  
يُتُّ هذا الشيخُ الذي بركاته  
وكانت له من قبل ذا نسبةٍ له  
وأنتَ له نعم الخليفة وارث  
فأكرمُ هذا إرثًا وأنعم بوارث  
إلى الله يدعو القاصدين بِهمة  
ولم لا وشيخُ العصرِ في السرِّ خصه  
وهذبَه حتى تخلصَ واعتدى  
عليه من الله الرضاَ وعليك ما  
وما دامَ قصدُ الله من بابِ أهله  
أصلي على خيرِ الورى بعدَ محمدٍ منْ  
هـ. والحمد لله.

ولما فرغ من قراءة القصيدة استحسناها ودعا لي بخير، وبالع في التحفي،  
وقدّم لنا كسراً من الكعك مع ملح وسعتر، فلم أر ألد من تلك الأكسار، وأتى  
بالقهوة على ما هو المعتاد منهم، وكنت غير راغب فيها، ولكن تناولت منها



مساعدة، وعندما أنس بي، رضي الله عنه، وتفاوضنا الكلام وعلم أن لي ماسة بطلب الحديث، وكانت رغبته فيه من أعظم الرغبات بعدما كان فيه أولاً من الزاهدين كما قدمنا، سألتني هل حصلت لك رواية الحديث المسلسل بالأولية بشرطه؟ فقلت له: نعم<sup>(1)</sup>. فقال: إني كنت راغباً في تحصيله بشرطه ولم يتفق ذلك لي إلى الآن، وهذا أول مجلس لقيتك فيه فأحب سماعه منك قبل سماع شيء من الحديث. فحدثته به فرأى ذلك غنيمة حصلت له، والحديث المسلسل بالأولية هو ما أخرجه البخاري في الكنى والأدب المفرد، وأخرجه غيره أيضاً عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء<sup>(2)</sup>. وهذا الحديث رواه سفيان بن عيينة، رضي الله عنه، عن عمرو بن دينار قال سفيان: وهو أول حديث سمعته من عمرو، ثم لم يزل الأئمة من لدن سفيان يرويه بعضهم عن بعض بصفة الأولية إلى أن وصل إلينا بصفته، فقد رويته عن عدة من مشايخي بشرطه، منهم شيخنا زين العابدين الطبري، حدثني به أول ما حدثني، ومنهم الشيخ إبراهيم الميموني حدثني أيضاً قال: وهو أول حديث سمعته من سيد الدنيا الشيخ محمد الرملي<sup>(3)</sup>، وأسانيد الحديث المذكورة في غيرها من إجازات مشايخنا، رضي الله عنهم، فلما سمع مني شيخنا الملا إبراهيم هذا الحديث الشريف واتصلت روايته له بشرطه طلب مني أن أحيزه به وجميع مروياتي لما رأى لي من اتساع باع في الرواية، وسمع مني بعض الشفا وثلاثيات البخاري، فتعللت الله له واستعذرت، فلم يُجد ذلك، فاستعنت بالله وكتبت له بطاقة تضمنت مرغوبه بعد أن ناولته برنامج رواياتي فقلت له: اقتطف منه ما أردت من الأسانيد وأسماء المشايخ والمسموعات في أي ما فن، لأن استيفاء جميعها يطول علي وأنت في غنى عن بعضها لوجوده عندك، ففعل، رضي الله عنه، وانتخب منه ما أحتاج إليه، فكفاني مؤنة سرد الأسانيد، وكذلك كنت أفعل مع جميع من استجازني في البلاد المشرقية إلا القليل منهم، فمن علمت أنه لا رغبة له في اتساع الرواية وأنه يكتفي بسند أو سنيين ما كتبت له ما تيسر، ونص البطاقة

(1) أنظر: اقتفاء الأثر، ص: 165.

(2) كتاب الكنى 1: 64.

(3) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين بن الشعاب الرملي المنوفي المصري، فقيه متصوف، ولد 919 هـ وتوفي سنة 1004 هـ: خلاصة الأثر 3: 342.

التي كتبت له مجيزاً وصيرها لموعوده المقترح تنجيلاً، وحادث بها القريحة عندما سميتها تعجيزاً: حمداً لمن قطع باسمه الأول سلسلة الأولوية وأبقى باسمه الآخر تسلسل الحوادث الأبدية على وفق الأقدار الأزلية، وشكراً لأولي مستحق للحمد والشكر من كل ذي أولوية، وأجل محمود ومشكور في العوالم السفلية والعلوية، وأوثق مستند يحسن إليه الاستناد وأصح سند ترفع إليه سلاسل الإسناد الذي لم يستند إلى شيء إلا لانفراده بالقيومية والربوبية، وإليه يستند كل شيء بحكم المربوبية والعبودية، مجير من صح استناده إليه بالمعارف الوهية، ومجازي من أصغى إلى حديث نفسه بتركه مع علومه الكسبية، راحم الرحماء من عباده أهل الخصوصية بجعلهم مظاهر لأخلاقه الرحمانية الرحيمة، وصلاة وسلاماً شرف قدرهما وفاح نشرهما وارتفع ذكرهما وأمر أمرهما على أسمى من إلى أعلى السماء يسمى، فأسمى وبأسمى الأسماء عند الله وملائكته في السماء يسمى، ثم أصبح وهو أسمى من كل ذي سناء وسما وأسمى، أحلم من تخلق بأخلاقه الحلماء، وأحكم من تطفل على حكمته الحكماء، وأعلم من أسند عنه العلماء: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء<sup>(1)</sup>، إنما يرحم الله من عباده الرحماء<sup>(2)</sup>. ورضي الله عن آله الطيبين الأطهار وعن سائر أزواجه الطيبات والأصهار، أولئك أفضل من نشرت لنشر سؤددهم سود الرايات، وسودت بكتب محاسنهم صحف السادات من أهل الروايات، وعن أصحابه المستنين بسنته في كل سنن، الحاملين عنه الفرائض والسنن، العاضين عليها بالنواجذ والأسنان، الضاربين عليها بمحدد النصل والسنن، الناصرين لها باللسان والبنان، القاطعين في نصرها كل مجلول من شراك وعنان، وعن التابعين لهم وتابعيهم بإحسان الذين لهم المنة بنقل هذا الدين على كل إنسان، فقد هذبوا ونقحوا وكتبوا وصححوا وسمعوا فحملوا وردوا فقبلوا ورووا ورووا، وما نووا فيما نووا، (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا)<sup>(3)</sup> ولا تنكبوا عما عليه من نصره الدين في سائر الأقطار، وكانوا حتى انتشرت الشريعة في سائر الأمصار، وتحصنت من الزيف بأسلحتهم في كل الأعصار، فأشرق الدين بحول الله متألقاً أزهاره مترعة حياضه وأنهاره، يحمله من كل خلف عدوله وأفاضله، ويبلغه من كل سلف رؤوسه أمثاله حتى وصل إلينا على حين فترة من

(1) كتاب الكنى 1: 64.

(2) كشف الخفاء 1: 250.

(3) آل عمران: 146.

أهله وقلة فرعه وأصله، ولولا أنَّ الله تكفل بحفظه في هذه الملة وجعله في صدور طائفة من الأئمة لمحت منذ أزمان آثاره، وتمزق من طول ما لبسه شعاره ودثاره، والله الحمد على نعمه التي لا تحصى وأياديه التي لا تستقصى. هذا وإن ممن أهله الله لحفظ هذه الرتبة في هذه التربة، وأحيا به رسوم الشريعة والحقيقة، وأبان به العلوم الجلية والدقيقة، وجمع له بين طهارة السر والعلانية، وجعل أعماله كلها على بصيرة وعلى نية، وأتخذه بالورثة الأحمدية في البلد المحمدية، وطهره عن الأخلاق الدنية وحلاه بالوصاف الدينية، شيخنا ومرشدنا ومنعشنا ومنقذنا الملا إبراهيم بن حسن الكوراني<sup>(1)</sup> ثم الشهراني، بل النوراني ثم الصمداني، نزيل طيبة المطيبة، ومزيل الغطاء عن الأسرار المغيبة، جعله الله في كل أوطاره مهديا، ولعباده في نيل أوطارهم هاديا، وسلك به مسالك الموفقين رائحا وغاديا، ولقد بلغ من اهتمامه بأمر الدين وسلوك سبيل الأئمة المهتدين مبلغا لا يرضى فيه لنفسه أن يفوته شيء من شوارد العلوم إلا ما اقتنصه بحبالة عزمه، ولا يترك شاذة ولا فادة من الكمالات إلا تناولها بسيف حزمه، فلم يدع واديا من أودية الدراية إلا هبطه، ولا محلولاً من عقود الرواية إلا ربطه، ومن المعلوم أن من معالم الرواية التي هي على أنصاف الراوي أكبر آية رواية الأعلى عن الأدنى والأكبر عن الأصغر حسا ومعنى، وكأنه أسمى الله قدره، وأنار في سماء المعالي فجره، أراد لهذه الفضيلة تحصيلا، وقصد أن يحيط بطرق الرواية جملة وتفصيلا، فرآني للرواية أهلا وإن لم أذق بين أهلها عللاً ونهلاً، لإنصافه الذي جاوز الحد وفات العد، فلذلك استجازني وليته أجازني، وإلى من هو من أهل الرواية جازني.

ولما ألزمته نفسي من طاعته وانجماعي على أي من جماعته لم أتلکأ فيما طلب مني، ولم استعذ بقصوري الظاهر عني، بل امتثلت ما أمر به، وأتيت وانتثلت سهم الإصابة من كنانتي ورمي، فإن قرطست الغرض فبركة همته، وإن أخطأت فالجعالة ثابتة في ذمته، إذ لم يشترط على الإصابة لانتفاء التقرير بالتقرير أني لست من تلك العصاة، فأقول لله مستخيراً وبه مستجيراً:

[طويل]

أجزئك لكن مثلكم من يُجيزني ولم يستفد مني ولكن يُفديني

(1) إبراهيم بن حسين: الكردي الكوراني، عارف متصوف، جاور بالمدينة المنورة مدة، توفي عام 1102 هـ: صفوة من انتشار، ص: 350.

بما قد سمعتُ من شيوخِ قِراءة	من الشيخ أو مني وهم يسمعونني
وكل الذي أرويه مما أجازني	وناولني من الرواية يعني
وكل الذي حمّله فحمّله	بشرطٍ لدى أهل الحديث مبين
وما صح أني قد رويتُ لديكم	فاخبر به عني وحدّث وعنّين
خصوصاً حديثَ الأوليّة أني	أجزتُ به من قبل كل مُعَيّن
وكل الذي في جمعنا من مُؤلف	بأي فنون العلم أو من مُدَوّن
بإسناده إن شئتَ فاكتبْ جميعها	وإن شئتَ بعضاً فاقتطفْ منه واجتِ
وأكثره ساوَيْتني فيه أنتَ في	غنى عنه بل في بعضه أنتَ مُقتني
وهبْ أني قد فتّ بالترّ مهولاً	يقاربُ قطعاً ما به أنتَ فُتني
فكم حمكة منكم تلقفُتها وكم	فلم تستفدْ عشارَ ما قد أفدّني
وما كنتُ أهلاً أن أجيزك إنما	دعوتَ فليتُ النداء إذ دعوتني
ولو أني استطعتُ <sup>(1)</sup> امتناعاً لكنت قد	أبيتُ وقدماً كان ذلك ديدني
وفي كل حالٍ أحمّدُ الله مُهدياً	صلاةً لمن من ربه حبه يُدني

وكتبت له هذه البطاقة إثر ما اقتطعته من الأسانيد وأسماء المشايخ، فاغتنبط بذلك، ولا يخفى ما اشتملت عليه هذه النبذة من براعة البدء وسلاسة النظم والنثر وحسن التخلص ولطيف الاعتذار وتناسب الفقر وتمكن القوافي، وما أبعد صدور مثلها من مثلي لولا أن مكان القول ذا سعة، وأوصاف المخاطب عن أن يحيط بها قولي مع ذلك شاسعة.

ولم أزل مدة إقامتي بالمدينة أواصل زيارته وأكثر التردد إليه في محله إلا أيام مرضي فإنه، رضي الله عنه، كان يتعاهدني بالعيادة، فجزاه الله خيراً، ولقد جبله الله على أخلاق من مجامع الخير قل أن توجد في غيره علماً وعملاً وورعاً وزهادة

(1) في ط: استطعت.

وتواضعاً وصبراً وحلماً واحتمالاً وصدقاً وإخلاصاً وعدم مبالاة بالنفس، يلبس ما تيسر ولا يأكل ما تعسر، تاركاً لزي متفقهة الوقت ومتصوفته من تكبير العمامة وتطويل الأكمام وإرسال الطيلسان ولباس الجوخ، إنما يلبس عمامة متقاربة يرسل عذبتها بين كتفيه، ويلبس من متوسط الثياب ما يناسب وقته من حر وبرد، وفشت<sup>(1)</sup> صوف ملون بالأبيض والأسود كما هو لباس عامة أهل الحجاز، وكومية لاطية تحت العمامة، إذا وجده من لا يعرفه في محل درسه مع أصحابه لا يميز بينه وبينهم لاختلاطه بهم، ولعدم تصديره وإظهار التمييز عليهم حتى في كلامه وتقديره للأبحاث، بيدي ذلك على وجه يشبه المذاكرة والمفاوضة فيقولك لعل كذا وكذا، ويشبه أن يكون كذا، أترون أن هذا يفهم على هذا، فإذا رجع ولو أدنى مراجعة توقف حتى تثبت بيد أن لسانه فيه بعض ثقل في التقرير بالعريضة. وإذا كتب فلا تسأل عما بيدي ويعيد في تقريره، وقد قرأت عليه شرح الهداية في الحكمة<sup>(2)</sup> لوالد السيد الجرجاني قراءة بحث وتدبر وتحقيق من أوله إلى آخره، وكان مجلسه، رضي الله عنه، روضة من رياض الجنة، قلما يقرر مسألة من مسائل الحكماء إلا وأدرج فيها ما يشاكلها من الحقائق وعقائد المتكلمين، ويبيد ما بين كلامهم وكلام العارفين والمتكلمين من التفاوت ويقول: قاربوا العثور على الحق. ولما يهتدوا إليه لفقدان نور المتابعة والاستضاءة بمشكاة النبوة، وذلك لأن موضوع العلمين ومطلوب الفريقين متقارب، إذ كل منهما البحث فيه إنما هو على ماهية الوجود المطلق، وأوليته ومتعلقاته وأوصافه وأقسامه وتمييز القلبي منه من الحادث، إلا أن الحكماء تكلموا في ذلك ببضاعة عقولهم المزجاة فلم يصلوا إلا لحبس وتخمين وأوهام مستندة إلى تجارب وقياسات الغائب على الشاهد، وكل ذلك لا يفيد صريح العلم الذي يثلج الصدر. بيد أن الإشراقيين منهم معتمدتهم على كشوفات تحصل من الرياضات الفلسفية وأذواق وإدراكات وجدانية تحصل لهم من مصاحبة مشايخهم، وهي أيضاً كثيرة الغلط عظيمة الاشتباه، لا يكاد يتميز فيها الحق من الباطل، وهي طريقة الأقدمين منهم كأفلاطون. وأول من أخرج الحكمة والقوة إلى الفعل وجعل لها قوانين تعليمية من منطق وهندسة تلميذه إرسطأ، وتسمى حكمة هؤلاء حكمة المشائين لمشيهم حول أساتذتهم يتعلمون من

(1) فشت: الفشاش: الكساء الغليظ: لسان العرب: فشتن.

(2) هو شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816 هـ على كتاب الهداية: كشف الظنون 2: 2038.

ألفاظهم وحكمهم، وتسمى حكمة الأولين حكمة الإشرافيين لكون مرجعهم إلى ما يشرق في بواطنهم من الحكم والإدراكات، وهي كما قدمنا كثيرة الاضطرابات لأن للعقول حدا تنتهي إليه، والمطلوب وراء طور العقل، والله در القائل:

[بسيط]

وللعقول قوى تستر مدى إن تعدد ظهرت فيه اضطرابات<sup>(1)</sup>

وقد ألف في كل من الطريقتين تأليف قديمة وإسلامية، وأحسن التأليف في الأولى تأليف السهروردي المقتول المسمى بـ: حكمة الإشراف<sup>(2)</sup>، وقد قرأت بعضه علي شيخنا الملا إبراهيم، وكان صاحبنا بلديه السيد محمد بن رسول ابتداء عليه قراءة هذا الكتاب.

وأما المليون فالتكلمون منهم بحثوا عن ماهية الوجود من طريق العقل أيضا، إلا أنهم مستندون إلى النقل أيضا، واعتمدوا عليه ورفضوا ما لم يمكن رده إليه من أقوال الحكماء، كقدم العالم وتأثير الأفلاك، والقول بالعلة والطبيعة، وغير ذلك مما هو مقرر في محله. ووافقوه في أشياء كثيرة لم يرد نقل بما يخالفها أو ورد واحتمل، فأهل السنة يتمسكون بصريح النقل ويهملون آراء الحكماء ولا يقولون النقل، والمعتزلة بالعكس، ولأجل ذلك أدخل المتكلمون من الفريقين في كتبهم من أقوال الحكماء وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم ما كاد العلمان به أن يشتبهوا، أعني علم الكلام وعلم الحكمة، حتى إن كتب المتأخرين من المتكلمين كالعضد<sup>(3)</sup> والسعد<sup>(4)</sup>، معظمها إنما هو في تقرير مذاهب الحكماء، فصارت الإلهيات والنبويات منها جزء من الجزء، ومع ذلك فقد أبرزوها في قالب تقريراتهم واحتجاجاتهم، وإن كانوا يخالفونهم فيما لم يوافق عليه النقل.

(1) البيت مكسور.

(2) كتاب حكمة الإشراف للشيخ شهاب الدين أبي الفتح يحيى بن حبش السهروردي المقتول بطلب سنة 587 هـ: كشف الظنون 1: 684.

(3) الإشارة هنا إلى شرح العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة 756 هـ لكتاب: منتهى السؤل والأمل في علمي الأصل والجدل، للشيخ الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي، المتوفى سنة 646 هـ: كشف الظنون 2: 1853.

(4) الإشارة هنا إلى شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة 791 هـ لمفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى سنة 626 هـ: كشف الظنون 2: 1763.

## لطيفة:

ذكر الإمام السمرقندي<sup>(1)</sup> في بعض تأليفه كلاماً له يشتمل على تقسيم عجيب في التمييز بين مذاهب العلماء الإشراقيين والمثائين ومذاهب المتكلمين والصوفية المحققين، فلنذكره هنا تمييزاً للفائدة فقال ما نصه: الطريق إلى معرفة المبدأ والمعاد من وجهين، أحدهما طريق النظر والاستدلال، وثانيهما طريق أهل الرياضة والمجاهدة، فالسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملة من ملل الأنبياء عليهم السلام فهم المتكلمون، وإلا فهم الحكماء المشاقون والسالكون للطريقة الثانية، وهم أهل الرياضة والمجاهدة إن وافقوا في رياضتهم أحكام الشريعة فهم الصوفية المتسرعون، وإلا فهم الحكماء الإشراقيون، انتهى. وهو كلام عجيب يتميز به المذاهب، وهو غير مخالف لما قدمنا من الكلام في مذهب الحكماء والمتكلمين.

وأما العارفون والمحققون فمعتمدتهم في أول الأمر على النقل الصحيح والفهم الصريح من الكتاب والسنة من غير إسناد في ذلك إلى قول متفلسف تقليداً، ولا إلى تخمين بعقل وحس بفكر إلا ما لا بد منه في فهم المنقولات، فيقبلون بكليتهم على صدق المتابعة وتركيب النفس وتخليتها على طريق الاقتداء وأفراد الوجهة وقطع العلائق حتى تشرق أنوار الحق في قلوبهم فتفتح لها أبواب الملكوت فتشاهد بأنوار البصائر وصفاء السرائر حقائق الوجود العلوية والسفلية، وتترك الأشياء الغيبية على ما هي عليه، ولذلك لا يقع في كلامهم غالباً على حقائق الموجودات ما يخالف ما أخبر به عنها مخترعها تعالى ومنشؤها على لسان رسوله الأكرم، صلى الله عليه وسلم، وإن ظنه من لم يفهم مقاصدهم مخالفاً فذلك لقصور نظره على أنهم متفاوتون في قوة نور البصيرة ونفوذ الإدراك وصحة الكشف، فقد يخبر أحد منهم بخلاف ما أخبر به، وكل منهم صادق لأنه أخبر بما أدرك؛ وفوق كل من ذي العلم العليم<sup>(2)</sup>، ومنتهى العلم إلى الله العظيم.

وما أقرب طريقهم من طريق الحكماء الإشراقيين، لولا ما فات الإشراقيين من نور التوفيق المسبب عن صدق المتابعة، ومن تأمل كلام حكماء العارفين كابن

---

(1) للشيخ الإمام نور الدين أبي بكر أحمد بن محمد الصابوني الحنفي المتوفى سنة 508 هـ، من مؤلفاته: الهداية في الكلام: كشف الظنون 2: 2040.

(2) في ط: عليم.

سبعين<sup>(1)</sup> والشيخ محي الدين وأضرابهما علم قرب ما بين الطريقين في المدرك وبعد ما بينهما في المدرك.

وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة لثلا يستبعد جاهل مزج قراءة كتب الحكماء بكلام العارفين الأصفياء، ولعمري إن في قراءة كتبهم وفهم كلامهم أعظم معين على فهم الحقائق لمن وفق لصدق المتابعة، وأيد بصحة عارف كشيخنا الملا إبراهيم فإنه ما برز على أهل زمانه، ولا فات سائر أقرانه إلا بذلك فإنه بعد ما تمهر في فهم المعقولات وإدراك أفاويل الحكماء وسير آرائهم وفَقاً لصحة عارف زمانه، فأشرق أنوار المعارف من مشكاة قلبه الذي كاد زيتُه يضيء ولو لم تمسسه نار، وكذلك كان الإمام الغزالي، رضي الله عنه، وأضرابه كما أخبر عن نفسه في كتابه: المنقذ من الضلال بعدما حقق تلك العلوم بأسرها وخاض فيها خوض ماهر خريت أدركته العناية الأزلية فصار أمره إلى ما صار. وأما من لم يوفق لما وفق إليه من ذكر من صدق المتابعة وصحة العارفين فهي من أعظم الضرر عليه توقعه في مزالق من الأوهام ومتشابهات من الأفهام، لا يكاد يتحصل على شيء يشد عليه يده لا ينكشف له فهم يثق بما أداه إليه إلا سرى به إلى فهم آخر يصير معه الاعتقاد الأول شكاً ووهماً. ثم كذلك إلى هلم جرا، وذلك شأن من ينتقل من كون إلى كون، والأكوان كلها ظلمة وخيالات وأوهام لا تخرج من وهم إلا إلى وهم، ومن وفق انتقل من كون إلى مكنون، ولا يكون ذلك إلا به، فمن انتقل بالله وصل إلى الله، ومن انتقل بنفسه وعقله الذي هو من جملة الأكوان لم يصل إلا إلى الكون الذي انتقل منه، والله در العارف ابن عطاء الله إذ قال<sup>(2)</sup>: لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى [يسير والمكان]<sup>(3)</sup> الذي انتقل منه هو الذي انتقل إليه، ولكن ارحل عن الأكوان إلى المكنون، (وإن إلى ربك المنتهى)<sup>(4)</sup>.

(1) عبد الحق ابن سبعين: من كبار المتصوفة بالغرب الإسلامي، توفي بمكة المكرمة سنة 667 هـ: شجرة النور الزكية 1: 281. الأعلام 3: 280.

(2) الحكم، ص: 112.

(3) إضافة من الحكم.

(4) النجم: 41.



وجل المكون أن يصل إليه أحد إلا بتوصيله، فمن طلب الحق بالحق وصل إلى صريح الحق، ومن طلب الحق بغير الحق لم يصل إليه أبداً، وكل ما سوى الله فليس بحق لأنه خيال ووهم إن فتشته لم تجد شيئاً، والحق ليس كذلك.

وقد قرأت عليه، رضي الله عنه، طرفاً من شرح المواقف للسيد، قال، رضي الله عنه، في إجازته لي ما نصه: وقد قرأ علي طرفاً من شرح المواقف للشریف الجرجاني، قدس سره، قراءة دراية، واخترنا من مباحثه ما يكون سلماً إلى فهم الحقائق<sup>(1)</sup>. هـ كلامه. والذي اختار لي من ذلك هو مبحث الوجود هل هو مقول بالاشتراك على إفراده أو بالتوطؤ، وكلام السيد، رضي الله عنه، في ذلك غاية في التحقيق، وهو أقرب من رأينا من المتكلمين لمذاهب العارفين وأكثرهم عتوراً على مقاصدهم، ولم لا يكون كذلك وقد سلك على يد غوث الزمان الشيخ علاء الدين العطار البخاري أجل خلفاء الإمام القطب نقشبند، رضي الله عنهم، ودخل في طريق القوم على يديه وترك ما كان عليه من أهمة المدرسين، فأشرقت أنوار المعارف من قلبه، وظهرت عليه بركات صحبة القوم، وكان، رضي الله عنه، من جماعة الملا سعد الدين التفتزاني ومن أكابر أصحابه حتى برز عليه في حياته، وكتب على كثير من مصنفاته كتابات أبانت عن إنافته عليه في تحقيق العلوم، وقد حصلت بينه وبينه مناظرة في مجلس ثمرلنك سلطان ما وراء النهر فأفحمه، ثم اعتذر إليه بعد ذلك، وقد أخبرني بعض المشايخ أن السعد وجماعته، وفيهم السيد قدموا لزيارة بعض المشايخ العارفين، فلما جلسوا بين يديه قال لهم ذلك العارف أيكم يتخلص عن هذه الوظائف ويترك هذا المنصب وجاهه لدينوي وأنا أوصله إلى الله في أقرب مدة، ففض الملا سعد الدين برياسته، وكانت له رئاسة كبيرة في آخر عمره وجاه عند الأمراء وجلالة قدر عند أرباب الدولة وغيرهم من العوام، فقال السيد لذلك العارف: أنا أنخلع من رياستي وأترك هذه الوظائف العلمية والمناصب الدنيوية، فقبل منه ذلك وصرف همه إليه، فانتفع بذلك في أقرب مدة ولم يسم لي من سمعت ذلك منه العارف الذي سلك على يديه حتى رأيت في كتاب الرشحات<sup>(2)</sup> للكاشفي أنه صحب الشيخ علاء الدين العطار

(1) إتحاف الأخلاء، ص: 123.

(2) رشحات عين الحياة: كتاب فارسي في مناقب مشايخ النقشبندية ورسوم طريقهم ضمنا لحسين بن علي الواعظ الكاشفي البيهقي المشتهر بالصفوي: كشف الظنون 2: 1844.

وصحب أيضا تلميذه الشيخ نظام الدين الخاموش بأمر شيخه علاء الدين رضي الله عنهم آمين. فعلمت أنه هو الذي وقع له معه ذلك.

وقرأت عليه أيضاً في علم الحقائق التحفة المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن فضل الله الهندي<sup>(1)</sup> أجل تلامذة الشيخ الإمام وجيه الدين العلوي، فهو في طريق أخو شيخ مشايخنا الفاضل، العلامة الجامع بين علم الظاهر والباطن، سيدنا صبغة الله بن روح الله الحسيني، قدس سره، وهي رسالة صغيرة مفيدة جدا في وحدة الوجود سيأتي إن شاء الله ذكرها في آخر الترجمة، وسماها: التحفة المرسلة لكون عادة العلماء في بلاد العراق والهند بل ومصر والحجاز، إذ ألف أحدهم كتاباً أجاد فيه وأتقنه أتخف به ملك قطره وجعله برسمه واسمه، وهذا الإمام أجزل الله ثوابه لم ير في الوجود أعظم ولا أفخم قدراً من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجعل رسالته هذه تحفة مرسلة إلى روحه، صلى الله عليه وسلم، لكونه هو أصل الموجودات ومنبعفيضها ومددها على اختلاف أجناسها وامتداد فروعها لأن روحه المقدسة أول مخلوق على ما جاء في الأحاديث، فكان الرسالة موضوعة فيه، صلى الله عليه وسلم، فناسب إرسالها إليه، ولقد أصاب مرسلها وأتى البيوت من أبوابها، ووفق لما ذهل عنه غيره ممن همه الدنيا وزهرها، ولذلك عمت بركة هذه الرسالة. ولقد أخبرني شيخنا الملا إبراهيم أن بعض أصحابنا المجاورين، وكان يقرؤها عليه إذ ذاك، ونحن هناك، أنه أخبره أن هذه الرسالة ببلادهم قد طار صيتها واشتهر أمرها، فصارت تقرأ في المكاتب ويتعلمها الأولاد، كالرسائل الصغار التي في مبادي العلوم، ولقد علم كل منصف أن ذلك إنما حصل لها ببركة نسبتها إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وبركة نية مؤلفها، وإلا فهذا العلم قد صار من الغرابة بحيث أنكرته أذواق كثير من فحول العلماء المحققين، فضلاً عن دونهم من المترسمين، فضلاً عن العوام، فضلاً عن صبيان المكاتب، ولكن إذا أراد الله بعبد خيراً حب إليه الإيمان وزينه في قلبه وزين إليه أسبابه، فكما يوفق العبد في صغره إلى أخذ العقائد الدينية الواجبة على عامة المؤمنين فيتلقفها تقليداً من غير أن يحصل له كبير فهم لمعانيها حتى إذا تكامل عقله وبلغ مبلغ المدرسين لحقائق العلوم سهل عليه إدراك معانيها وانشرح صدره لقبول أنوارها لا لفعالها قبل تقليداً، فكذلك عقائد الأكابر التي لا يدركها عوام الخلق إذا

(1) محمد بن فضل الله الهندي، زاهد متصوف، توفي ببلده سنة 1092 هـ الأثر 4: 110.

وفق العبد لأخذها في صغره تلقينا، ثم خلق الله له في كبره استعدادا لفهمها وجمعه بعارف يمد بأنواره في تحقيقها انشرح صدره لقبول ذلك وفهمه وإدراكه بسرعة بلا كبير مؤنة لإلفه لسماعه واعتقاده تقليدا، لكن الذي ظهر لي أنه الحق أولى بالصواب، وأظنه هو الواقع عندهم في بلادهم أن يلقن الصبي أولا العقائد المشهورة المألوفة التي كلف بها سائر الخلق الظاهرة من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، ويؤمر بقراءة صغار الرسائل المؤلفة في ذلك لأئمة أهل السنة، ثم بعد ذلك، إن شاء وليه، أن يقرئه أيضا شيئا مما هو خاص بعقائد الأكابر تيمنا بهم وتبركا بكلامهم، ويعلمه أن هذا الذي لقنه الآن ليس هذا وأن فهمه، وأن له رجالا مخصوصين هم صفوة الحق من عبادته وخلفاء أنبيائه قلوبهم مملوءة بمعرفته ومحبه، لم يبق فيها مساغ لغيره وتكون فائدة تلقينه ذلك في الصغر أن لا ينشأ على جهود القريحة على ما اعتادته أولا وتلقفته من الصغر، فيعتقد أن ليس هناك أمر وراء هذا ولا فهم أعلى منه ولا ذوق أحلى يمنحه الله من شاء من خالص أحبائه، زيادة على ما علمه غيرهم من عوام الخلق غير مناف لما في الكتاب والسنة ولا مباين لما أمر باعتقاده عوام البشر، إلا أنه أعلى منه وأدق وأرق وأصفى وأحلى وأعلى، فإن اعتقاد العبد أن ليس وراء ما أدركه من العلوم والمعارف مرمى ولا مطلب أعظم حجاب وأكبر منافع له عن الوصول إلى ما وصل إليه غيره، خصوصا هذه العلوم التي هي أذواق ومعارف وكشوفات خفية وإدراكات وهبية غير مكتسبة، فتعمل ولا متسلق عليها بمجرد بضاعة العقل، فقلما تحصل لمن لم يتقدم له حسن ظن بأهلها واعتقاد وجودها وتعظيم أربابها، ولذلك والله أعلم زاد المتأخرون من العلماء في ذكر العقائد التي ينبغي اعتقادها وإن لم تكن من الإلهيات ولا من النبويات اعتقادا أن الأئمة أرباب المذاهب على هدى من ربهم لئلا ينشأ المكلف على ردئ التعصب لبعضهم المؤذي إلى تضليل الباقيين، فيحرم بركة الانتفاع بأقاويلهم وأقاويل أصحابهم، فيفوته جانب عظيم من علوم الديانة، إذ ما من علوم الشريعة إلا وقد ألفت فيه أرباب المذاهب كلهم، والمشتغل بذلك الفن لا يقتصر على كتب أهل مذهبه فيه، فكم من مالكي انتفع بكتب الشافعية في التفسير والحديث والتصوف، وبالعكس، فلو كان المشتغل بقراءة هذه الكتب لا يعتقد تعظيم أصحابها ولا هدايته لقل انتفاعه بها أو عدم رأسا، ولأجل ذلك أيضا يبهون في العقائد على أن طريق الجنيد، رضي الله عنه وصحبه طريق مقوم مقدم، وكذلك الإمام الشاذلي والجيلي وأضرابهم من رؤساء أئمة الصوفية الذين لهم

مذاهب معروفة في طريق القوم وآراء منتخبة إذا اعتقد الإنسان من حال صغره عظمتهم ومحبتهم وأنهم على هدى، ساقه ذلك في كبره إلى الاقتداء بهم وأتباع طريقهم، واعتقاد ما يسمع من كلامهم ولو لم يفهم معناه لعلمه أن قائله أهل حق وهدى وبصائر نافذة وقلوب مطهرة، والله تعالى أعلم، فلنذكر رسالة التحفة المرسلة بتمامها، لوجازتها وغرابتها في مغربنا، فأقول: قرأت على شيخنا الملا إبراهيم وسمعت منه بلفظي بسنده إلى مؤلفها قال: باسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتخلى عن الكونين، فلنذكر التحفة: باسم الله الرحمن الرحيم)<sup>(1)</sup>، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً<sup>(2)</sup>، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتخلى عن الكونين، والصلاة والسلام على المظهر الأتم، محمد وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد، فيقول العبد الضعيف المذنب المحتاج إلى شفاعة النبي، صلى الله عليه وسلم، محمد بن الشيخ فضل الله: هذه نبذة من الكلمات في علم الحقائق جمعتها بمحض فضل الله وكرمه، وجعلت ثوابها لروح النبي، صلى الله عليه وسلم، وسميتها بالتحفة المرسلة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، (وأسأل الله أن يبلغ ثوابها إليه)<sup>(3)</sup> إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

اعلموا إخواني، أسعدكم الله وإيانا، أن الحق سبحانه وتعالى هو الوجود، وأن ذلك الوجود ليس له شكل ولا حد ولا حصر، ومع ذلك ظهر وتجلي بالشكل والحد ولم يتغير عما كان من عدم الشكل وعدم الحد، بل الآن كما كان، وإن ذلك الوجود واحد والإلباس مختلفة ومتعددة، وأن ذلك الوجود حقيقة جميع الموجودات وباطنها، وأن جميع الكائنات حتى الذرة لا تخلو عن ذلك الوجود، وأن ذلك الوجود ليس بمعنى التحقق والحصول أنهما من المعاني المصدرية ليسا بموجودين في الخالق، فلا يطلق الوجود بهذا المعنى على الحق الموجود في الخارج، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل عنينا بذلك الوجود الحقيقة المتصفة بهذه الصفات، أعني وجودها بذاتها ووجود سائر الموجودات بها وانتفاء غيرها في الخارج، وأن ذلك الوجود من حيث الكنه لا ينكشف لأحد ولا يدركه العقل ولا الوهم ولا الحواس، ولا يتأتى في القياس لأن كلهن محدثات، والمحدث لا يدرك كنه المحدث، تعالى ذاته وصفاته عن الحدث علواً كبيراً، ومن أراد معرفته من هذا

(1) ما بين قوسين ساقط من ط.

(2) ساقط من ط.

(3) زيادة من ط.

الوجه وسعى فيه ضيع وقته، وأن لذلك الوجود مراتب كثيرة: المرتبة الأولى: مرتبة أن لا تعين، والإطلاق والذات البحث لا بمعنى أن قيد الإطلاق ومفهوم سلب التعين ثابتان في تلك المرتبة، بل بمعنى أن ذلك الوجود في تلك المرتبة مفرّج عن إضافة النعوت والصفات ومقدس عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق أيضاً، وهذه المرتبة تُسمّى بمرتبة الأحدية، وهي كنه الحق سبحانه وتعالى، وليس فوقها مرتبة أخرى بل كل المراتب تحتها. والمرتبة الثانية: مرتبة التعين الأول، وهي عبارة عن علمه تعالى بذاته وصفاته وبجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير امتياز بعضها عن بعض، وهذه المرتبة تسمى بالوحدة والحقيقة المحمدية. المرتبة الثالثة: مرتبة التعين الثاني، وهي عبارة عن علمه بذاته وبصفاته وبجميع الموجودات على طريق التفصيل، وامتياز بعضها عن بعض، وهذه المرتبة تسمى بالواحدية والحقيقة الإنسانية، فهذه ثلاث مراتب كلها قديمة، والتقدم والتأخير عقلي لا زماني. والمرتبة الرابعة: مرتبة الأرواح، وهي عبارة عن الأشياء الكونية المجردة البسيطة التي تظهر على ذواتها وعلى أمثالها. والمرتبة الخامسة مرتبة عالم المثال، وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة اللطيفة التي لا تقبل التجزئ والتبعيض ولا الخرق ولا الالتئام. والمرتبة السادسة: مرتبة عالم الأجسام، وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة الكثيفة التي تقبل التجزئ والتبعيض والخرق والالتئام. والمرتبة السابعة: المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة الجسمانية والنورانية والوحدة والواحدية، وهي التجلي الأخير واللباس الأخير، وهو الإنسان. فهذه سبع مراتب، الأولى منها هي مرتبة أن لا ظهور، والستة الباقية منها هي مراتب الظهور الكلية، والأخيرة منها، أعني الإنسان إذا عرج وظهر جميع المراتب المذكورة مع انبساطها يقال له الإنسان الكامل، والعروج والانبساط على الوجه الأكمل كان في نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان خاتم النبيين، وأن أسماء مرتبة الألوهية لا يجوز إطلاقها على مراتب الكون والخلق، وكذا لا يجوز إطلاق أسماء مراتب الكون على مرتبة الألوهية، وأن لذلك الوجود كماليين، أحدهما كمالي ذاتي، وثانيهما كمالي أسمائي، وأما الكمال الذاتي فهو عبارة عن ظهوره تعالى له على نفسه بنفسه في نفسه لنفسه بلا اعتبار الغير والغيرية، والغنى المطلق لازم لهذا الكمال الذاتي، ومعنى الغنى المطلق مشاهدته تعالى في نفسه جميع الشئون والاعتبارات الإلهية والكيانية مع أحكامها ولوازمها ومقتضياتها على وجه كلي جملي لاندراج الكل في البطون الذاتي ووحدته كاندراج جميع الأعداد في الواحد العددي، وإنما سميت غنى مطلقاً

لأنه تعالى بهذه المشاهدة مستغن عن ظهور العالم على وجه التفصيل لا حاجة له في حصول المشاهدة إلى العالم وما فيه، لأن مشاهدة جميع الموجودات حاصلة له تعالى عند اندراج الكل في بطونه ووحدته. وهذه المشاهدة تكون شهوداً غيبياً علمياً كشهود المفصل في الحمل الكثير، والكثير في الواحد، والنخلة مع الأغصان وتوابعها في النواة الواحدة. وأما الكمال الأسمائي فهو عبارة عن ظهوره تعالى لنفسه على نفسه وشهوده شهوداً عياناً عينياً وجودياً كشهود الحمل المفصل والواحد في الكثير والنواة في النخلة وتوابعها، وهذا الكمال الأسمائي من حيث التحقق والظهور موقوف على وجود العالم وما فيه لأن معناه السابق لا يحصل إلا بظهور العالم على وجه التفصيل، وأن تلك الوجود ليس بحال في الموجودات ولا متحد بها لأن الحلول والاتحاد لا بد لهما من وجودين حتى يحل أحدهما في الآخر أو يتحد أحدهما بالآخر، والوجود واحد لا تعدد له أصلاً، وإنما التعدد في الصفات على ما يشهد به ذوق العارفين ووحدانهم، وأن العبودية والتكاليف والراحة والعذاب والآلام كلها راجعة إلى التعينات، وأن ذلك الوجود باعتبار مرتبة الإطلاق منزوع عن هذه الأشياء كلها، وأن ذلك الوجود محيط بجميع الموجودات كإحاطة الملزم والموصوف بالصفات لا كإحاطة الظرف بالمظروف والكل بالجزء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وأن ذلك الوجود كما أنه باعتبار محض الإطلاق وسار في ذوات جميع الموجودات بحيث يكون ذلك الوجود في تلك الذوات عين تلك الذوات، كما كانت تلك الذوات قبل الظهور في ذلك الوجود عين ذلك الوجود، كذلك الصفات الكاملة لذلك الوجود باعتبار كليتها وإطلاقها سارية في جميع صفات الموجودات عين صفات الموجودات، بحيث تكون تلك الصفات الكاملة في ضمن صفات الموجودات عين صفات الموجودات، كما كانت صفات الموجودات قبل الظهور في تلك الصفات الكاملة عين الصفات الكاملة، وأن العالم بجميع أجزائه غير الصفات الكاملة أعراض، والمعروض هو الوجود، وأن للعالم ثلاثة مواطن، أحدها التعين الأول، ويسمى فيه شؤونياً، وثانيها التعين الثاني، ويسمى فيه أعياناً ثابتة، وثالثها التعين في الخارج ويسمى أعياناً خارجية، وأن الأعيان الثابتة ما شئت رائحة الوجود وإنما الظاهر أحكامها وآثارها، وإن المدرك أولاً في كل شيء هو الوجود وبواسطته يدرك ذلك الشيء كالتور بالنسبة إلى سائر الألوان والأشكال، ولأجل دوام الظهور وشدته لا يعلم هذا الإدراك إلا الخواص، وأن القرب قربان: قرب النوافل وقرب الفرائض، أما قرب النوافل فهو

زوال الصفة البشرية وظهور صفاته تعالى بأن يحیی ويمیت بإذنه تعالى، ويسمع ويصير من جميع جسده لا من الأذن والعين فقط، وكذا يسمع المسموعات من بعيد ويصير المبصرات من بعيد، وعلى هذا القياس، وهذا معنى فناء الصفات من صفات الله تعالى، وهو ثمرة النوافل.

وأما قرب الفرائض فهو فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات، حتى عن نفسه أيضاً بحيث لم يبق في نظره إلا وجود الحق سبحانه وتعالى، وهذا معنى فناء العبد في الله تعالى وهو ثمرة الفرائض، وإن من القائلين بوحدة الوجود من يعلم أن الحق سبحانه وتعالى حقيقة جميع الموجودات وباطنها علماً يقينياً، ولكن لا يشاهد الحق سبحانه وتعالى في الخلق، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق شهوداً حالياً بالقلب، وهذه المرتبة أعلى وأولى من المرتبة الأولى، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق والخلق في الحق، بحيث لا يكون أحدهما مانعاً عن الآخر، وهذه المرتبة أولى وأعلى من المرتبتين السابقتين، وهي مقام الأنبياء والأقطاب متابعيهم، ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطة من تلك المراتب الثلاث لمن خالف الشريعة والطريقة فضلاً عن المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما سواها من المرتبتين، وأن جميع الموجودات من حيث الوجود هي عين الحق سبحانه وتعالى، ومن حيث التعيين غير الحق سبحانه وتعالى، والغيرية اعتبارية، وأما من حيث الحقيقة فالكل هو الحق سبحانه وتعالى، ومثاله الحباب والموج وكور الثلج فإن كلهن من حيث الحقيقة الماء، ومن حيث التعيين غير الماء، وكذا السراب من حيث الحقيقة عين الهواء ومن حيث التعيين غير الهواء، والسراب في الحقيقة هواء ظهر بصورة الماء. أما الدلائل الدالة على وحدة الوجود فهي كثيرة، إما من القرآن بقوله عز وجل: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)<sup>(1)</sup>، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)<sup>(2)</sup>، (وهو معكم أينما كنتم)<sup>(3)</sup>، (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)<sup>(4)</sup>، (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)<sup>(5)</sup>، (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)<sup>(6)</sup>، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)<sup>(1)</sup>، (وإذا سألك

(1) البقرة: 114.

(2) ق: 16.

(3) الحديد: 4.

(4) الواقعة: 88.

(5) الفتح: 10.

(6) الحديد: 3.

عبادي عني فيأني قريب<sup>(٢)</sup>، (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)<sup>(٣)</sup> (وكان الله بكل شيء محيطاً)<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وأما من أقواله، صلى الله عليه وسلم، فقوله: أصدق كلمة قالتها العرب كلمة ليبد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل<sup>(٥)</sup>، إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يناجي ربه فإن ربه بينه وبين القبلة. وقوله، صلى الله عليه وسلم، عن الله تعالى: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها<sup>(٦)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني<sup>(٧)</sup>، إلخ. وروى الترمذي في حديث طويل: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لطبط على الله تعالى<sup>(٨)</sup>، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)<sup>(٩)</sup> إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وأما من أقوال الأئمة العارفين بالله الدالة على وحدة الوجود فكثيرة كثيرة بحيث لا تأتي في العد والحصر، ولذا لم أذكرها، وإن شئت فعليك بمطالعة نسخهم تجد إن شاء الله تعالى أيها الطالب إذا أردت الوصول إلى الله تعالى فالزم متابعة النبي، صلى الله عليه وسلم، أولاً قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً، ثم أفعال مراقبة وحدة الوجود ثانياً التي هي معنى الكلمة الطيبة من غير اشتراط الوضوء، وإن وجد فهو أولى، ولا تخصيص وقت دون وقت ومن غير ملاحظة النفس دخولا وخروجاً في المراقبة، ولا ملاحظة حروف الكلمة الطيبة، بل لا تلاحظ إلا المعنى فقط في كل حال، قائماً أو قاعداً ماشياً أو مضطجعاً، متحركاً أو ساكناً، شارباً أو آكلاً. وطريق المراقبة أن تنفي إنبتك إلا هذه الإنية، وهي معنى لا إله، ثم تثبت الحق

(1) الذاريات: 21.

(2) البقرة: 185.

(3) الأنفال: 17.

(4) النساء: 125.

(5) صحيح مسلم 4: 1768.

(6) المعجم الأوسط 9: 139.

(7) صحيح مسلم 19: 90.

(8) كشف الخفاء 1: 125.

(9) الحديد: 3.



سبحانه وتعالى في باطنك ثانياً، وهو معنى إلا الله. فإن قلت: إذا كان الوجود واحداً وغيره ليس بموجود فأى شيء ينفي وأي شيء يثبت؟ قلت: وهم الغيرية والاثنية الذي نشأ للخلق، وهذا الوهم باطل، فعليك أن تنفي هذا الوهم أولاً ثم تثبت الحق سبحانه وتعالى في باطنك ثانياً. واعلم أيها الطالب إذا غلب عليك الحال بفضل الله تعالى لا تقدر على نفي إنيتك الوهمية، بل لم يبق فيك إلا إثبات الحق سبحانه وتعالى، رزقنا الله تعالى وإياكم هذا المقام بحرمه النبي، صلى الله عليه وسلم، آمين يا رب العالمين.

ومما قرأته عليه أيضاً إجازة الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي، رضي الله عنه، كتب بها لبعض ملوك وقته<sup>(1)</sup> ونصها مع بعض اختصار من آخرها: باسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أقول: وأنا محمد بن علي بن العربي الحاتمي، وهذا لفظي استخرت الله تعالى أجزت للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل المرحوم، إن شاء الله، أبي بكر بن أيوب وأولاده ولم أدرك حياتي الرواية عني من جميع ما رويته عن أشياخي من قراءة وسماع ومناولة وكتابة وإجازة، وجميع ما ألقته وصنفته من ضرب العلم وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تقييدي هذا الحظ وذلك في غرة المحرم سنة اثنين وثلاثين وستمائة بمحروسة دمشق، وكان استدعاؤه أن أذكر له من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره منهم وبعض مسموعاتي وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعاه ونفعنا الله وإياه بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله إنه ولي كريم، فمن شيوخنا أبو بكر محمد بن خلف بن صافي اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبعة والكتاب الكافي<sup>(2)</sup> لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني المغربي في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني به عن ابن المواق أبي الحسن شريح بن محمد بن محمد الرعيني عن أبيه المؤلف. وحدثني من شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور، وحدثني به أيضاً عن ابن المؤلف.

(1) هو الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، من ملوك الدولة الأيوبية، توفي سنة 645 هـ: فهرس الفهارس 317:1. الأعلام 112:5.

(2) الكافي في القراءات السبع لأبي عبد الله محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة 476 هـ: كشف الظنون 1379:2.

ومن مشايخنا أيضاً القاضي أبو محمد عبد الله الباعقي بمدينة فاس، حدثني بكتاب التبصرة في مذاهب القراءات السبعة<sup>(1)</sup> لأبي محمد بن طالب المقرئ عن أبي بحر سفيان بن العاصي عن المؤلف بجميع تواليف مكِّي أيضاً، وأجازني إجازة عامة. ومن شيوخنا أيضاً القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير<sup>(2)</sup> لأبي عمرو الداني، حدثني عن أبيه عن المؤلف وبجميع تواليف الداني وأجازني إجازة عامة. ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري<sup>(3)</sup> سمعت عليه كتاب التفضي<sup>(4)</sup> لأبي عمر بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر عن المؤلف وبجميع تواليفه مثل: الاستذكار<sup>(5)</sup> والتمهيد<sup>(6)</sup> والاستيعاب<sup>(7)</sup> والانتقا<sup>(8)</sup>، وأجازني إجازة عامة وأجاز أن أروي عنه جميع توافيه. ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي<sup>(9)</sup>، وحدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعد لي من أسمائها: تلقين المبتدئ والأحكام الصغرى والكبرى والوسطى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره، وحدثني بكتاب الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن خراساني سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراءمي عن عبد الغافر الفارسي عن الجلودي إلخ،

- 
- (1) التبصرة في القراءات السبعة للشيخ الإمام أبي محمد مكِّي بن أبي طالب المقرئ القيسي المتوفى سنة 437 هـ في خمسة أجزاء وهو من أشهر مصنفاته: كشف الظنون 1:339.
  - (2) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المتوفى سنة 444 هـ: كشف الظنون 1:520.
  - (3) أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن زرقون الأندلسي، فقيه حافظ، له كتاب الأنوار في الجمع بين المتنقي والاستذكار، توفي بإشبيلية سنة 585 هـ: شرف الطالب، ص: 65.
  - (4) كتاب التفضي بحديث الموطأ للحافظ أبي عمر بن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة 463 هـ: كشف الظنون 2:1907.
  - (5) الاستذكار لمذاهب أئمة الأمصار وفيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار لابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة 463 هـ: كشف الظنون 1:78.
  - (6) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر بن عبد البر: كشف الظنون 1:484.
  - (7) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي: كشف الظنون 1:81.
  - (8) الانتقاء للمذاهب الثلاثة للعلماء، يعني مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي لابن عبد البر القرطبي: كشف الظنون 1:175.
  - (9) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي، أبو محمد، من أهل إشبيلية، فقيه حافظ، خرج من وطنه ونزل بجاية بعد الخمسين وخمسائة، له عدة مصنفات منها كتابه في الأحكام، وهو نسختان كبيرى وصغرى، وكتاب التهجد، وكتاب العاقبة، وكتاب تلقين الوليد، توفي ببجاية آخر سنة 582 هـ: التكملة لكتاب الصلة 3:120.

وأجاز لي إجازة عامة. ومن شيوخنا يونس بن يحيى العباسي الهاشمي نزيل مكة، سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق منها صحيح البخاري، حدثني به عن أبي الوقت عن الداودي، إلخ. من شيوخنا المكيين أبي شجاع زاهر بن رستم الصبهاني إمام المقام بالحرم الشريف، سمعت عليه كتاب أبي عيسى الترمذي، حدثني به عن الكرخي عن العورجي عن الخزاعي عن المحبوبي أجاز لي إجازة عامة. ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتح بن علي الحضرمي إمام مقام الخنابلة بالحرم الشريف سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني حدثني بها، عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن محمد السمناني، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر الهاشمي البصري، عن أبي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة وحدثني بكتب الخطيب. ومن شيوخنا محمد بن أبي الوليد بن أحمد بن محمد بن شبل، قرأت عليه كتباً كثيرة من تواليفه، وناولني كتاباً يُسمى نائب المجتهد وكتاب المقصد والأحكام الشرعية من تواليفه. ومن شيوخنا أبو عبد الله بن علون حدثني بكتب القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافيري عنه أجاز لي إجازة عامة. ومن شيوخنا عبد الله بن عمر بن أحمد ابن منظور الصفار حدثني بكتب الواحدي كتابة عن عبد الله الجبار بن محمد بن أحمد الخواري عنه. ومن شيوخنا أبو الوائل بن العربي سمعت منه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي<sup>(1)</sup> ابن عمه، حدثني به عنه وأجاز لي إجازة عامة. ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن مظفر اللبار حدثني بكتب ابن خميس عنه، وبكتب الحميدي، ومنهم محمد بن محمد البكري سمعت عليه رسالة القشيري عن جده عبد الكريم المؤلف وأجازني إجازة عامة. ومنهم ضياء الدين بن عبد الوهاب بن علي بن سكيئة شيخ الشيوخ ببغداد وأجازني إجازة عامة وأخذ عني أخذت عنه، حدثني بتأليف القشيري عن ابنه عبد الوهاب عنه. ومنهم أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتأليف البيهقي وأجازني إجازة عامة. ومنهم أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني أجاز لي إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمر بن شريح الرعييني المقرئ.

(1) أبو بكر محمد بن عبد الله القاضي أبو بكر ابن العربي الإشبيلي، الفقيه العلامة، ولد سنة 468 هـ، وتوفي سنة 543 هـ، ودفن بفاس، له عدة تأليف منها: سراج المهتدين، قانون التأويل، العواصم من القواصم، وغيرها: شرف الطالب، ص: 62، شجرة النور الزكية 1: 199. فهرس الفهارس 2: 855.

وأيضاً ممن أجازني إجازة عامة وكتب لي أن أروي عنه كتب السلمي عن محمد بن مصبار البيهقي عنه، ومنهم جابر بن أيوب الحضرمي، أجاز لي إجازة عامة وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقرئ، وأيضاً ممن أجازني إجازة عامة محمد بن أسعد بن محمد القزويني والحافظ الكبير ابن عساكر. وهو القاسم بن علي بن الحسن بن وهبة بن عبد الله بن الحسن الشافعي صاحب تاريخ دمشق. ومنهم محمد بن يوسف بن علي القزويني، ومنهم أبو الطاهر بن عوف، ومنهم أبو الطالب اللخمي بالإسكندرية، ومنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحافظ كتب بالرواية بجميع تواليفه. ومنهم أبو بكر بن أبي الفتح السجستاني، ومنهم محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب بن جامع بن عبدون البغدادي الصدفي، ويعرف بابن البناء.

ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي قرأ على جميع مصنفاته. ومنهم ابن النجار المالقي المحدث، ومنهم أبو الحسن بن الصائغ الأنصاري، ومنهم عبد الجليل<sup>(1)</sup> مؤلف المشكل في الحديث، وشعب الإيمان. ومنهم أبو عبد الله بن المجاهد. ومنهم عمران موسى بن عمران المتريلي. ولولا خوف الملل وضيق الوقت لذكرنا من سمعنا عليه ومن لقيناه.

وأذكر من مؤلفاتي ما تيسر فإنها كثيرة وأصغرها جزء أو كراس، وأكبرها ما يزيد على المائة. فمن ذلك المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث، واختصار مسلم واختصار البخاري واختصار الترمذي واختصار الحلي والاحتفال فيما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سني الأحوال. وكتاب الجمع والتفصيل في أسرار المعاني والتزيل، فرغ منه أربعة وستون مجلداً إلى قوله تعالى في سورة الكهف: (وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح)<sup>(2)</sup> الأربعين المتقابلة في الحديث الأربعين في الطوالا، ثم عد من تأليفه 358.

وما قرأته عليه أيضاً هذه المكاتبه وجواها، وهما مفيدان غاية. ونص ما قرأته عليه: الحمد لله اجتمع الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني ببعض أصحاب

(1) عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي الأندلسي، المشهور بالقصري، متصوف مشارك، صنف التفسير وشرح الأسماء الحسنی وكتاب شعب الإيمان، توفي بسبته سنة 608 هـ: سير أعلام النبلاء 12:22.

(2) الكهف: 59.

الشيخ علاء الدولة السمسنانى فسأله ما يقول شيخكم فى ابن العربى وكلامه؟ فقال: يعتقد أنه رجل عظيم الشأن ولكنه غالى فى قوله بأن الحق هو الوجود المطلق، فقال عبد الرزاق: أصل جميع معارفه هذا الكلام، ولا أحسن من هذا الكلام، فعجبا لشيخكم لا يستحسنه مع أن جميع الأنبياء والأولياء والأئمة على هذا، فأوصل التلميذ هذا الكلام إلى شيخه علاء الدولة، فكتب فى جوابه فى جميع الملل والنحل لا يوجد كلام أشنع من هذا الكلام، وإذا حقق الأمر كان مذهب الطبيعيين والدهريين أولى من هذه العقيدة بكثير، فلما وصل الكلام إلى عبد الرزاق كتب إلى علاء الدولة مكتوبا حاصله لا يخفى أن كل ما لم يكن على قانون الكتاب والسنة، فلا اعتبار له عند هذه الطائفة لأنهم متبعون. وبناء هذا المعنى، أي وحدة الوجود على هاتين الآيتين (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم)<sup>(1)</sup> إلى (شهيد)، (إلا إنهم فى مرية من لقاء ربهم)<sup>(2)</sup> إلى (محيط). والناس على ثلاث مراتب: الأولى مرتبة النفس، وهم أهل الدنيا، وأصحاب الحجاب ينكرون الحق وصفاته، فمن آمن منهم نجا من النار. والثانية مرتبة القلب، وهم أهل البصيرة بتجليات الأسماء، يستدلون بآياته فى الآفاق والأنفس على معرفة الصفات والأسماء وما كان معلوما عند الطائفة الأولى، أي أهل الإيمان، وهو مرضى عند هؤلاء. والثالثة مرتبة الروح وأهل هذا المقام تجاوزوا عن مرتبة نخلي الصفات إلى شهود جمع الأحدية، وحالهم فى حالة الخد (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)<sup>(3)</sup>، وهذه الطائفة يرون الخلق مرآة للحق والحق مرآة للخلق، وأعلى من هذا هو الاستهلاك فى عين أحدية الذات ووصف المحجوبين مطلقا (ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم)<sup>(4)</sup>، وأهل التجليات، وإن حصل لهم اليقين ولكنهم قاصرون عن معنى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك)<sup>(5)</sup> الآية. ومحتاجون إلى تنبيه، (ألا إنه بكل شيء محيط)<sup>(6)</sup>، وشهود هذه الحقيقة وما ظفر بمعنى (كل شيء هالك إلا وجهه)<sup>(7)</sup> إلا الطائفة الأخيرة، وفى هذه الحضرة هو المقام الأول والآخر والظاهر

(1) فصلت: 52.

(2) فصلت: 53.

(3) فصلت: 53.

(4) فصلت: 54.

(5) الرحمن: 26.

(6) فصلت: 53.

(7) القصص: 88.

والباطن عيان، وفي كل المتعينات وجه الحق مشهود، وتحققوا في وجود الأسماء والتعينات تنزه (فأينما تولوا فثم وجه الله)<sup>(1)</sup>، فعلم من هذه الإحاطة أن الحق تعالى منزّه عن جميع التعينات، وتعينه بعين ذاته وأحدثه ليست كأحدثية الأعداد حتى يكون له ثان، فمن كان له هذه المرتبة جرده الله عن قيود العقول وشهد تلك الإحاطة، ومن لا بقي في حجب الجلال. قال سيدنا علي رضي الله عنه: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فإنه لو شاء حساً أو عقلاً في وقت تجلي الجمال المطلق حصل التعين وصار الجمال جلالاً وصار الشهود نفس الاحتجاب، سبحان من لا يعرفه إلا هو وحده، والإنصاف أن كل بحث ذكرتموه في العروة وهو اسم كتاب لعلاء الدولة في نفي هذا المعنى دلائله ليست على منهج مشتقيهم، وإني بعدما حصلت العلوم الشرعية والعقلية حيث لم يحصل لي المطلوب منها علمت أن معرفة المطلوب وراء طور العقل فاخترت صحة المتصوفة، واستحسنوا هذا الكلام، ومع ذلك لم أكن وحدته في نفسي لم يطمس إليه القلب فأخذت الخلوة في مفازة سبعة أشهر حتى كشف الله لي عن هذا المعنى واطمأن قلبي، والله سبحانه وإن قال: (فلا تزكوا أنفسكم)<sup>(2)</sup>، لكن قال: (وأما بنعمة ربك فحدث)<sup>(3)</sup>، ولو لم يكن كما ذكر كيف يصدق وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وكيف يصدق ولو دلى أحدكم حبله لهبط على الله، وكيف يكون أقرب من حبل الوريد.

والحاصل ينبغي أن ينظر في هذا المعنى فإن ثالث ثلاثة بنص القرآن كفر، ورابع ثلاثة صرف الإيمان (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)<sup>(4)</sup> إذ لو كان ثالث ثلاثة كان متعيناً مثلهم، ولكنه أبو جودة الحفاني محقق الأعداد فهو مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، ولو لم أجده عياناً ما أكثرت عليكم الدلائل، ومن لم يصدق الجملة هان عليه أن لا يصدق التفصيل (وإنا وأياكم لفي هدى أو في ضلال مبين)<sup>(5)</sup> هـ. ملخصاً.

(1) البقرة: 114.

(2) النجم: 31.

(3) الضحى: 11.

(4) المجادلة: 7.

(5) سبأ: 24.

وكتب جوابه علاء الدولة على ظهر مكتوبة وأرسله إلى كاشان، وهو هذا: (قل الله ثم ذرهم)<sup>(1)</sup> الآية. كبراء الدين وسالكوا طريق اليقين اتفقوا على أن الذي يجني ثمرة الحق هو من كان طيب اللقمة، وصدق اللهجة شعارا له ودثارا، وحيث أن هذين مفقودان فما المقصود من هذه الطامات والترهات، آية العزيز كنت أطالع في كتاب الفتوحات وأكتب على هوامشه، فلما وصلت إلى قوله: سبحان من أظهر الأشياء وهو عيناها، كتبت (والله لا يستحي من الحق)<sup>(2)</sup> آية. الشيخ: لو سمعت أحدا يقول فضلة الشيخ عين وجود الشيخ لا تسامحه البتة، بل تغضب عليه، فكيف يسوغ أن ينسب إلى الله هذا الهذيان؟ تب توبة نصوحا لنتجو من هذه الورطة الوعرة التي يستنكف منها الدهريون والطبيعيون واليونانيون، (والسلام على من اتبع الهدى)<sup>(3)</sup>. وأما ما كتبتوه من أن في العروة ليس على المنهج المستقيم، فنقول: إذا كان الكلام مطابقاً للواقع واطمأنت إليه النفس ولا يعترض عليه الشيطان فذلك يكفينا والقلب يطمئن على وجوب وجوده ووحدانيته ونزاهته، ومن لم يؤمن بوحدانيته فهو مشرك حقيقي، ومن لم يؤمن بنزاهته من جميع ما يختص به من الممكن فهو ظالم حقيقي لأنه ينسب إليه ما لا يليق بكمال قدسه والظلم وضع الشيء في غير محله، ولذلك لعنهم الله في محكم كتابه (ألا لعنة على الظالمين)<sup>(4)</sup>، سبحانه عما يصفه به الجاهلون.

ولما تأملت في المکتوب ثانيا تذكرت أن هذا المقام حصل لي في أوائل المكاشفة وأواسطه، ولما وصلت إلى نهاية المكاشفة ظهر لي غلطه أظهر من الشمس يقينا لا مدخل للشك فيه، وكيف يؤول أكثر الآيات البينة لأجل آيات معدودة متشابهات، وذلك مثل محكم قوله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم)<sup>(5)</sup> وأخواتها فنؤول هذا ونقتدي بقوله: (وما رميت إذ رميت)<sup>(6)</sup>، وما علموا أن هذا لأجل تفهيم الخلق خصوصية رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما يقول الملك إذا أرسل مقربا له رسولا: يده يدي ولسانه لساني. وكما يقول الشيخ في إرسال مريده لإرشاد قوم: يده يدي، والغرض أن الغفلة عن قوله: (ألا لعنة الله على

(1) الأنعام: 92.

(2) الأحزاب: 53.

(3) طه: 46.

(4) هود: 18.

(5) الكهف: 105. فصلت: 5.

(6) الأنفال: 17.

الظالمين)<sup>(1)</sup> والإعراض عن قوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)<sup>(2)</sup> وأمثالها والتمسك بآية: (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن)<sup>(3)</sup> جهل بأن المراد هو الأول الأزلي تنتهي إليه سلسلة الاحتياج فضلاً عن شيء آخر، وهو الآخر الأبدي بأنه إليه يرجع الأمر كله، وهو الظاهر في آثاره الظاهر بسبب أفعاله الصادرة عن صفاته الثابتة لذاته، وهو الباطن في ذاته لا تدركه الأبصار ولا يعرف ذاته إلا هو. وقد صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: كل الناس في ذات الله حمقاً. وقال، صلى الله عليه وسلم: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله<sup>(4)</sup>. آية العزيز العلم المجرد الذي هو اعتقاد جازم مطابق للواقع نسبته إلى الشريعة، وعلم اليقين تعلق ببداية مقام المكاشفة، وعين اليقين بوسطه وحق اليقين بنهايته وحقيقة حق اليقين التي هي عبارة عن اليقين المجرد المشار إليه بقوله: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)<sup>(5)</sup> تعلقه بقطب درجات مقام المكاشفة، وكل من وصل إلى هذا المقام كل ما يقوله فهو مطابق للواقع وليس التوحيد المذكور في منازل السائرين آخر المقامات، بل هو المقام الثمانون وآخر المقامات المائة العبودية، وهو عود العبد إلى بداية حاله من حيث الولاية دائر مع الحق في شؤون تجلياته تمكناً. وبالجمله هذا المعنى الذي ذكرتموه ظهر لي في بداية مقام التوحيد ووسطه وبعده. ولما وضعت القدم في نهاية مقام التوحيد ظهر لي أنه غلط مخطئ مقرا على نفسي أن الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، فيا أيها العزيز اقتد أنت بهذا. ولما وقع النظر إلى قوله تعالى: (فلا تضربوا لله الأمثال)<sup>(6)</sup> فحوت الأمثال بالكلية والسلام هـ.

وقال الملا جامي في ترجمة الشيخ محي الدين ابن العربي: الشيخ علاء الدولة كان معترفاً بفضل الشيخ، ولكنه كان يخطؤه في قوله بأن الحق هو الوجود المطلق، بل كان يكفره. وبعض أهل العصر ممن كان يعتقد الشيخين ويتبع كلا منهما قال في بعض رسائله: لا خلاف حقيقياً بينهما فإن تخطئة الشيخ علاء الدين وتكفيره للشيخ راجع إلى أنه فهم من كلام الشيخ معنى غير مراد الشيخ، وذلك أن للوجود

(1) هود 18.

(2) فاطر: 6.

(3) الحديد: 3.

(4) اعتقاد أهل السنة 3: 524.

(5) الحجر: 99.

(6) النحل: 74.



ثلاث اعتبارات: الأول اعتباره بشرط شيء؛ وهو الوجود المقيد. والثاني بشرط لا شيء؛ وهو الوجود العام. والثالث؛ لا بشرط شيء، وهو الوجود المطلق. والشيخ محي الدين أراد المعنى الأخير، وعلاء الدولة حملة على المعنى الثاني، ودليل ذلك أن علاء الدولة أشار إلى إطلاق وجود الذات بالمعنى الأخير حيث قال في بعض رسائله: الحمد لله على الإيمان بوجوب وجوده ونزاهته عن أن يكون مقيداً محدوداً أو مطلقاً لا يكون له، بلا مقيداته وجود، وذلك أنه تعالى إذا لم يكن مقيداً محدوداً ولا مطلقاً يتوقف وجوده على وجود المقيدات فلا بد أن يكون مطلقاً لا بشرط شيء، فليس مشروطاً بالمقيد ولا العموم. وأما القيود والتعينات فهي شرط لظهوره في المراتب لا أنها شرط لوجوده في حد ذاته. والتزاع الذي بين علاء الدولة وعبد الرزاق من هذا القبيل، والله أعلم.

ومما سمعته عليه بقراءة غيري طرفاً من الفتوحات المكية لأستاذ المحققين سيدي الشيخ محي الدين محمد بن العربي قدس سره وهو يرويهما وبقية كتب الشيخ محي الدين عن شيخه سيدي الشيخ أحمد الشناوي عن الشمس محمد الرملي عن زكريا، عن أبي الفتح المراغي، عن الحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد العثماني المكي، عن الحافظ أبي نصر محمد بن محمد الشيرازي عن مؤلفها. ولم يزل يجري على لسانه كثير من حكايات صاحب الفتوحات، رضي الله عنه، ووقائعهم ومن جملة ما حكى لي عنه أنه، رضي الله عنه، أعني الشيخ محي الدين ذكر عن نفسه أنه كان ذات يوم بمكة جالساً مع أصحابه فجرى ذكر الحديث الذي فيه قول الله جل جلاله لأيننا آدم عليه السلام أخرج بعث النار. فقال الشيخ، رضي الله عنه، لأصحابه: تعالوا نهدى لأيننا هدية نتخذ بها عنده يدا حتى لا يخرجنا فيمن يخرج. فقالوا: نعم، فأى شيء نهديه له؟ فقال الشيخ إن الله قد نهب لنا على لسان رسوله نهب النبابة عن الغير في بعض الأعمال البدنية كالحج والعمرة، وليس هذا وقت حج، قوموا بنا فلنعتن عن أيننا آدم ليكون ذلك وسيلة لنا عنده. فقاموا كما هم فذهبوا إلى التمتع بقصد الإحرام، فلما وصلوا مساجد عائشة وجدوا هنالك بعض أصحاب الشيخ، وكان قد خرج قبلهم بقصد العمرة فسألهم عن الخبر وقال: ما الذي أخرجكم وقد تركتكم ورائي بمكة وما لكم نية في الخروج. فأخبروه بما قال الشيخ. فجاء إلى الشيخ وقال له: إني خرجت قبلكم بقصد العمرة، وأنا الآن أريد أن أحرم بما به أحرمتم وبالقصد الذي به قصدتم. فقال له الشيخ له: امض أنت

على عملك الذي خرجت له فإنك لم تخرج بهذه النية. فأحرم الشيخ، رضي الله عنه، وأصحابه بالنية المذكورة، فجاؤوا مكة وتمسحوا بالبيت ووقفوا بالمروتين وتم نسكهم. فلما كان في الليلة المقبلة رأى صاحبهم الذي أحرم بغير ما أحرموا به أن القيامة قد قامت وحشر الناس وقيل لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار، فجيء بالشيخ وأصحابه فقال آدم عليه السلام: إن هؤلاء عندي يدا أكافيهم بها اليوم فلا أخرجهم فيمن أخرج. قال الرائي: فقلت: وأنا معهم فيأتي من أصحاب هذا الشيخ. فقال إنك لم تحرم بما به أحرموا. فقلت: قصدت ذلك فمنعني هذا الشيخ. فقال الشيخ، رضي الله عنه، مصدقا له: أنا منعه ولكنه صاحبنا فهبه لنا، فوهبه لهم. انتهت الحكاية بالمعنى.

وعندما حكى لنا شيخنا هذه الحكاية قال لي الشيخ: وأنت إذا ذهبت إلى مكة فاعتمر عمرة عن أبينا آدم بهذه النية، فلما من الله بالوصول إلى مكة والإقامة فيها اعتمرت عمرا متعددة في رمضان وغيره، ولم ألق بالآل لما ذكر لي الشيخ، رضي الله عنه، ورأيت أن ذلك منه تلميحاً فقط حتى جاءني كتاب منه بعثه إلي من المدينة يحضني فيه على ذلك، ونص الكتاب تيمنا بألفاظه وتبركا بنفسه الرباني لما اشتمل عليه من الإشارات العرفانية والحقائق العيانية، وذلك شأنه، رضي الله عنه في سائر كتبه على منهج شيخه الصفي، فلا دلالة لهم إلا على الله، ولا إشارة لهم إلا إليه، ونصه: الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، عدد خلق الله بلبوام الله، من الحقير إبراهيم إلى الأخ الفاضل نادرة الوقت سيدي الشيخ عفيف الدين أبي سالم عبد الله العياشي، كان الله له، حيث كان وأمه في السر والإعلان في عافية آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن سألت عنا فله الحمد في عافية، والمسؤول أن تكونوا كذلك موفقين لاغتنام الخبرات في تلك المواطن المباركات، شاهدين من أقام فيها الآيات المبينات لتكون من أهل الاعتبار التلويحي من الصور إلى المعنى بسلطان من الله ذي العزة والجبروت، وهكذا ينبغي أن يكون شأن من أضيف إلى الله بكونه عبد الله لا عبدا لغيره من صور الأكوان من حيث هي، وما نظر إليها من حيث هي مجالي النور الأحدي، فلم يخضع إلا إلى الله كما ورد في آخر حديث الكسوف أن الله إذا انجلى لشيء خضع<sup>(1)</sup>. أيدني الله

(1) الجامع الصغير 154: 1.

وإياكم بنور من عنده من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، آمين والسلام على الأخ عبد الرحمن وبقية أصحابكم، وإن اجتمعت بأخي عبد الرحمن فبلغ سلامي إليه، وإن تيسر فاشربوا عني ماء زمزم بنية العفو والعافية، ثم بنية حفظ القرى، جزيتم خيراً، ولا تنسوا الاعتمار عن أئينا أبي البشر آدم صنع الله صلوات الله عليه وسلامه، صلة للرحم وتمهيذاً للشفاعة، وامتنالاً لأمر الله الطالب لذلك بما وضع من الشرع الشريف الموصل إلى السعادة بإذن الله المنان، وبلغ سلامي إلى شيخنا بركة الوقت سيدي الشيخ عيسى سلمه الله تعالى ونفع به آمين، هـ بحروفه.

وعندما وصل إلي الكتاب امتثلت أمره فخرجت إلى التعميم راجعاً، وأحرمت بالنية المذكورة، نسأل الله أن ينفعنا بأمثال إشارة أوليائه ويشفع فينا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكل أنبيائه.

قال شيخنا، رضي الله عنه، يآثر الحكاية المتقدمة: ولما بلغت حكاية الشيخ محي الدين وأصحابه إلى بعض المترسمين من الفقهاء الشافعية قال: إذا يلزمهم الدم لأن آدم عليه السلام أفاقاً. قلت: البحث بأمثال هذا عند أهل القلوب مما يستبرد، وعلى تقدير وقوعه فلا نسلم أن آدم أفاقاً، إما لأن الدنيا كلها بالنسبة إليه بمنزلة بلد الإنسان أنزله الله إليها وأباح له التصرف فيها كلها والتقلب فيها حيث شاء، وإما لأن مكة أم البلاد وهو أبو أهلها، فهي بالنسبة إليه بلد الإنسان<sup>(1)</sup>، وإن كانت جميع الأرض له بنسبة دار الإنسان على جميع البلد الذي هو ملكه، أو نقول مكة هي بلده حقيقة إذ هو الذي بنى البيت أولاً على ما ورد في بعض الأحاديث، فلا يعلم على وجه الأرض موضع ما بنى فيه آدم، وطاف به وتعبد لله وسجد وكثر تردده إليه، إلا موضع البيت، وهذا معنى كونه بلده، إذ الموضع الذي كثر تردد الإنسان إليه أكثر من غيره وكثرت إقامته به وهو محل عبادته هو بلده، وعلى القول بأنه مدفون على جبل أبي قبيس كما قال به غير واحد، أو في موضع البيت على ما رأيت للشيخ محي الدين في بعض تأليفه، فلا كلام في أنها بلده، ويؤيد ذلك ما ورد أيضاً أنه تعرف بحواء في عرفات، فسميت عرفات وازدلف إليها في مزدلفة، فسميت مزدلفة، فأول مكان اجتمع فيه الإنسان بأهله ودنا منهم هو بلده، فأى بلد على وجه الأرض يعلم لها من النسبة لآدم ما علم لهذا البلد من النسبة بالبناء والتعبد الكثير والدفن به والاجتماع بالأهل والدنو منهم. ومدفن

---

(1) ساقط من ط.

زوجته حواء بجدة، وهي من عمل هذا البلد على القول بأنها مدفونة فيها، فالبلد الذي هو مدفن الإنسان ومدفن أهله أحق البلاد بأن تنسب إليه من غيرها من البلد التي لم يعلم له فيها إلا مجرد مروره أو نزوله، كجبل سرنديب بالهند، فإن قيل قد علم أن آدم كان عيشه وعيش أولاده من الحرثة، والزراعة والغرس وتعاني الأعمال التي هي مكاسب أولاده من بعده، ومكة ليست ببلاد زرع وحرثة وغرس كما هو المشاهد، ولقول إبراهيم (بواد غير ذي زرع)<sup>(1)</sup>، فظهر أن مسكن آدم وبلاده هي بلاد أخرى غير مكة، إما بالهند الذي هو محل نزوله، أو غيره من البلاد، فيقال: لا نسلم أن مكة إذ ذاك لم تكن بلاد زرع وحرث مع أن أعمالها القريبة منها من الطائف ونجد، ومن الظهران وغير ذلك من قرى الحجاز ذات مزارع، وكور مكة بنفسها ليست بها مزارع الآن لا يقدح في ذلك، فقد قال الأعرابي للنبي، صلى الله عليه وسلم، في حديث الرجل الذي انتهى الزراعة في الجنة: إذا لا تجده إلا قرشياً أو أنصاريّاً<sup>(2)</sup>، فوصف قرشنا بالزراعة مع أن وطنهم مكة وليست بأرض زرع، ولكنهم كانوا يزرعون في نواحيها، وأيضاً فإن آدم عليه السلام أعطي من القوة على العمل وغيره ومن عظم الجسم والخلقة ما لم يعط غيره من بنيه، بدليل حديث: ولم يزل الخلق ينقصون<sup>(3)</sup> حتى الآن، وسخر له الملائكة يعينونه في أعماله لكونه غريب الشكل في الأرض، فأيد بهم، يعينونه في أشغاله ويحرسونه من مردة الشياطين، مع ما أعطي من سلطان النبوة والاحتباء، وأعطي من حلل الخلافة في الأرض، فلا يبعد أن تكون مكة هي وطنه، وأطراف الأرض من شام ومصر وعراق ويمن بالنسبة إليه وإلى بلده نسبة بساتين البلد ومزارعه إليه، فيتصرف في الشام والعراق في أشغاله؛ من حرثة وزراعة وغير ذلك، ثم يأوي إلى أهله<sup>(4)</sup>، ومسكنه بمكة، لما أعطي من القوة، فيكون ذلك عنده، مع بعد المسافة، بمنزلة غلوة أو روحة يغدوها أحدنا أو يروحها إلى ضياعه، ومكاسبه لما أعطي من القوة وأيد به من المعونة، وقد أطلنا الكلام في هذا مع أنه ليس من متين العلم، ولكنه لا يخلو من فوائد إظهارا للجهل هذا الفقيه المجترئ على الرد على أولياء الله تعالى ولم يراع الأدب، فنسبهم إلى الجهل بما يجب عليهم في

(1) إبراهيم: 39.

(2) صحيح البخاري 2: 826.

(3) فيض القدير 11: 2.

(4) في ط: إليه.

فرع من الفروع من الديانة، ومن أيد بنور العلم لم يشكل عليه شيء مما ورد عن أهل الله مما يبادر عوام الناس المترسمة إلى إنكاره، وإني أحمد الله حمداً كثيراً وأشكره شكراً أثيراً على ما منحني من حسن الاستماع وحسن القبول لما أسمع من كلامهم فإني بحمد الله ما أذر أني سمعت كلاماً من كلامهم فنفر منه قلبي أو كرهه، وإن كان في غاية الإشكال، بل ينشرح قلبي لسماعه وقبوله، ولو لم أفهمه، وغالبه لا أكرر النظر فيه مراراً بحسن النية إلا وبمن الله بفهمه على وجهه أو ظهور محمل لائق عليه، وما<sup>(1)</sup> لم أجد محملاً أحده في قلبي برد التسليم له والتفويض في معناه لله ولرسوله ولأولي العلم من خلقه إذ هم خلفاء الله ورسوله في فهم كلامه وكلام أوليائه.

وولد الشيخ محي الدين مُرسية<sup>(2)</sup> ليلة الاثنين السابع والعشرين من رمضان سنة ستين وخمسائة.

ومن فوائد الشيخ محي الدين في كتاب الفتوحات ما نصه<sup>(3)</sup>: وعندي أن البسملة متعلقة بالحمد لله، فإن الله تعالى لا يحمد إلا بأسمائه ولا نتكلف في القرآن مخلوفاً إلا لضرورة، ولا ضرورة هنا، فإذا قال العارف: باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل كما قلت، لا يثني على الله إلا بأسمائه. وأما قولهم المصادر لا تعمل عمل الفعل إلا إذا تقدمت، وأما إذا تأخرت فضعف، فعندي غير مرضي في التعليل لأنه تحكم من النحوي، انتهى. فما أدق فهم هذا العرف، فله در الإمام الغوري في قوله فيه: هو أعرف بكل فن من أهل كل فن. قال بعضهم إثر ما تقدم: وما ذكر من الامتناع هو مذهب جمهور النحاة، واختار جمع من المحققين منهم الرضی والسعد جواز عمله في الظروف المتقدمة، وهو الأظهر لأنها مما تكفي فيها رائحة الفعل هـ.

قلت: فقول العارف محي الدين: لا يثني على الله إلا بأسمائه لا يرد عليه أن الثناء على الله كما يكون بالأسماء يكون بالأوصاف الكاملة، وكل أوصافه تعالى كاملة، وبأفعاله المحمودة وكل أفعاله تعالى محمودة، لأننا نقول الثناء بالأوصاف

(1) في ط: لو.

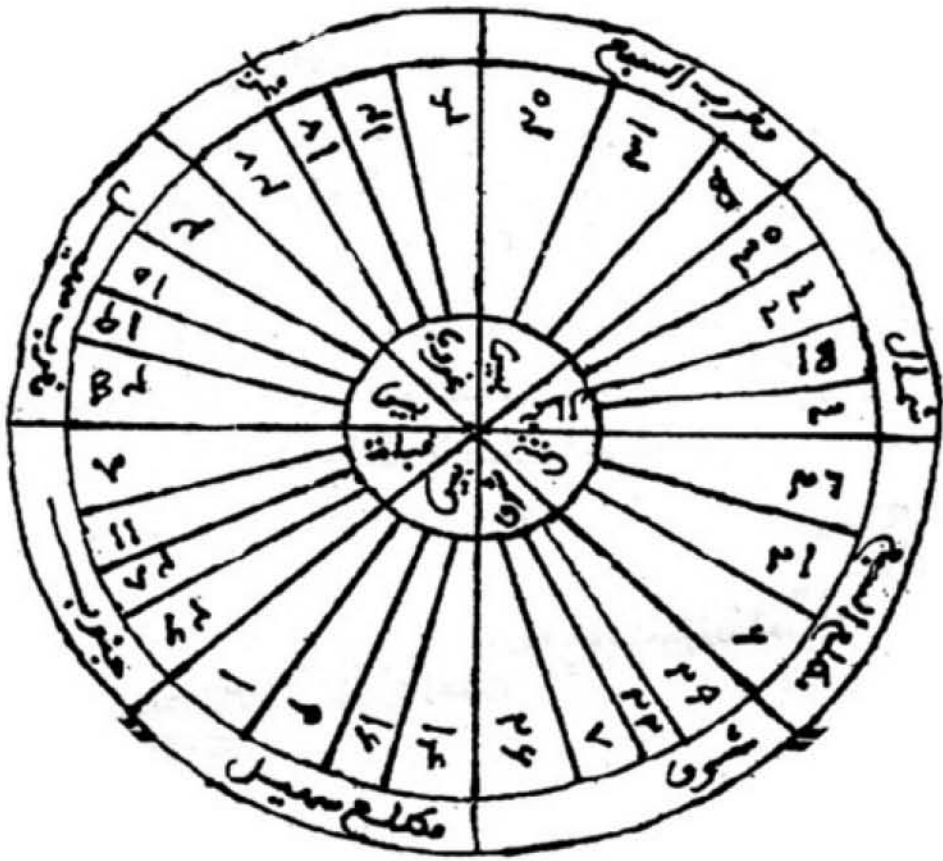
(2) مُرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام، فاستمر الناس على اسم موضعها الأول: معجم البلدان: مرسية.

(3) لم يرد هذا النص في الطبعة التي اعتمدناها من كتاب الفتوحات.

والأفعال يشملها الثناء بالأسماء فإن أسماء مشتقة من أوصافه وأفعاله آثار أسمائه وصفاته، فيرجع الثناء كله إلى كونه بالأسماء، فإن قيل: لم يقل فإن الثناء عليه لا يكون إلا بأوصافه، فيكون شاملاً أيضاً لأن الأسماء مشتقة منها والأفعال أثرها.

قلنا: لو قيل ذلك لم يشمل الثناء بما ليس من الأسماء مشتقاً كأعظمها وهو الله الذي هو علم فإنه ليس مشتقاً من شيء على أصح الأقوال، ولأن الثناء بالأسماء أبلغ من الثناء بالصفات لأن الأسماء دالة على الذات والصفات، فالعلم منها دال على الذات بسائر صفاته، والمشتق منها دال على الذات الذي له الصفة التي اشتق منها الوصف كما هو المعروف عند المحققين أن المشتق معناه الذات الذي له الصفة لا مجرد الصفة، بخلاف الصفة فإنها لا تدل على الذات بالوضع وإنما تدل بالالتزام على ذات ما تقوم بها الصفة، فقد ظهرت أبليغة الثناء بالأسماء، فلا يثنى على الله إلا بأسمائه وفي ضمنها الثناء بالأوصاف والأفعال. وللعارفين كلام أعلى من هذا وأدق في كون الأفعال كلها من مقتضيات الأسماء وكذلك الأوصاف، ولسنا الآن بصدد. وكلام العارفين بالله لا يخلو من ملاحظة هذه الأسرار لأن كلامهم ميراث كلام الله ورسوله الذي هو منبع اللطائف والأسرار.

ومن فوائد الشيخ محي الدين أيضاً في شرحه لكتابه: براءة المعاني في العالم الإنساني أن رجال الغيب والأرواح المقدسة في كل يوم من أيام الشهر متوجهون على جهة من الجهات الثمانية، فإذا أردت سفراً أو حاجة فاعرف موضعهم من الدائرة الآتية ثم توجه بقلبك وقالبك إليهم، ثم اقرأ الفاتحة واهد ثوابها إليهم وقل: السلام عليكم يا رجال الغيب يا أرواحاً مقدسة يا نقبا يا نجبا يا أبدال يا أوتاد، أغيثوني بنظرة وأعينوني بقوة، بحرمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. فترجع وقد نلت مطالبك وبلغت مآربك، وهذه الدائرة المباركة:



ورأيت في بعض التقاليد مما يتعلق بهذه الدائرة ما نصه: دعاء يقرأ بنية رجال الغيب وهو هذا: السلام عليكم يا رجال الغيب، يا أيها الأرواح المقدسة أغثوني بغوثه، وانظروني بنظرة، يا رقبا، يا نقبا، يا نجبا، يا أبدال، يا أوتاد، يا أمامين، يا غوث، يا قطب، أغثوني في جميع أموري بحرمة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد، عليه الصلاة والسلام، سلمكم الله في الدنيا والآخرة. يدعوه به وهو غير مستدبرهم ويقوم لهم بخشوع وسلام.

وهذا دعاء الاستقبال، يعني، والله أعلم، استقبال القبلة بعد التوجه إليهم أولاً ثم يقول: باسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك اللطف في القضاء كما لطفت بعظمتك دون العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك أني أسألك اللطف في القضاء كما لطفت بعظمتك دون العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً، اللهم إني أسألك باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الأقطار كلها أن تكشف عني ما أمسيت وأصبحت

فيه، يا حي يا قيوم يا قائم على كل نفس بما كسبت، أسألك بما سألك به الإمام الأعظم القطب الجامع الفرد وبالإمامين والبدا والرقبا والنجبا والأمن أن تسخر لي كل مخلوق على اختلاف الألوان واللغات، وأن تجلب لي المنافع والخيرات من جميع الآفاق والجهات، يا بروح اجلب المنافع والفتوح، وابعث لي الأرزاق من كل باب مغلق ومفتوح يا الله، قسماً عليك بنبيك المملوح بالمدد والفرح والنجاة مشعر بروح، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

### لطيفة:

رأيت في كتاب المحاضرات والمسامرات للشيخ محي الدين ابن العربي، رضي الله عنه، ما نصه<sup>(1)</sup>: "أنشدنا أبو عبد الله بن عبد الجليل قال: أنشدنا أبو الحسن علي المسفر<sup>(2)</sup> بسبته لنفسه:

[مخلع البسيط]

يا أيها المتبلى بذمي      قد علم الله ما تقول  
من حاسب النفس كل حين      لم يتهاون بما يقول

كان هذا الشيخ المسفر جليل القدر، حكيماً، عارفاً، غامضاً في الناس مخمول الذكر، رأيته بسبته<sup>(3)</sup>، له تصانيف منها: منهاج العابدين<sup>(4)</sup> الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له، إنما هو من مصنفات هذا الشيخ، وكذلك له أيضاً كتاب

(1) محاضرة الأبرار 160:1

(2) علي بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصاري الوراق، من أهل مرسية، يكنى أبا الحسن، اشتهر بلقب المسفر، رحل حاجاً فأدى الفريضة وعاد إلى مرسية، وتوفي سنة 621 هـ، ستمائة ومولده بعد الخمسين وخمسمائة: التكملة لكتاب الصلة 232:3.

(3) سبته: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة: معجم البلدان: سبته.

(4) قال صاحب كشف الظنون: منهاج العابدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ، وقيل هو آخر تأليفه، رتبه على سبع عقبات: الأولى عقبة العلم، الثانية عقبة التوبة، الثالثة عقبة العوائق، الرابعة عقبة القوادح، السابعة عقبة الحمد والشكر، وهو كتاب لطيف نافع لمن أراد الآخرة وأعرض عن الدنيا: كشف الظنون 1876:2.



النفخ والتسوية<sup>(1)</sup> الذي يعزى لأبي حامد، ويسميه الناس المضمون به على غير أهله، ولهذا الشيخ أيضا القصيدة المشهورة<sup>(2)</sup>:

[رمل]

قُلْ لِأَخَوَانِ رَأَوْنِي مَيِّتًا      فَبِكُونِي إِذْ رَأَوْنِي حَزْنًا  
أَنْظَنُونَ بَأْأَيِّ مَيِّتُكُمْ      لَيْسَ ذَاكَ الْمَيِّتُ وَاللَّهُ أَنَا

هـ.

قلت: قد اشتهر واستفاض بسببته نسبة منهاج العابدين للغزالي، وقد كنت قبل رؤية هذا الكلام أتعجب من كونه ليس حاريا على مذهبه في كنبه ولا هو مطابق لنفسه، وقد كنت أبحث كثيرا عن المشايخ الذين نقل عنهم فيه حيث يقول: قال شيخنا أبو محمد قال شيخنا أبو عمرو: وليس ذلك ذأبه في مصنفاته، وأنا مع ذلك لا أشك أن الكتاب له لاشتهار ذلك، وللإشارة فيه إلى إحياء علوم الدين، ولنقله فيه عن إمام الحرمين سمعا، فلما رأيت كلام الشيخ محي الدين المتقدم تيقنت أنه ليس له لعدالة الشيخ محي الدين وسعة علمه واطلاعه، سيما وقد ذكر أنه يعزى لأبي حامد مما نفاه عنه مع علمه بالعزو المذكور، إلا لعلم يقين حصل له بأنه لغيره مع شواهد القرائن المتقدمة، فإن كلام الإمام أبي حامد لا يكاد يخفى على من مارسه، فإنه لسان وقته بلاغة وتحريرا، وذو الذوق السليم يميز بين الكلامين، ويشهد لذلك أيضا أن من عرف بالإمام أبي حامد من المتقدمين لم يذكر هذا الكتاب في تأليفه، والله أعلم.

وقد اشتهر نسبة كثير من التأليف لغير أربابها، فمنها كتاب مفتاح الفلاح<sup>(3)</sup>، فقد ذكر الشيخ زروق وغيره أنه لابن عطاء الله، وقد ذكر لي شيخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي أنه لشمس الدين البرشيني. قال لي شيخنا، وهو الغالب على الظن لبعده من كلام الإمام ابن عطاء الله في جميع تأليفه فإنه لا يكاد كلامه يخلو من

(1) نقل صاحب كشف الظنون ما جاء في كتاب محاضرة الأبرار في سياق حديثه عن مؤلفات الغزالي: كشف الظنون 2: 1876.

(2) محاضرة الأبرار 1: 160.

(3) مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتاح للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندراني المتوفى سنة 709 هـ: كشف الظنون 2: 1769.

نقل كلام شيخه المرسى ومن كلام الشاذلي، وهذا الكتاب ليس فيه إلمام بشيء من ذلك، والله تعالى أعلم.

وأول ما أنشده الشيخ محي الدين في الفتوحات بيتين ذكرهما في خطبة الكتاب وهما<sup>(1)</sup>:

[مخلع البسيط]

الرب ربَّ والعَبْدُ عَبْد      يا ليتَ شِعري من المُكَلَّفِ  
إن قلتَ عَبْدٌ فذاك مَيِّت      أو قلتَ ربَّ أئى يُكَلَّفُ

وذيلهما شيخ شيوخنا العارف بالله أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي بقوله<sup>(2)</sup>:

[مخلع البسيط]

نعم بِحَقِّ إثباتِ عَبْد      لَنعتِ فَرَقٍ مَعَهُ يُكَلَّفُ  
والعَبْدُ مَيِّتٌ بغيرِ رب      لَسِرِ عَوْنٍ مِنْهُ مَكَلَّفُ

هــ

قلت: ويمكن أن يقال بحسب مدرك عقولنا معاصر القاصرين، وإلا إشارته، رضي الله عنه، مما لم تبلغه عقولنا بعد المكلف هو العبد بعدما أفاض عليه الرب نور وجوده فصار مظهراً له، فليس يميت على هذا، فلولا نور الوجود الحق المفاض على العبد ما صح تكليفه إذ هو ميت كما قال: بل عدم محض، ولولا العبودية التي هي مظهر من مجالي ذلك الوجود ما صح التكليف أيضاً إذ الوجود الحق لا يكلف، فمن أيده الله بنور الهداية أدرك الحقيقة المكلفة ذات النسبتين بحيث لا يصح التكليف بدون إحداهما، ومن طلب تمييز النسبة المكلفة من تلك الحقيقة لم يتضح له ذلك ووقع في الحيرة، بل لا يصح ذلك التمييز أصلاً لأن النسب أمور اعتبارية، والأمور الاعتبارية لا يمكن تمييزها بدون ما اعتبرت به أو له، إذ لو تميزت صارت قائمة بنفسها في الوجود الخارجي أو الذهني، والنسب والإضافات أمور

(1) الفتوحات المكية 2:1.

(2) ورد البيتان في: صفوة من انتشر، ص: 90.

اعتبارية لا تحقق لها في حد ذاتها، وأستغفر الله من الخوض فيما لم يبلغه فهمي وغاض دونه علمي، فإني أعلم أن إشارة العارف، رضي الله عنه إنما هي لأمر فوق هذا، ولكن لما جرى في البتين ذكر الرب تتره وتقدس عمّا لا يليق بكماله من ممازجة الحوادث وملابستها أردت أن أذكر للبتين معنى يقرب من أفهام العقول الضعيفة حتى لا يقذف الشيطان فيها شيئاً مما يشين عقائد أصحابها أو يحملها على إساءة الظن باعتقاد العارف، ووازن ذلك السؤال مع تجنب ذكر لفظ الرب تزيهاً له عن نسبة التكليف إليه ولو ترديدا مع سلبه آخراً عنه بأن الاستيعادية أن يقال<sup>(1)</sup>:

[مخلع البسيط]

الروح روح والجسم جسم      يا ليت شعري من المكلف  
إن قلت جسمٌ فذاك ميت      أو قلت روح أنى يكلف

وبأني فيه ما تقدم إذ الجسم بلا روح ميت حقيقة لا يصح تكليفه، والروح بلا جسم لا يكلف أيضاً، إذ التكليف إنما هو بالأعمال المزاولة بالأبدان لمن يصح منه الفعل والترك، فأما من يصح منه الفعل أصلاً كالجسم دون روح فلا يكلف، ومن لا يصح منه الترك أصلاً، كالروح قبل ملابسة الجسم فلا يكلف أيضاً لأنه من عالم الأمر، وقد قال الله تعالى: (قل الروح من أمر ربي)<sup>(2)</sup>، فهو كالملائكة الذين هم أرواح مجردة لا يصح وقوع المخالفة منهم فـ(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)<sup>(3)</sup>، وكذلك كانت الأرواح قبل ملابسة الأجساد لا يصح وقوع المخالفة منها بل هي منقادة للأمر بدليل إقرارها بالربوبية كلها في عالم الذر دون تأب ولا تَلَك، وكذلك أيضاً قبل استحكام ملابستها للأجساد ووقوع الألفة المتطاولة بينه وبينها وذلك قرب الولادة بدليل قوله عليه السلام: ما من مولود إلا ويولد على الفطرة<sup>(4)</sup>. الحديث. فإذا فهمت ذلك علمت أن المكلف الحقيقة الإنسانية الملاحظ في حقيقتها النسبة الروحانية والنسبة الجسمانية، وإن ذهبت لتحقيق تمييز إحدى النسبتين عن الأخرى ذهبت الحقيقة الإنسانية المكلفة

(1) الفتوحات المكية 2:1.

(2) الإسراء: 85.

(3) التحريم: 6.

(4) صحيح البخاري 456:1.

رأساً، إذ الجسد بلا روح ليس بإنسان مكلف، والروح بلا جسد كذلك، فالحقيقة المكلفة تحدث عند ازدواجهما وتنفي عند اقترافهما، ولذلك قال أهل الحق: إنَّ التَّعْزِيمَ والتَّعْزِيبَ في الآخرة إنما هو للروح والجسم معاً، إذ بهما توجد الحقيقة المكلفة المتوقعة بالعذاب الموعودة بالتَّعْزِيم لا للروح وحده كما قال الملحدة، فإذا فهمت معنى التَّردِيدِ في التَّكْلِيفِ هل للروح أو للجسم وهما معاً محدثان، وأنَّ التَّكْلِيفَ في الحقيقة إنما هو لأمر يوجد عند تمازج الحقيقتين لم يبعد عليك، إن نور الله بصيرتك ولم يسرع إلى خيالك اعتقاد الحلول والاتحاد في جانب الربوبية أن تفهم ذلك أيضاً فيما بين الربوبية والعبودية، فالربوبية قديمة والعبودية حادثّة والتَّكْلِيفُ إنما هو لحقيقة توجد عند ملاحظة نسبة العبودية الحادثّة للربوبية القديمة، والنسبة بينهما نسبة الأثر إلى المؤثر، فلولا فيضان نور وجود المؤثر على الأثر لما وجد الأثر، ولولا الأثر لما ظهر سلطان قدرة المؤثر لغيره، إذ لا غير بدليل: كنت كثيراً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني<sup>(1)</sup>، يعني كثيراً لم يعرفني غيري، فبعد وجود الأثر منسوباً للمؤثر ثبتت هناك حقيقة يصح نسبة التَّكْلِيفِ إليها لا وجود لها بدون الأثر والمؤثر، وإن شئت قلت: هي الأثر ملحوظا نسبته إلى المؤثر، ولا تقول: هي المؤثر ملحوظاً ظهور وجوده في الأثر لما في ذلك من إيهام وقوع التَّكْلِيفِ على الرب تعالى عن ذلك. وأما المثال الآخر في المحدثين فيصح ذلك من الجانبين، والله تعالى أعلم. وقرأت على شيخنا الملا إبراهيم طرفاً من فصوص الحكم للشيخ محي الدين، وناولني، كما قرأ منه على شيخنا صفي الدين وناوله إياه، وهو ناو له إياه الشيخ محي الدين في رؤيا رآها، وقد ذكر الشيخ محي الدين، رضي الله عنه، في أول هذا الكتاب أنه ناو له إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>.

وهذا الكتاب من أغمض كتب الشيخ محي الدين إشارة وأدقها عبارة على صغر حجمه، وقد اعتنى الناس بشرحه، فشرحه جماعة كثيرة، ومع ذلك حارت أفهامهم في فهم كثير من رموزه واستخراج خبايا كنوزه، وأحسن ما رأيت عليه من الشروح شرح الملا عبد الرحمن الجامي، وكان الملا جامي، رضي الله عنه، آية من آيات الله في علمي الظاهر والباطن، وله شرح على كافية ابن الحاجب، هو من

(1) كشف الخفاء 173:2.

(2) فصوص الحكم، ص:9.

أحسن شروحها، وهو أكبر ساداتنا أهل سلسلة الخوجكان صاحب أصحاب بهاء الدين نقشبند رضي الله عنهم.

وقرأت عليه أيضاً طرفاً من أنوار التثريب للقاضي ناصر الدين اليبضاوي، رضي الله عنه، من أوله<sup>(1)</sup>، وذلك المحل الذي قرأته عليه هو الذي قرأه على شيخنا صفى الدين القشاشي، فاخترت قراءة المحل الذي قرأه على الشيخ تيمنا بذلك. وقرأت عليه المراجعة التي وقعت بين كمال الدين الشيخ عبد الرزاق الكاشي وبين الشيخ علاء الدولة السمناني<sup>(2)</sup>، رضي الله عنهما، في مذهب الشيخ محي الدين، وقوله في معنى الوجود المطلق، وستأتي بنصها إن شاء الله، بل تقدمت.

وقرأت عليه أيضاً مواضع كثيرة من كلامه في رسائله وتأليفه، أكثرها يتعلق بمسألة وحدة الوجود ووحدة الصفات. وقرأت عليه رسالة كتبها برسمي في المسألة التي ألف فيها شيخنا صفى الدين وبالغ في إيضاها وتعددت تأليفه فيها، وهي مسألة كسب العبد ونسبة فعل العبد إليه وإلى قدرة الرب، فقد انتصر الشيخ، رضي الله عنه، في ذلك للقول المنسوبة لإمام الحرمين وتأولها على ما ينافي مذاهب أهل الحق، وتشهد له بصائر أهل الكشف وتعضده شواهد الآيات ومعاني الأخبار الصحيحة، وما فعل، رضي الله عنه، من تأويلها وتبيين معناها على حسب ما ظهر، وإن كان فيه غموض على أفهام كثير من الناس أولى مما فعله كثير من المشايخ من القضاة ببطالها والتشيع على الإمام أو على من نسبها إليه وأنكروا وجودها في كتبه، وذلك قصور منهم، رضي الله عنهم، فإنها قوله صحت عن الإمام في رسائله النظامية التي هي من آخر مؤلفاته، ولذلك لم يتردد المتقدمون في نسبتها إليه لإحاطتهم بأخبار الإمام ومطالعتهم لكتبه. ولما لم تشتهر هذه الرسالة لتأخرها كاشتتار الإرشاد وغيره من كتبه، لم تبلغ إلى بعض المتأخرين، فأنكر وجود القول المشهورة في شيء من كتب الإمام، وظن أنها مفتعلة عليه وصدرت منه في مجلس المناظرة على وجه المعارضة أو إرخاء العنان أو غير ذلك مما لا يعد مذهباً لقائله. وقد بالغ شيخنا رضي الله عنه، في إيضاها والاستشهاد لها في رسائله الثلاث، وكذلك تلميذه الملا، إبراهيم بالغ في بيانها وكشفها، ومع ذلك لم

(1) إتحاف الأخلاء، ص: 124.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد الملقب بعلاء الدولة السمناني، عالم مشارك، له تصانيف كثيرة في التفسير والتصوف وغيرهما، توفي قبل الأربعين وسبعمئة بقليل: طبقات الشافعية 2: 248.

تخل من غموض ولم تتضح كل الوضوح، ولا غرو إذ هي من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين ولم تحصل على طائل في تحقيق معناها آراء المتأخرين، فقصارى أمرهم فيها اعتقاد انفراد الرب تعالى بالخلق والتقدير، واعتقاد أن للعبد في أفعاله الاختيارية كسبا به صح نسبة الأفعال إليه، وثبت التكليف وعلي ترتب الثواب والعقاب، وهذا معتقد جميع أهل السنة، وهو الحق لذي لا محيص عنه، ولكنهم إذا ضيقوا في تحقيق معنى هذا الكسب تباينت آراؤهم بين مائل إلى ما يقرب إلى الجبر، ومائل إلى ما يقرب إلى القدر. وأهل السنة لا يقولون بواحد منهما فقد قال الإمام سعد الدين في شرح العقائد بعد ما ذكر كلاما في معنى الكسب ما نصه: وهذا القدر من المعنى ضروري إذ لم نقدر على أزيد من ذلك في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله تعالى وإيجاده مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار، فإذا علم أن فحول أهل السنة قد عجزوا عن تحقيق معناه مع تظاهره وتظافر معتقداتهم على نفي الجبر والاستقلال، فلا ينبغي المبادرة إلى التشيع والإنكار على من أحدث قولاً في المسألة بفهم أتاه الله إياه وانتصر لقول من الأقوال المقولة فيها لأهل السنة بدلائل بينها الحق له، وبصورة أنارتها الهداية الإلهية ما دام لم يقض بصحة أحد القولين المتفق على إبطاهما عند أهل الحق، وهما الجبر والاستقلال، لأن ذلك هو المعيار الصادق، فما دام العبد يعتقد في المسألة معتقدا ليس بجبر ولا استقلال، فهو على الجادة وإن عجز عن تحقيقه، إذ لا نكلف إدراك الكنه في كثير من المسائل الاعتقادية، وإنما المكلف به فيها اعتقاد الثبوت والوجود فقط. هذه المسألة، أعني مسألة الكسب، ليست من المسائل التي يستحيل فيها إدراك الكنه حتى نحكم بتضليل من ادعى إدراك كنهه وحقيقته، بل لغموضه وخفائه لم نكلف بمعرفة حقيقته بل باعتقاد ثبوته ووجوده، وإن للعبد كسباً به نيط التكليف يوجد بوجوده مع استكمال الشرائط، ويتنفي بانتفائه لأن من لم يعتقد ذلك وقع لا محالة في أحد أمرين محالين: تجوير المولى تعالى أو تعجيزه تعالى الله عنهما علواً كبيراً. ولا بدع في اعتقاد الإنسان ثبوت شيء لا يدري كنهه كالروح، فإننا نعلم يقيناً وجوده وثبوته مع عجزنا عن إدراك كنهه. وليس إدراك الكنه فيه محال عقلاً ولكنه لصعوبته أمسك الشارع عن إيضاح معناه لعجز عقول أكثر الناس عن إدراكه. وقد نص الغزالي وغيره على أنه لا ينبغي

لمسلم أن يعتقد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يعرف ماهية الروح ولم يدرك حقيقته كيف، وقد<sup>(1)</sup> أدرك من المعارف الإلهية والحقائق الربانية ما لم يخطر ببال أحد من الخلق سواه؟ فكيف يعجز عن إدراك حقيقة روحه الذي به هو هو، فيصير كأنه عجز عن إدراك نفسه، ومن عجز عن إدراك نفسه فهو عن إدراك غيره أعجز، وهو، صلى الله عليه وسلم، أجل قدرا من ذلك، بل له التصرف التام في عالم الأرواح بأسره، وهو روح الأرواح الأمين نديمه وسميره في غالب الأوقات، وروح القدس ينفث في روعه بما كان وما سيكون، فكيف لا يكون عالما بالروح وحقيقته، وإنما أمرنا بالإمساك فأمسك لكونه مشرعا، وقد قال: خاطبوا الناس بما يفهمون، أتريد أن يكذب الله ورسوله<sup>(2)</sup>، بذلك تقول في الكسب هو صفة من صفات العبد يحس كل أحد بوجودها فيه وثبوتها في محله فيها يفرق بين أفعاله الاختيارية والضرورية، ولكنه لا يدري حقيقتها ولا يحقق كل التحقيق نسبة أفعاله إليها، مع اعتقاد انفراد الله تعالى بخلق العبد وخلق أفعاله غير مفقور إلى معين. واعتقاد أن لكسب العبد دخلا في وجود أفعاله على وجه لا يضايق فيه القدرة الإلهية ولا يزاحمها ولا يعينها، ولكن عجزنا عن إدراك ذلك على وجه، ومن أتاه الله فهما وعلمنا ونورا فأدرك حقيقة ذلك كما يدرك العارفون بالله حقائق أشياء كثيرة من علم الغيب والشهادة قد عجز عن إدراكها أكثر الخلق، فلا ينبغي الإسراع إلى الإنكار عليه ولا التشنيع عليه إذ لم يدع محالا، فالأولى التسليم له، سيما إن كان من أئمة الهدى ورؤساء السنة وكبراء الأمة، كإمام الحرمين، رضي الله عنه، وممن ظهرت ديانتهم، وثبتت إمامتهم، واتضح عدالتهم، وغلبت على الظن ولايتهم، وثبتت في علوم الشرع مشاركتهم، ولم يرم ببدعة ولم ينبذ بسوء اعتقاد كشيخنا الغوث صفى الدين القشاشي رضي الله عنه، وإن كان لا بد من التعقب والنقد والنظر في كلام من هذه صفته، فلينظر بعين الإنصاف وسداد الرأي إلى كلامه، فإن فهمه الناظر حق إليهم سيره بالمعيار المتقدم من عرضه على آراء أهل الضلالة، فإن وافق أحد الجانبين الباطلين كل الموافقة حتى صار هو هو، فهو حدير بأن يلغى ويترك وتوكل سريرة قائله إلى الله لاحتمال أن عبارته لم توف بما في ضميره لعلمنا بأنه من أهل السنة، وإن لم يوافق أحد الجانبين المحكوم بطلانهما إلا أنه على خلاف ما كنا نعتقد نحن ونوهمه ونفهمه من كلام الغير، فلا ينبغي أن

(1) في ط: وهو قد.

(2) تفسير القرطبي 8: 184، وفيه حدث بدل خاطبوا.

تحكم ببطلانه لأجل مخالفته لكلام الغير، لأنَّ الحق في المسألة ليس منحصرًا في شيء بعينه يدركه كل أحد، فيحتمل أن هذا القائل قد عثر على الحق أو على جانب منه إذ ليس فيه إمارة الباطل ودليله.

وأما إن كان الناظر في كلام أحد من الأئمة المتقدم ذكرهم لم يفهمه كل الفهم ولم يحط علما بمقاصده والتبست عليه المذاهب في تحقيق مقالته، وهذا وصف غالب من ابتلى بالاعتراض على المشايخ، فما أجدر هذا بأن يمسك عن الخوض في ذلك لأن الحكم على الشيء بالصحة والفساد فرع تصوره، وهذا لم يتصور شيئاً من معتقد هذا الإمام حتى يحكم برده أو إفضائه، فليحرر هذا المسكين معتقد نفسه على مذهب أهل السنة والحق، وليجتهد قدر طاقته في تزيهه عن مذاهب أهل الباطل في موافقة أهل الحق قدر وسعه، وليترك ما وراء ذلك لأهله، فإن خاض فيه فقد عرض نفسه لما لا قبل له به.

وقد ابتلى أقوام من المترسمة من أهل عصرنا بالتشنيع على شيخنا صفى الدين وتبديعه وتضليله، وقالوا: إنه يقول بتأثير القدرة الحادثة، وخالف الشيخ السنوسي وغيره من المشايخ، ورد عليهم. فإذا طولبوا بتحقيق ما ردوه عليه عجزوا، فإذا قيل لهم: ما معنى التأثير الذي نسبته للقدرة الحادثة وما معنى التأثير الذي نفيتموه أنتم مع تسميتكم لها قدرة؟ لم يقرتوا من الجواب إلا بجمعجة ليس لها طحين، وهممة ليس معها تبين، مع أن الشيخ، رضي الله عنه، مصرح بعدم تسميته وصف العبد قدرة إلا على وجه المجاز، إذ لا يعقل من معنى القدرة إذا أطلقت إلا وصف له تأثير، فإن سمينا وصف العبد الذي له نسبة في وجود الفعل جعلها الله له قدرة مجازاً، فلنسب تلك النسبة التي جعلها الله له في وجود الفعل أيضاً تأثيراً مجازاً، وإن قلنا لا تأثير لقدرة، نعني حقيقة، فلنقل لا قدرة له أيضاً حقيقة، وإنما هي قدرة واحدة قديمة إلهية ذات نسبتين، نسبة وجودها وقيامها بذات المولى جل جلاله أزلاً وأبداً، فتنسب إليها الأفعال حقيقة على وجه الخلق والاختراع والاستقلال بها على وفق الإرادة القديمة، ونسبة ظهورها في محل العبد وتحليلها فيه كما هو شأن سائر الصفات في تحليلها، إذ قدرة العبد من قدرة سيده، وحوله بحوله، وقوته بقوته، كما أفصح بذلك لا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو كثر من كنوز الجنة، فتنسب إليها الأفعال بهذا المعنى على جهة الكسب والإضافة، وينسب إلى ذلك الكسب تأثير يناسبه على وجه المجاز لكونه محلاً لظهور الأثر، فإن المجاز عند العرب إذا تجاوز في



حقيقة من الحقائق تجوز فيهما مع عوارضها المشخصة التي لا تثبت الحقيقة ولا توجد إلا بها، فإذا تجوز في إطلاق السبع على المنية تجوز في الحقيقة السبعية مع عوارضها وصفاتها التي لا تكمل السبعية إلا بها، مثل الأظفار والجرأة العظيمة والاعتبال بالقهر، وجعلت تلك الأوصاف كلها مجازاً للمنية كما كانت للسبع حقيقة، وإلا لما صح التجوز، فلو قيل مثلاً: المنية سبع لا ناب له ولا ظفر ولا جرأة ولا اغتيال لقبح ذلك كل القبح عند كل ذي ذوق سليم، وقضى برده على كل ذي عقل فهميم، فكذلك يقلل في الكسب الذي هو وصف العبد مع القدرة، فإن سمينا وصف العبد قدرة لكونه له نسبة جعلية في وجود الفعل، كما أن للقدرة نسبة ذاتية في ذلك، فلنجعل لذلك الكسب الذي سميناه قدرة تأثيراً مجازياً يناسبه، وإلا بطل تسميته قدرة كما بطل تسمية المنية سبعا من غير إثبات أوصاف السبع لها، ولأجل هذا مع تزيه أوصاف الحق تعالى أن ينسب شيء منها إلى العبد تحاشي الأقدمون من أهل السنة والسلف الصالح عن تسمية وصف العبد قدرة فلا تكاد تسمع في مؤلفاتهم إلا الكسب حتى تجاسروا على إطلاق القدرة المتأخرون ورأوا أن لا فرق بينه وبين القدرة، ولم يتجاسروا على إطلاق التأثير على نسبته إلى الفعل تباعداً عن قول القدريّة بخلق العبد أفعاله فقالوا: قدرة لا تأثير، فأنبتوا لعبد قدرة فراراً من قول الحيرية، وقالوا لا تأثير لها فراراً من قول القدريّة، ولعمري إنها لعبارة حسنة في بادي الرأي متوسطة بين قولي الإفراط والتفريط، إلا أنها إذا حكمت على معيار التحقيق وطولب صاحبها كل المطالبة أدّت إلى شيء لا يدرك له صاحبه معنى ولا يجد له مفهوماً، ولذلك قال بعض من عاب علم الكلام كما نقله ابن القيم وغيره مجالات الكلام ثلاثة: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري، فإنك إذا حققتها لم تجد شيئاً، فطفرة النظام هو قوله إن الجوهر ينتقل من المكان الأول إلى الثالث من غير أن يمر بالثاني، وأحوال أبي هاشم يقول ليست موجودة ولا معلومة، وكسب الأشعري يقول قدرة ولا أثر لها وذلك عين العجز. وانظر إلى ما آل الأمر إليه بسبب سوء التعبير حتى عد معتقد أهل الحق والسنة مع مجالات المعتزلة في نسق واحد، فإذا سعى أحد من علماء الأمة بما أتاه الله من النور والفهم كشيخنا القشاشي وبذل مجهوده في إثبات معنى للكسب يبعد به شيئاً ما عن هذه المجالات التي عد من حملتها وأيد ما أثبتته من ذلك بالآيات والأحاديث وأقاول أهل الحق مع نورانية الكشف الصحيح، فلا يشنع عليه إلا مخذول أعشى البصيرة، ولقد تكلمت مع بعض من زعم أنه ألف في الرد عليه فقال لي: إني

حرت في كلام هذا الرجل بينما أقول هو قدري محض، لما يظهر من كلامه إذ رجع رأيي فيه إلى أنه جبري محض، فلا أدري من أي الجهتين هو وقد حرت في أمره، قلت له: شهدت ورب الكعبة بالسنية المحضة، وأنت لا تشعر لأن أقوى دليل على كون معتقد العبد موافقا للسنّة في هذه المسألة كونه ليس مع أحد الجانبين، ودليل كونه في غاية التوسط الذي هو غاية التحقيق كونك كلما اعتبرته مع أحد الطرفين ظننته أقرب إليه من الطرف الآخر كقطب الدائرة ومركزها، فعلامة توسطه أنك كلما اعتبرته مع قطر من أقطارها ظننته أقرب إليه من الآخر، وهكذا كلام هذا العارف إذا سمعت قوله القدرة العبد تأثير قلت: هذا قريب من مذهب القدرية، وإذا سمعت قوله: إنما هي قدرة واحدة ولا قدرة للعبد أصلاً إلا ما يظهر من أثر قدرة الحق في محله، قلت: هذا قريب من مذهب الجبرية، وهذا لعمرى غاية التحقيق لمن علمه، وهو حري بالاعتقاد لمن فهمه، وبالتسليم لمن لم يفهمه فإن فيه نوع غموض لا يظهر كل الظهور إلا بالكشف الصحيح، ولذلك كانت تأليف الملا إبراهيم في المسألة أقرب إلى الأفهام من تأليف شيخنا الصفي لأن الصفي الغالب عليه والمستولي عليه صحة الكشف فيعتمد عليه كثيراً وعلى أقاويل العارفين كالشيخ محي الدين وأضرابه وعلى دلائل الكتاب والسنة، ولا يعرج على دلائل المتكلمين إلا قليلاً فعسر فهم كلامه على كثير من المترسمة الذين لم يكونوا على قدمه في العرفان والكشف عن معاني الأسماء والصفات.

وأما شيخنا الملا إبراهيم فلقوة نظره في المعقولات وسعة اطلاعه على أقاويل المتكلمين وتمييز صحيحها من فاسدها أبرز المسألة في قالب مسائل علم الكلام، واحتج لها بادلتهم، وردّها على صحيح أقوال أهل السنة، وتبع الأدلة التي أبطل بها أهل السنة أقوال القدرية والجبرية، وبين أن واحداً منها لا يدل على بطلان هذه القولة بعمومه ولا بخصوصه، بل ذكر لي أنه فحص غاية الفحص فلم يجد في كلام الأشعري، رضي الله عنه، ما يدل على نفي الأثر عن القدرة الحادثة وإنما يوجد ذلك في كتب الأصحاب معزواً له. قال: بل وجدت في كلامه نفسه في كتاب الإبانة الذي ضمنه معتقده، وأمر أصحابه باعتقاد ما فيه، ما يشعر بما هو كمذهب إمام الحرمين، وقد نقل ذلك في رسائله وسأذكر بعضها آخر الترجمة إذ الغرض من هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، فلا آلو ما أدخلت فيها من الفوائد لرغبة كثير من الصحاب في ذلك.

أخبرني الشيخ الملا إبراهيم أنه كان في أول اتصاله بالشيخ يضيق عليه النطاق في أمثال هذه المباحث من وحدة الوجود ووحدة الصفات وغير ذلك مما لم يوافق عليه العارفون بآراء المتكلمين لأنه كان متضلعا بعلوم أهل الكلام، وكان الشيخ الصفي، رضي الله عنه، إذا أحس منه بشيء من ذلك يقول له: أثبت فسيشرح الله صدرك لقبول الحق، وليس هذا الأمر بسهل إنما هو كالخروج من دين إلى دين. قلت: والمعتقدات هي أعلى الدين، فلا يخرج الإنسان من معتقد ألفه إلى معتقد أعلى منه إلا ببرهان واضح ونور لائح، يظهر به عدم مخالفة الاعتقاد الثاني للمعتقد الحق الذي قامت عليه دلائل الكتاب والسنة، إلا أن المعتقد الثاني يكون أعلى من الأول وأبين أوضح إذ لا يكون الاعتقاد الثاني مابينا للأول إلا إذا كان أحدهما فاسدا، ومعتقدات أهل السنة والحق قامت البراهين القطعية التي لا تحتمل شكاً ولا ترديدا على صحتها إلا أن بعضها أكمل من بعض في الوضوح والبيان، وإن كانت كلها بينة واضحة فليس معتقد عوام المؤمنين المستند أولا إلى تقليد علماء الأمة ثم ثانيا بعد انتهاء عقولهم إلى نظر جملي كمعتقد علماء الأمة العارفين بأدلة الكتاب والسنة وقضايا العقول الضرورية والنظرية بمعتقدات هؤلاء لا يطمع في ترلزها شيطان مريد ولا ملحد عنيد لتشييدها بالأدلة القاطعة والحجج الساطعة، ومع ذلك فليست معتقداتهم بالنسبة إلى معتقدات كبراء العارفين أهل الكشف الصحيح والذوق الصريح والبصائر النورانية إلا كنسبة معتقدات العوام إلى معتقداتهم، لأن معتقد العارف مستند إلى الشهود والعيان ببصائر الإيمان والإيقان، فلا يحتاجون إلى إقامة دليل ولا وجود برهان، فمثل معتقدات الفرق الثلاثة كمن كانوا في بيت مظلم فأخبرهم مخبر بطلوع الشمس فصدقوه كلهم لتجربتهم له قبل ذلك، ولأنه لا يكذب فلم يبق عندهم شك في طلوع الشمس، ثم نظر قوم منهم إلى شقوق وطبقان في جدار البيت فرأوا ضوءا لامعا ونورا واضحا فازدادوا يقينا بطلوع الشمس لقول المخبر: وما لاح لهم من الدليل الدال على طلوعها وهو الضوء اللامع، ثم قام قوم إلى باب البيت ففتحوه فرأوا قرص الشمس بعينه، فحصل لهم علم<sup>(1)</sup> اليقين بطلوع الشمس من غير احتياج إلى دليل، بل غابوا عن مشاهدة الدليل، فلو رام أحد منهم أن يستدل بعد الشهود عد ذلك منه غلطا كما قيل:

(1) في ط: علم.

[طويل]

فَرَادِي لَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِدٍ وَتَقْرِيرِي الْمَعْلُومَ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ

ومن الأمثال الشهيرة ليس بعد العيان بيان. وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: إنا لننظر على الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان. فقد تبين لك تفاوت حال المعتقدات مع صحتها كلها، وكون المعتقد شيئا واحداً، فالانتقال من عقائد العوام على عقائد العلماء لا يحصل إلا بعد فهم الأدلة التي استدلووا بها، والعلم بصحتها، وكذلك الانتقال من عقائد العلماء إلى عقائد العارفين لا يكون إلا عن منزلة صحيحة لأحوالهم والوصول إلى مقاماتهم، فمن أراد اعتقاد معتقداتهم تقليداً صعب عليه الأمر ونازعه الوهم لأن العقل لا يذعن لقبول ما لم يدرك، ولكن كما ينبغي للعوام تقليد العلماء فيما قالوه وإن لم تدركه عقولهم، وثوقاً منهم بحسن نظرهم وسداد رأيهم كذلك ينبغي للعالم تقليد العارف الذي فوقه فيما لم يبلغه عقله تحسیناً لظنه به إذ لم يأت بشيء أقام القاطع من العقل والنقل على بطلانه، إنما أتى بشيء عجز عقل العالم عن إدراكه لضعف بصيرته وعدم وصوله إلى ما وصل إليه العارف وبركة تقليده له وحسن ظنه به يوصله الله إلى لقاءه حتى يصير ما كان تقليداً علماً يقيناً، وما كان علماً عن غيب عرفاناً عن شهود، وإن لم يوفق لتقليده فيما قال، فأقل درجته التسليم له فيما أتى به، إذ منازعته فيما لم يحيط به علماً ولم يدركه عقله حرمان وخذلان.

ولقد أخبرني الملا إبراهيم أن الشيخ صفي الدين كان يقول لهم في أثناء التقرير لهذه المباحث: يا أولادي إنما أشتغل بنقل هذه الأدلة وتهذيبها وأفرح بما أحده من كلام أئمة الحق موافقاً لقولي، كل ذلك لأجلكم وحرصاً على هدايتكم، وإلا فإننا على بصيرة من ربي ونور منه فيما أقوله من ذلك وأعتقد، ولا يضرنني مخالفة مخالف ولا يزيدني علماً موافقة موافق.

قلت: ومصادق ذلك قوله عليه السلام لما نزل قول الله تعالى: (فإن كنت في شك مما أنزلنا عليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) (١) الآية. لم أشك ولم أسأل لكونه عليه السلام حصل له من العلم واليقين ما لا مزيد فيه موافقة أحد، ولا ينقص منه مخالفته. قال الملا: كنت أقول للشيخ لما ظهر لي لوائح صدق

(1) يونس: 94.

مقالته وشرح الله صدرى لفهمها: يا سيدي إن هذه المقالة لا يمكن تقريرها ولا تمثيتها على قواعد المتكلمين إلا من فهم معنى وحدة الصفات، وأقر بها وصدق بها، وأكثر المتكلمين لا يقولون بذلك ولا يعرفونه كما لا يعرفون وحدة الوجود. قال الملا: ثم رأيت بعد ذلك في كلام العارف بالله الشيخ عبد الجليل القصري صاحب شعب الإيمان، وهو من أشياخ الشيخ محي الدين ما يشير إلى نحو ما قلته وإن لم يصدق بوحدة الوجود ووحدة الصفات لم يقدر على فهم شيء من أقوال العارفين خصوصاً في المعتقدات، ومع ذلك فقد كان الملا لا يألو ما أبرز أفاويل العارفين في قالب آراء المتكلمين تقريباً للأفهام، ومن طالع رسائله وتأليفه صدق بذلك وعلم صحته.

#### لطيفة:

كان شيخنا الملا، رضي الله عنه، ذات يوم، يقرر لي مسألة من الحقائق المتعلقة بوحدة الوجود، فاعتصت على فهمي وأيت من قبولها، ثم بعد ذلك لقينته فقال لي: إني كنت اغتممت آنفاً لعدم قبول فهمك لما أقرره لك وأهمني ذلك كثيراً، فمنت فرأيت في النوم قائلاً يقول لي: حياتهم تفقههم، فانتبهت، فرأى ما بي من الغم، ورجوت الله تبارك وتعالى سيفقهك في هذا الأمر بما يضعه من حياة المعرفة في قلبك لا بنظم الأدلة وتقريرها، وإني لأرجو بركة هذه الرؤيا وأطمع في ظهور صدقها، ولا يأس من روح الله<sup>(1)</sup>. على أني أحمد الله تعالى ولا أجد حصول بعض أثرها، نسأل الله تعالى تمام النعمة ودوامها.

ولقد كان، رضي الله عنه، يعجبه صدقي في عدم قبول ما لم أحط به علماً، وقولي له: إني وإن صدقت القوم فيما يقولون، واعتقدت صحة مقالاتهم، فإني لا أنتقل عما أنا عليه من معتقد العوام المقطوع بصدقه إلا برهان من الله واضح، وحجة منه قاهرة، فإن يُردني الله بذلك ويؤهلني لسلوك طريقهم، فسيفتح لي باباً من المعرفة فسأدرك ما تقول، وإن يكن غير ذلك فلا ينبغي لي أن أنعاطى ما ليس لي به علم: ولا خير في ود يكون تكلفاً<sup>(2)</sup>.

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: 87.

(2) هذا صدر بيت لليوسي بقيته: ولا في ودود حيث لنت له شمش: زهر الأكم 235:2.

وقد قال صاحب الحكم: الواردات الإلهية قلما ترد إلا بغتة، وقد جلت أن تنال بتعمل وتكلف<sup>(1)</sup>. وربما أكثر محاورتي بعض أصحابه عند جهودي على ما أنا عليه من عقائد العوام، فيقول لهم الشيخ: دعوه فإن لصدقه بركة سينال بها بعض ما امتنع من قبوله الآن، واستصوب رأيي في ترك تكلف ما لم يؤهلني الله لمعرفته، ولكن مع ذلك كان يحضني على تصديق المشايخ واعتقاد أن ما قالوه حق وإن لم أفهمه، وتقليدهم فيما لا ضرر عليّ في تقليدهم فيه، ويقول لي: إن تقليد الصادق واعتقاد صحة قوله أصل كل خير، وما نال من نال من أهل الطريق إلا ببركة اعتقادهم في مشايخهم، والتقليد المذموم إنما هو الاقتصار عليه من غير سعي في إدراك العلم، أو تقليد ما لم يتبين صدقه، وأما من تبين صدقه، كالرسل، عليهم السلام، أو ورثتهم من أكابر العارفين، فتقليدهم بمنزلة العلم الحاصل بالدليل، لأن الدليل القائم عندك على عدالتهم وهدايتهم وسلوكهم سبيل الحق دليل لصدقهم فيما ادعوا ومُبين لصدق مقالهم، وهذا كله فيما كان ظاهر اللفظ واضح المعنى، وأما ما خفي على الإنسان معناه، لغموضه ودقته، فيجزم بصحته وصحة مدعيتهم على نحو ما فهموه هم، لا على نحو ما يخيل إليه هو أنه هو معناه، حتى يتبين له برهان واضح أنه فهمه على النحو الذي أرادوه، وعلامة ذلك أن يفهم كلامهم على نمط لا يخالف كتاباً ولا سنة، ولا يورثه شكاً ولا تزلزلاً في معتقده، بل ينشرح به صدره ويقوى به يقينه، وتنبسط أنوار علمه في قلبه حتى يعلم أنه الحق، وما دام يجد على المعنى الذي فهمه من كلامهم ظلمة وشكاً وتزلزلاً في اليقين، وتخيلاً لتصوير الحق على صورته، وتنقلاً من فهم إلى فهم، تارة أعلى منه وتارة أدنى منه من غير انضباط، فليعلم أنه لم يفهم إلى الآن كلامهم على ما هو عليه، وليتمسك بمعتقده الذي لا خفاء فيه، وليحسن الظن بهم فيما قالوه أنهم أرادوا به غير ما فهمه هو، وليلجأ إلى الله تعالى أن يفهمه ما أشكل عليه من كلامهم تفهيماً يوافق به ظاهر الكتاب والسنة، وهذا معيار صادق يعلم به الإنسان أنه فهم كلام العارفين على وجهه أو أخطأ فيه فتمسك به، (ولا يستخفك الذين لا يوقنون)<sup>(2)</sup>، وإلى هذا المعنى يشير قول بعض العارفين من شيوخ الرسالة في قوله<sup>(3)</sup>: إنه لتقع لي

(1) جاء في الحكم: قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة، صيانة لها أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد: الحكم، ص: 119.

(2) الروم: 59.

(3) لم ترد هذه الفقرة في النسخة التي اعتمدناها من الرسالة القشيرية.

النكتة من كلام القوم فأدعها تختلج في صدري أياما، فأقول لها: لا أقبلك إلا بشاهدين عدلين من كتاب وسنة، فمعنى شهادة الكتاب والسنة للنكتة أن يفتح له فيها فهم توافق الكتاب والسنة حتى ينشرح صدره لقبولها، فمعنى عدم قبولها عدم قبول المعنى الذي فهمه منها لا عدم قبولها أصلا وردها على أربابها وحكمه يبطلانها، فمعاذ الله أن يقضي عارف بذلك في كلام عارف، ولأجل ذلك قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ناقلا عن غيره ومقررا له في أي ما كتب من تأليفه: ما من أهل كل علم من العلوم إلا ويقع بينهم اختلاف في أشياء كثيرة يشتها قوم وينفيها آخرون، أو يصححها هذا ويبطلها ذاك، إلا المحققون من الصوفية العارفون بالله فإنه لا يقع بينهم اختلاف أصلا، وما يظن أنه اختلاف في كلامهم لا اختلاف فيه أصلا عند من فهمه لأنهم لا يتكلمون إلا بصدق وعن مشاهدة، لأن الطريق لسان صدق، وما كان صادقا لا يمكن فيه اختلاف، لأن الصدق لا يناقض الصدق؛ إذ كل متناقضين من الكلام فأحدهما صادق والآخر كاذب، ولا يقع فيه وهم أيضا لأنهم لا يتكلمون عن حدس وتخمين، وإنما يتكلمون عن مشاهدة ويقين، ولأجل ذلك لا يقع اختلاف وتناقض في كلام الله وكلام أنبيائه ورسله لأنه كله صدق، والصدق يصدق بعضه بعضا، ولذلك كان القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)<sup>(1)</sup> وما خلفه، فهو مصدق لكل صدق، ويصدق كل صدوق، وكذلك كلما هو صدق، والعارف وارث النبي في الصدق، ولذلك كانت الصديقية أدنى درجة تلي درجة النبوة، فمن وجدت في كلامه اختلافا حقيقيا وتناقضا بينا فليس بصديق، بل هو في عداد السالكين السائرين، يستقيم تارة ويعوج أخرى، حتى يصل إلى ما قسم له أو يعاجله الأجل في الطريق، فيحشر في زمرة السائرين إلى الله لا في زمرة الواصلين إليه، والمؤمن القوي عند الله خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، والله المستعان.

ولقد قرّر لي الملا، رضي الله، عنه ذات يوم كلاماً يتعلق بشيئية المعلوم، وأن المراد بذلك عند العارفين الحقائق العلمية، فهي شيء لحصول الوجود العلمي لها، وأنه ما من شيء وجد، أو سيوجد، إلا وله حقيقة علمية هي عينه في الدائرة العلمية، وهو عينها في الدائرة الحسية وعلى طبقها في الوجود الخارجي من دون

(1) البقرة: 97.

تفاوت، فالموجودات كلها لها مراتب في الوجود من وجود خارجي ووجود علمي وما بينهما من مراتب الوجود إلى أن تصير محواً وعدمًا في وجود الذات.

وأراد رضي الله عنه أن يدرجني بفهم ذلك إلى فهم وحدة الوجود، وأن الوجود المطلق الحق الشامل لكل وجود مقيد غير مقيد في حد ذاته حتى يقيد الإطلاق، فاعتاص علي فهم ذلك التقرير وامتنعت من قبوله لما سبق إلى أفهامنا من أن المعلوم قبل وجوده محض ليس بشيء ولا ثابت خلافاً للمعتزلة القائلين بشيئته وثبوته، وكنت أظن أن هذا التقرير ينحو نحو هذا المنحى، فاشتمأرت نفسي منه لعداوتي أهله حتى تبين لي بعد ذلك أن بين المذهبين بون بعيد، (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)<sup>(1)</sup>.

وقد ألف شيخنا الصفي في هذه المسألة رسالة سماها نضحة اليقين وزلقة التمكين للموفقين بين فيها معنى كون المعلوم شيئاً وثابتاً عند العارفين وأهل السنة، وأن ذلك بمعنى حقيقته العلمية؛ إذ لا نزاع في أنه ثابت في علم الله متميز بحقيقته عن كل الحقائق، فله حصة من الوجود التي هي الوجود العلمي، لا كما يقوله المعتزلة - أذلم الله - من كونه موجوداً في نفسه ثابتاً كالصور في البيت المظلم، فيدخل عليها سراج، فيبرزها ذلك السراج ولا يوجدها<sup>(2)</sup> لأنها موجودة قبل ذلك.

وأهل السنة يقولون: إنها قبل الوجود عدم محض، يعني ليس لها شيء من الوجود في حد ذاتها، ولا ينكرون تعلق العلم بها. والعارفون كشفوا القناع وفصلوا في الجزء المشاع، فقالوا: إن للوجود مراتب كثيرة، أول مراتبها، التي يقع فيها تفصيل الحقائق وتمايزها الوجود العلمي، وآخرها الوجود الخارجي الحسي الذي هو غاية تمايز الحقائق وتباينها بعوارضها الخارجية المشخصة لها، فالمعلوم بالنظر إلى الوجود العلمي المتعلق به شيء وثابت، وبالنظر إلى الوجود الخارجي عدم محض إذ لم يحصل له شيء منه، وهو الذي نفاه أهل السنة عنه رضي الله عنهم، وهو الصحيح. وأما الوجود العلمي فلم يقع فيه نزاع بين الفريقين، ولم يبق خلاف بين أهل السنة وأهل الحرمان إلا في كون الحقائق، باعتبار تعلق العلم بها، تستحق بذلك إطلاق الشئئية والثبوت عليها أم لا تستحقه، وهو خلاف لفظي،

(1) فصلت: 33.

(2) في ط: يوجدها.



والخطب فيه سهل. وقد علم أن ما هذا<sup>(1)</sup> سبيله لا يعده المحققون خلافاً، والذي اعتاض عليّ من فهم<sup>(2)</sup> هذه المسألة عند تقرير الشيخ لها هو جعلها أصلاً لوحدة الوجود ووجه بنائه عليها، فكان يُخَيَّل لي إذ ذاك أن ذلك يؤدي إلى القول بقِدَم العالم لأن تعلق العلم بكل موجود قديم، فلو قدرنا المعلوم موجوداً بذلك الوجود العلمي لكان ثبت له الوجود أزلاً، وذلك معنى القِدَم. وذهب عني أن هذا الوجود العلمي من النسب والإضافات التي هي اعتبار محض، وأن الوجود الحقيقي الذي يحكم بقدمه أو حلوته وجود الشيء في نفسه الذي هو به في حد ذاته، وذلك لم يقع في الأزل إلا لله بأسمائه وصفاته، ووقوعه لغيره إنما هو فيما لا يزال، وما سميناه وجوداً علمياً حاصلاً للمعدوم إنما هو اعتبار محض، أي اعتبرنا تعلق علم الله به، فحصل له بذلك وجود ما صح أن يعتبر في مرتبة ما، وهي مرتبة تعلق العلم بمعلومه، إذ العدم المحض لا يعتبر في مرتبة ما، إذ ليس هنالك ما يعتبر، فلا يخبر عنه ولا يشار إليه ولا يراد، إذ لا فرق بين قولك: أردت عدماً محضاً ولم أرد شيئاً، وعلمت عدماً محضاً ولم أعلم شيئاً، بخلاف العدم الإضافي فإنه معتبر في مراتب كذا، فنقول: أردت عدم كذا وعلمت عدم كذا، فقد تبين لك أنه لا فرق بين قولنا حقيقة المعدوم موجودة في علم الله قبل وجوده في الخارج، وبين قولنا تعلق علم الله بوجوده في الأزل.

ولقد قال لي صاحبنا السيد محمد بن رسول، وكان حاضراً: تقرير الشيخ للبناء المذكور وعدم تسليمي له ذلك: عجباً لك فلان مع ذكائك وزكاء فطرتك، كيف لا يقبل ذهنك هذا مع ظهوره. فقلت له: أعجب من ذلك أمرك لي أن أقفوا ما ليس لي به علم<sup>(3)</sup>، وأطلق من يدي ما كنت أعلم قبل هذا قبل أن أجد ما هو أحسن منه، مع شهادتك لي بالذكاء وزكاء الفطرة، فلا أعظم بلادة وبلها من الصبي، ومع ذلك لو جهدت كل الجهد أن يعطيك ما في يده من غير أن تعطيه أحسن منه لم يعطكه، فإذا رأى أحسن منه فلا يحتاج إلى معالجة بل يرمي ما في يده ويأخذه، وأنا لو رأيت أحسن مما في يدي، وفهمته الله وعلمنيه، لأخذته ورميت ما عندي من غير أن أحتاج إلى تحريضك لي وثنائك علي، فأنا أتمسك بما

(1) في ط: هذا ما .

(2) في ط: فهمه.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ): الإسراء: 36.

عندي وأطلب غيره، فإن وجدت منها أحلى وأصفى وأبرد مما في أدواني، وشربت وملاأت أدواني، وأهريق<sup>(1)</sup> ما فيها، وإن هرقتها قبل ذلك لقول الناس: إن أمامك ماء عذب بارد أحسن من الذي في الأداة، خشيت أن تُهب سموم محرقة فأموت عطشنا قبل الوصول إلى الماء، فدعني أنبلغ بما عندي، فإنه ممسك لرمقي وكاف لحاجتي حتى يأتيني الفتح أو أمر من عند الله. (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق)<sup>(2)</sup>، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وقد بما قيل في الأمثال: رد بمائك، وكم من مريد ضل من هذا الوجه إن برقت له بارقة من فهم أو علم أراق ما عنده من ماء العلم والمعرفة، فاعتمد عليها قبل أن يتمكن منها، فقد ينقطع ذلك أو يكون برقيه خُلِباً<sup>(3)</sup>، فيبقى مذبذبا لا بما أمامه انتفع ولا بما خلف ورائه انتجع. ومن أراد ستر عورته فلا يخلع القميص الموالي لبدنه حتى يلبس آخر فوقه، وإلا انكشفت عورته وهو لا يدري. ومن رأى حلة تباع في السوق فباع شملته<sup>(4)</sup> ليشتريها فقد فوّت على نفسه الانتفاع بالشملة، ولم يدرك التمتع بالحلة، فافهم الأمثال وتجنب مواضع الإشكال، وعض على دينك بالنواحد والأضراس، ولا تكن طُفيل الأعراس، والله المستعان.

ولما قرأت على الملا في شرح الهداية قول الحكماء: لا بد للجوهر من وقفة بين كل حركتين مختلفتين، فألزموا على ذلك أن ذرة لو ارتفعت في الجو ولقيها جبل منهبط لوقف الجبل عند ملاقاته، إذ لا بد للذرة من وقفة بين حركتها مرتفعة وحركتها منهبطة، فالتزموا ذلك. فقلت له: يا سيدي يمكن أن يجاب من قبل الحكماء بأننا لا نسلم وقوف الجبل لأن الذرة لا تثبت حتى تلاقي الجبل، بل يردها انضغاط الهواء أمام وقع الجبل، فتتحدّر قبل ملاقاته الجبل فتكون تلك الوقفة الخفية قد حصلت لها قبل ملاقاتها للجبل. فقال: يمكن أن يجاب بهذا، وكان رضي الله عنه منصفا. وقد يقال في هذا الجواب أنه لم يصادف محل الإلزام لأن الإلزام إنما هو على تقدير ملاقاته الجبل للذرة، وأنتم فرضتموه غير ملاق لها، فلا يكون جوابا. فنقول: إن الملاقات المذكورة لا تقع عادة، ولو قدرها العقل وفرضها، إذ لا يصح عادة طلوع ذرة مصادمة لهواء قد ضغطه انحدار جبل قوي مع أن حركتها

(1) أهريق: هراقت السماء ماءها وهي تُعيرق، والماء مُهراق: لسان العرب: هرق.

(2) غافر: 77.

(3) خلب: البرق الخلب: الذي لا غيث فيه: لسان العرب: خلب.

(4) الشملة: كساء يشتمل به: لسان العرب: شمل.

قهرية وحركته طبيعية، وإذا لم يبق إلا مجرد الفرض والتقدير، فلا يضرنا تقدير جبل قد حصرت ذرة ومنعته من الهبوط إذا كان ذلك فرضاً وتقديراً غير واقع في الخارج. فإن قيل: إن الهواء المنضغط المانع لحركتها العلوية هو أيضاً متحرك، فيلزم أيضاً وقوفه، ووقوفه يستلزم وقوف الجبل فيعود الإلزام، فنقول: إنما يلزم من ذلك وقوف الجزء الملاقي للذرة من الهواء لأنه ذو أجزاء، ووقوف ذلك الجزء وحده لا يلزم منه وقوف الهواء كله المستلزم لوقوف الجبل. وعلى تقدير تسليم وقوف الهواء كله تلك الوقفة التي بلغت النهاية في القلة والخفة وسرعة الانقضاء حتى لا يثبتها حس ولا تدركها نفس، فلا نسلم استواء الحركتين في الخفة، أعني حركة الهواء وحركة الجبل، فقد تكون حركة الهواء أسرع، وهو الظاهر، فتحصل تلك الوقفة بلا هواء ولا تحصل للجبل لأنها أقل مما بين الحركتين والتفاوت أو مساوية<sup>(1)</sup> فتأمل.

وعندما جرى ذكر قولهم: أتحصر الذرة الجبل، قال لنا الملا رضي الله عنه: كان شيخنا الصفي يقول في أشياء يتوقف فيها أكابر العلماء وفحول النظار مع أنها سهلة المدرك قريبة الفهم: هذه ذرة حصرت جبلاً كما قال الحكماء لكون عقول الأكابر وأفهامهم كالجبال، ومع ذلك توقفت عن فهم تلك المسائل مع حقارها كالذرة. قال: فمن ذلك ما ورد في بعض التفاسير في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)<sup>(2)</sup> أنه أكرمهم بأنهم يأكلون بأيديهم، ورد عليه بعض العلماء أنه يرد هذا التفسير بكون هذا غير خالص بالآدمي، فإن القرد يأكل بيده. قال شيخنا الصفي: وهذه ذرة حصرت جبلاً، فإن ما يأكل به القرد ليس يداً، إنما هو رجل لأنه من ذوات الأربع، وقوائم ذوات الأربع إنما هي أرجلها لأنها عليها تمشي، وتسميته ذلك في بعض الأحيان يداً عند إرادة التمييز بين المقدم منها والمؤخر إنما هو على سبيل المجاز، وإلا فتسميتها أرجلاً شائع لغة وعرفاً، فانظر إلى هذا مع وضوحه كيف خفي على هذا العالم حتى يرد به على المفسرين، وأشبه هذا كثير في جميع الفنون، فقد روي أن بعض فحول النظار خرج من المسجد فوجد رأس إحدى نعليه عند عقب الآخر، فلم يدر كيف يدخلهما، إن جاء من ناحية عقب هذا لم يتمكن له إدخال الأخرى، حتى جاء صبي فقلبها، فجعل عقبها من ناحية

(1) في ط: متساوية.

(2) الإسراء: 70.

عقب الأخرى، فأدخل رجله فيهما واعترف لذلك الصبي بالذكاء. فاعجب لهذا مع كونه من أكابر النظار كيف خفي عليه هذا وتوقف فيه حتى أرشده صبي.

وقرأت على شيخنا الملا إبراهيم كراسة بخطه فيها الأسماء الإدريسية وسنده فيها وما يوجد بين الروايات من الاختلاف فيها، وهي ثلاث روايات: رواية أبي طالب المكي في قوت القلوب، ورواية ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء، ورواية الغوث الموجودة في كتاب الجواهر، وذكر ما اختلفت فيه الروايات وترجيح الراجح منها، وذكر بعض شروط العمل بها وأدعية الفتح والاختتام، وذكر بعقبها فوائد أخر نافعة، كل ذلك مما أخذه عن الشيخ الصفي وتلقاه منه، وبآخر ذلك ما اقتطفته من الوصية التي كتبها له الشيخ قبيل موته، وأجازني بكل ما اشتملت عليه الكراسة بعد قراءتها عليه كلها قراءة بحث وتدبر وتفهم ومراجعة فيما لم أفهمه، ولنسق الكراسة المذكورة بتمامها، وإن كان فيها طول لاشتمالها على فوائد كثيرة قل أن توجد في غيرها، وهذا نصها:

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله، رأيت بخط شيخنا الإمام قدس سره وأعاد علينا من بركاته آمين ما صورته: قال شيخنا أحمد بن علي الشناوي رحمنا الله به: وكل اسم من الأسماء الأربعينية ذكر أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعين بنية وفاء جميع الشرائط حصلت بإذن الله تعالى، هـ. ورأيت أيضاً بخطه رحمنا الله به ما صورته: يا غياثي عند كل كربة، ومجيب عند كل دعوة، ومعادي عند كل شدة، ويا رجائي حيث تنقطع حيلتي، يا غياثي، قل له كل يوم تسعة وتسعين مرة وصل على النبي صلى الله عليه وسلم أوله وآخره، فهو يكفيك لمهمات الدنيا والآخرة، وترى به خيراً كثيراً إن شاء الله تعالى هـ. ورأيت بخطه أيضاً نفعا الله به ما صورته: "الاسم الحادي والأربعون: يا غياثي عند كل كربة، ومجيب عند كل دعوة، ومعادي عند كل شدة، ويا رجائي حين تنقطع حيلتي، (يا غياثي من خواصه)، من داومه سنة كاملة أدرك أقصى المطالب، وانتهت إليه جميع المآرب، وهذا الاسم غني عن الشروط فلا يحتاج إلا إلى الإجازة والعمدة على معرفة من يؤديه بصدق وجمع همة وحضور مع الله"<sup>(1)</sup>، ذكره سيدنا محمد الغوث بن خطير الدين الشطاري رضي الله عنه في جواهره، وقد أجاز كاتبه أحمد بن محمد القشاشي به وما قبله من الأسماء أخاه

---

(1) الجواهر الخمس، ص: 151.

الأكمل أبا بكر السكري عملاً وإجازة لمن يستحق، والله الموفق لا رب غيره، وأن يتدبّر العامل عند بدئه في الشروع بالفتحة إلى المشايخ المجيزين والأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ويصلي ركعتين يهدي ثوابهما إلى روح النبي، صلى الله عليه وسلم، ولكافة أرواح المشايخ ولوالديه والمسلمين، وأن يتقي الله في عمله ولا يعمل إلا خيراً، ويتجنب مخالفة الشرع وكافة المعصية ما استطاع، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)<sup>(1)</sup>، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وعلى كافة النبيين والمرسلين وآلهم آمين. فإذا وفي بإذن الله ذلك حصل له التصرف في خواص جميع الأسماء العظام بكرم الله وعنايته، وينكشف له حقيقة كل ذرة من ذرات العوالم الثمانية عشر ألفاً ويعلم أحوال العالم خيراً أو شراً. ومن قرأ يا غياثي كل يوم أربعين مرة يشاهد جمال وجه سيد الأنبياء وسلاطن مملكة الاصطفاء في كل ليلة، ويتشرف به وكل ما أشكل عليه ينحل له بالسهولة، والله أعلم.

ورأيت بخطه أيضاً نفحنا الله بنفحة خير منه ببركاته آمين ما صورته: يا الله، يا واحد يا أحد، يا جواد، انفحني منك بنفحة خير (إنك على كل شيء قدير)<sup>(2)</sup>، من قرأ هذه الأسماء كل يوم أحد عشر مرة بعد الفريضة من الصبح أو السنة يسر الله عليه نفقة يستعين بها على أمر دينه ودنياه، وإن لم تصل يوماً فيوماً تصل جملاً جملاً، وهو عمل غوث الثقلين ووصل إلى هذا الفقير من شيخه ومفتاح قفل نشأته الأكمل أحمد بن علي الشناوي، قدس الله روحه، فإذا أراد العامل الشروع فيه يشرع من فجر يوم الخميس كما شرطه المشايخ رضي الله عنهم، وليقرأ الفتحة عند الابتداء لروح غوث الثقلين وجميع أهل سلسلته من المجريين<sup>(3)</sup> والتابعين وعباد الله الصالحين، وإن قرأ الفتحة كل يوم كان أكمل، وإن لم تتيسر فيكفي أول مرة مجازاً به كل راغب فيه بإذن الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى.

قلت: ووصل إلى هذا الفقير الحقير من شيخه وقلوته إلى الله تعالى إمام وقته وغوث زمانه وقطب أوانه سيدي الشيخ صفى الدين أحمد بن محمد المدني

(1) الأحزاب: 4.

(2) آل عمران: 26.

(3) في ط: المجيزين.

المعروف بالقشاشي، روح الله روحه وأعلى في أعلى منازل المقربين فتوحه، ورحمنا به آمين، كما كتبه لي بخطه في هذا المجموع كغيره من الأسماء، والله المرجو النفع به، والحمد لله رب العالمين يوم الأربعاء.

قال سيدنا شيخ السلسلة الغوثية رحمنا الله بأهلها سيدي الشيخ محمد الغوث قدس الله روحه ورحمنا به وبكامل أتباعه آمين في مقدمة الجواهر الثالث ما نصه<sup>(1)</sup>: "إذا أراد أن يشرع في دعوة الأسماء العظام فعليه أن يتعلم فن الدعوة (أي شروطها)<sup>(2)</sup>، من المرشد الكامل".

قال سيدي الشيخ أبو المواهب قدس سره في ضمائر السرائر، أي العامل، ثم قال الغوث قدس سره<sup>(3)</sup>: "وبعض المشايخ يميزون المسترشدين<sup>(4)</sup> بلا عمل ويرشدونهم<sup>(5)</sup>، فلهذا لم يجد التأثير فقلما يجلونه، فلو عمل ولو بحزبات الأسماء، وأجاز ولو بكلياتها، جاز". ثم قال الغوث قدس سره: "حتى ظهر عالم المعينات على عالم الأرواح (...). مع عظمتهم في عهد الفقير بحيث لا يكون في سلسلة الفقير إلى يوم القيامة رجعة في الدعوة"<sup>(6)</sup>. ثم قال بعد قوله: "وأن تجمع مقطعات الاسم بحساب الجمل فيطرح من الجملة 12.12 إلخ، فإن لم يطابق بهذا الوضع يقل التأثير في بعض الدعوات التي شرط فيها استخراجها؛ أي شرائط الأسماء وشرائط العمل"<sup>(7)</sup>. قال سيدي أبو المواهب، قدس سره، في الضمائر: اعلم أن التأثير ولو اشترط في دعوته موافقته للبرج والكواكب لا ينضبط ولو في كليات تلك الخواص لاختلاف القوافل والقلوب إلخ. وخطط شيخنا قدس سره ورحمنا به على حاشية الجواهر ما نصه: قوله رضي الله عنه في بعض الدعوات: دليل لك أنك في بعضها وهو الغالب لا يقل التأثير، وعليه جرى سلطان قوله تعالى (أدعوني أستجب لكم)<sup>(8)</sup>، جرت أوضاع دعوات السنة بالتلقين للمؤمنين والمؤمنات، فلا تغفل والله أعلم هـ.

(1) الجواهر الخمس، ص: 103.

(2) ما بين قوسين غير وارد في كتاب الجواهر.

(3) الجواهر الخمس، ص: 104.

(4) في الجواهر: المسترشد.

(5) في الجواهر: ويرشدونه.

(6) الجواهر الخمس، ص: 105.

(7) الجواهر الخمس، ص: 106.

(8) غافر: 60.

وقال شيخنا الإمام، رحمنا الله به، في كتاب الترغيب الملقب ببستان العابدين بعد أن ساق الأسماء الإدريسية بسنده، على الحافظ ابن حجر بسنده، إلى ابن أبي الدنيا في كتابه الدعاء بسنده للحسن البصري قال: هذا في هذا الطريق إلينا، وأما من طريق شيخنا عن سيدنا السيد صيغة الله عن سيدنا الوجيه العلوي عن سيدنا السيد محمد الغوث صاحب كتاب الجواهر الخمس ففيها في الجوهر الثالث إلى أن قال: ولكن له شروط يحتاج العامل إليها في طريق العمل، وهي تحتاج الحضور بين يدي المجيز للمعانة خوفاً من الضرر بعون الله وإذنه، والإجازة أيضاً لا تكون في شرطه إلا لمن عمل ولو بجزئيات الدعوة على ما شرطوه فيها، ليكون له بذلك اليقين خيرة وإطلاع إذا كان له قوة ينفذ منها إلى باقي الدعوات الكبار، إلى أن قال: هذه كلها مطالب فيها مشاق وأخطار عظيمة يخشى معها على النفس والعقل، فلذلك لم نجرز المذكور، وهذا المقصد أي المروي في كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا، وهو سبيل الرحمة وطريق النبوة في زمن التجنب، أي الطريق الأولى سهلة يسيرة يخبر بها كل طالب راغب إلى الله في قضاء حاجته من فضل الله. وقد قال تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم)<sup>(1)</sup>، فمن أراد قضاء حاجة لآخرته ودينه، من ذكر أو أنثى، من المؤمنات العابديات صام الله ثلاثة أيام، فإذا أتمها اغتسل وليس ثوباً جديداً، ولو قميصاً، أو ما تيسر، رجاء حصول المطلوب والإجابة فيه من فضل الله ورحمته، وتبدل الحال الأول بالحال المطلوب، وبرز إلى قضاء من داره أو مسجده أو صحراء أو نوم الناس فيناجي الله بها، ويحتاج إلى حفظها ليكون أهني وأمرى للمناجاة، وألذ وأشهى، إلى أن قال في هذه الطريقة بأنها سليمة مأمونة، وهي طريق الأنبياء والتابعين، والأخرى طريق المجتهدين الأفراد أهل الجهاد في الله لأنفسهم التبع للرسول على العزيمة من سيدهم، إلى أن قال: فقد انقطع سيدنا السيد محمد الغوث للعمل بالأسماء ثلاث عشرة سنة، إلى أن قال: فاستخرج الجواهر بالغوص الماهر، وظفر بالدر، وإفاضة الدر، ولكنه بشروط، وكُلّف ساحة لا يطبقها إلا هو وأمثاله، فلذلك لم نجر بطريقة لأجل ما فيها من الشروط والضبط المضبوط في سماع الأسماء أيضاً، ولو كان على خلاف العريضة فيعتمدونه كما هو مسموع لهم من المشايخ.

(1) البقرة: 197.

قلت: يعني أنهم ذكروا الأسماء خواص عديدة عليها، منها خواص لها إذا قرئت معربة على قواعد النحو، ومنها ما يترتب عليها إذا قرئت بنوع لحن، وإن أمكن في بعضها توجيهه بوجه يخرج عن ذلك النظام، وهذا مما كتبوه عن وجدانهم وتجربتهم مع العمل بها وقراءتها، والله أعلم. ثم قال: بخلاف الطريق الأولى لسلامتها وتيسر عملها إلا بالشروط المذكورة فإنها سهلة قريبة يسيرة، وقد يفتح الله فيها للعامل بها ما لا يحصى خيره مما سأل وزيادة، فقد سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الخليفة الأعظم، عن ماء البحر أظهور هو؟ فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته<sup>(1)</sup>، فزاد على المسألة، فكيف بالكريم المنان على الجميع، وعلى الله قصد السبيل وإليه المرجع والمآب، هـ.

قال سيدي الشيخ أبو المواهب الخايمي، قدس سره، في ضمائر السرائر، الفصل الثالث في الدعوة الحرفية: اعلم أن في دعوة هذا الفصل وفي الفصل السادس يوافق بعض الإعراب في الاسم القواعد النحوية، وبعضها يخالفها لتعلقه بالسماع ليس له قاعدة، عرفوه بالمكاشفة وتالي الأسماء إن شاء قرأها على إعرابها الأصلي، وإلا ففي قراءتها بالجموع سر خفي لم يذكر في الأصل لكن أهل الكشف أظهوروه وقالوا: لكل شكل منه خاصية. انتهى.

حدثني شيخنا الإمام غوث زمانه وقطب أوانه، السيد الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبي، ابن القطب أحمد بن علي المقدسي الدجاني المدني قدس الله سره ورحمنا به والمحبين آمين بالأسماء الإدريسية، عن شيخه المحقق سيدي أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس العباسي ثم الشناوي ثم المدني، عن شيخه العلامة السيد صبغة الله بن روح الله الحسيني البروجي ثم المدني، عن شيخه العلامة سيدي وجيه الدين العلوي الأحمدي، عن شيخه شيخ السلسلة الغوثية سيدي السيد محمد بن خطير الدين الحسيني المعروف بالغوث الذي دخل عالم الأرواح في عهده بحيث لا يكون في سلسلته رجعة في الدعوة إلى يوم القيامة كما صرح به عن نفسه في كتابه الجواهر الخمس. قال سيدنا أبو المواهب الشناوي قدس سره في ضمائر السرائر التي هي حاشية الجواهر: وفي هذه المنقبة ما تتطاطأ دونه شمارخ المجد من كل رتبة، وشواهد هذا المدعي فيمن تلاه على قدمه وارتضع ثدي المجد من حكمه كالعروة الوثقى؛ وجيه

(1) السنن الكبرى للبيهقي 1: 253.



الدين العلوي، والآية الكبرى صبغة الله الإلهي الوكوي، وعقود المراتب الكبرى أولاده ومعدومي النظر أحفاده، وكذلك روح الله الإمام العصمة وولده صبغة الله نعمة الله وأوفي نعمة إلح هـ.

واتصل الجواهر المتضمن للأسماء وغيرها بشيخنا في هذه السلسلة علما وعملا، فمن التلقي والعمل سلسلة الغوث من طريق شيخه الحاج حضور قدس سره إلى المنتهى فذلك مذكور في كتابه الدرجات له، وغيره، وأورد سلاسل الغوث شيخنا قدس سره في كتابه: السمط المجيد<sup>(1)</sup>، وأما من طريق الرواية فدل كلام الغوث قدس سره في أول كتابه الجواهر<sup>(2)</sup> أن ولادته كانت سنة 956 أو 957. ثم بخط سيدنا السيد صبغة الله، قدس سره، أن مولد الغوث سابع رجب سنة 956، لأنه قال بعد حكايته رحلته إلى شيخه سلطان الموحدين الحاج حضور، وما يتعلق بذلك من رياضته وتصنيفه للجواهر بعدها وإظهاره إياه للناس. قال: "وكان عمري إذ ذاك خمسين سنة، وكان في ست وخمسين سنة بعد التسعمائة هجرية"<sup>(3)</sup>، ووفاة القاضي زكرياء سنة 966، وقد أجاز من أدرك حياته من المسلمين كتابة وتلفظا، فدخل الغوث قدس سره في عموم إجازته، وهو ممن يروي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وشكر سعيه. والأسماء الإدرسية مذكورة في كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا، وقد قال الحافظ ابن حجر: أخبرنا بكتاب الدعاء لابن أبي الدنيا أبو هريرة بن الذهبي إجازة، أنا القاسم بن مظفر بن عساكر سمعا بإجازته من أبي منجاني الليثي، بإجازته من أبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي والحسن بن العباس الرستمي قالوا: أنا أبو نصر أحمد بن محمد بن عمر بن ساسويه، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قراءة عليه وأنا أسمع من حديث النعمان بن بشير<sup>(4)</sup>: الدعاء هو العبادة إلى قوله: فاغفر لي ذنوبي. وإجازة لسائره. أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علم الصفار، ثنا ابن أبي الدنيا فيما أورده الحافظ جلال الدين السيوطي في فتاويه الحديثية في كتاب: الأدب والرفاق حيث قال بعد قوله: مسألة السماء التي اشتهرت للبروني هل لها أصل في السنة ما

(1) ذكر الكتاني أن هذه الفهرسة قد طبعت بالهند: فهرس الفهارس 2: 790.

(2) الجواهر الخمس، ص: 6.

(3) الجواهر الخمس، ص: 6.

(4) النعمان بن بشير بن سعد الخرجي، من الصحابة الأجلاء، توفي حوال سنة 65 هـ: أسد الغابة 22: 5.

نصه: الجواب: لم أقف لها على أصل إلا ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء قال: نا محمد بن سعيد قال: نا سلام الطويل عن الحسن بن علي عن الحسن البصري قال: لما بعث الله إدريس عليه السلام إلى قومه وقد فشا فيهم السحر فلم يطقهم، علمه الله تعالى هذه الأسماء ثم أوحى إليه ألا تبذهن للقوم فيدعوني بهن ولكن قلهن سرا في نفسك، فكان إذا دعا بهن استجيب له، وهن دعا فرفعهن الله مكانا عليا، ثم علمهن الله تعالى موسى وكان لا يخلص إليه سحر ولا سم إذا دعا بهن، ثم علمهن محمدا، صلى الله عليه وسلم، فكان إذا دعا بهن استجيب له، وهن دعا في غزوة الأحزاب. قال الحسن: فإذا أردت أن تدعو الله التماس المغفرة لجميع الذنوب والخطايا فصم ثلاثة أيام، واغتسل والبس ثيابا جدد، وقم إذا نام كل عين فاخرج على فضاء من الأرض فادع الله تعالى بهن أربعين مرة فيهن أربعون اسما عدد أيام التوبة، ثم سل حاجتك من أمر آخرتك ودنياك، تقول: سبحانه لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه. يا إله الآلهة الرفيع جلالة. يا الله المحمود في كل فعالة. يا رحمن كل شيء وراحمه. يا حي حين لا حي يبقى في ديمومة ملكه وبقائه. يا يوم ولا يفوت شي من علمه ولا يؤوده. يا واحد أنت الباقي في أول كل شيء وآخره، يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه. يا صمد من غير شبه ولا شيء كمثلته. يا بار فلا شيء كفؤه ولا مداني لوصفه. يا كبير أنت الذي لا تهدي القلوب لصفة عظمتة. يا بارئي النفوس بلا مثال خلا من غيره. يا زكي الطاهر من كل آفة بقده. يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله. يا نقي من كل جور لم يرضه ولم يخالط أفعاله. يا منان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة. يا منان ذا الإحسان قد علم كل الخلاق منه. يا ديان العباد فكل يعود خاضعا لرهبته. يا خالق من في السماوات والأرض وكل إليه معاده. يا رحيم كل مصرخ ومكروب وغيائه ومعاده. يا تام فلا تصف الألسن كل جلالة وعزه. يا مبدئ البدائع لم يبع في إنشائها عونا من خلقه. يا علام الغيوب فلا يفوت شيء من حفظه. يا حلیم الأناة فلا يعادله شيء من خلقه. ما أفنى إذا برز الخلاق لدعوته من مخافته. 26: يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه. يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. 28: يا قاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه. يا قريب المتعالي فوق كل شيء علوه وارتفاعه. يا مذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه. يا

نور كل شيء وهدية<sup>(1)</sup> الذي فلق الظلمات بنوره. يا عالي الشامخ فوق كل شيء علوه وارتفاعه. يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شيء يعادله من خلقه. يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته. يا جليل المتكبر عن كل شيء، فالعدل أمره والصدق وعده. يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل ثنائه ومجده. يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله. يا عظيم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه. يا عجيب<sup>(2)</sup> فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه. يا غياثي عند كل كربة، ويا مجيبي عند كل دعوة، أسألك أماناً من عقوبات الدنيا والآخرة، وأن تحبس عني أبصار الظلمة المرئيين في السوء، وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون إلى خير ما يملكه غيرك، اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان هـ.

الحمد لله أخبرني<sup>(3)</sup> شيخنا الإمام صفى الدين أحمد بن محمد المدني قدس سره ورحمنا به، عن شيخه المحقق أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي، عن جماعة؛ منهم الشيخ شمس الدين الرملي، والبدر حسن الدنجي، فالرملي عن القاضي زكرياء، عن جماعة منهم الحافظ عمر بن فهد<sup>(4)</sup> عن الجمال المرشدي المكي، عن الحافظ بهاء الدين عبد الله المكي، عن سليمان بن حمزة المقدسي، وأحمد بن نعمة البياني، والدنجي عن الحافظ جلال الدين السيوطي، أنا الشهاب الحجازي إجازة عن أبي إسحاق التنوخي عن أبي العباس الحجار كلهم، أي المقدسي والبياني والحجار، عن عبد العزيز بن دلف، أنا أبو الفتح محمد بن يحيى البرداني، أنا أبو علي محمد بن محمد المهدي<sup>(5)</sup>، أنا عمر بن أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي، أنا أبي بكتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب، ومنه في الفصل الحادي والعشرين في كتاب الجمعة وهيئتها وآدابها وذكر المريد في يوم الجمعة وليلتها ما نصه: "ومما يختص به يوم الجمعة من الذكر والتحميد<sup>(6)</sup> بالأسماء فصول أربعة:

(1) في ط: وهذا أنت.

(2) في ط: مجيد.

(3) في ط: أخبرنا.

(4) عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير، ابن فهد، عالم مؤرخ، توفي بمكة سنة 885 هـ: الأعلام 63:5.

(5) في ط: الهندي.

(6) في القوت: التمجيد.

أولها: الأربعون اسماً التي دعا بها إدريس صلى الله عليه وسلم، خصه الله تعالى بها، وذكر الحسن البصري أن موسى صلى الله عليه وسلم قد كان دعا بهن وإنها (1) كانت من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم (2). إلى أن قال: ذكر دعاء إدريس النبي صلى الله عليه وسلم: ثنا الحسن بن يحيى الشاهد، قال: ثنا القاسم بن داوود القراطيسي، قال: ثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: ثنا محمد بن سعيد المؤذن قال: ثنا سلام الطويل عن الحسن البصري، قال: لما بعث الله تعالى (3) إدريس عليه الصلاة والسلام إلى قومه علّمه هذه الأسماء، فأوحى الله تعالى: قلهن سرا في نفسك ولا تبدهن للقوم فيدعونني بهن. قال: وهن دعا فرفعه (4) الله تعالى مكانا عليا، ثم علمهن الله تعالى موسى صلى الله عليه وسلم، ثم علمهن الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم، وهن دعا في غزوة الأحزاب. قال الحسن: وكنت مستخفيا من الحجاج فدعوت (5) الله تعالى بهن فحبسه عني، ولقد دخل علي ست مرات فأدعوا الله بهن، فأخذ الله تعالى بأبصارهم عني، فادع تعالى بهن التماس المغفرة لجميع الذنوب، ثم سل حاجتك من أمر (6) آخرتك ودينك فإنك تعطاه إن شاء الله تعالى فإنهن أربعون اسماً عدد أيام التوبة: سبحانه لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه [ورازقه وراحمه] (7): يا إله الآلهة الرفيع جلاله، يا الله الحمود في كل فعالة، يا رحمن كل شيء وراحمه، يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه، يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده، يا واحد أنت الباقي في أول كل شيء وآخره، يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه، يا صمد من غير شبه ولا شيء كمثلته، يا باري فلا شيء كفوّه ولا إمكان لوصفه، يا كبير أنت الذي لا تهتدي القلوب لوصف عظمته، يا باري النفوس بلا مثال خلا من غيره، يا زكي الطاهر من كل آفة بقدسه، يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله، يا نقي من كل جور لم يرضه ولم يخالط فعالة يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماء، يا منان ذا الإحسان قد عم كل الخلائق منه، يا ديان كل العباد كل يقوم خاضعا لرهبته، يا

(1) في الرحلة: فإنها.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب 1: 133.

(3) في القوت: عز وجل بدل تعالى في كل هذا الدعاء .

(4) ساقط من الرحلة.

(5) في الرحلة: فأدعو.

(6) في الرحلة: إمرة.

(7) إضافة من قوت القلوب.

خالق من في السماوات والأرض وكل إليه معاده، يا رحيم كل صريح ومكروب وغيائه ومعاده، يا تام فلا تصف الألسن كل جلال ملكه وعزه، يا مبدئ البدائع لم يبع في إنشائها عوناً من خلقه، يا علام الغيوب فلا يفوته شيء من خلقه ولا يؤده، يا حلیم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه. يا معيد ما أفناه إذا برز الخلائق لدعوته من مخافته، يا حميد الفعال ذا المن على جميع الخلق بلطفه، يا عزيز المانع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. يا قاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه. يا قريب يا متعالي فوق كل شيء علو ارتفاعه. يا مذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه. يا نور كل شيء وهدية الذي<sup>(1)</sup> فلق الظلمات بنوره. يا علي الشامخ فوق كل شيء علوا ارتفاعه. يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله من خلقه. يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته. يا جليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده. يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل ثنائه ومجده. يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله. يا عظيم ذا الثناء الفاسخ وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه. يا عجيب فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه. يا غياثي عند كل كربة، وبأجبي عند كل دعوة، أسألك اللهم يا رب الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم، وأماناً من عقوبات الدنيا والآخرة، وأن تحبس عني أبصار الظلمة المرغبات في السوء، وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون إلى خير ما لا يملكون غيرك. اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليماً<sup>(2)</sup> هـ. الحمد لله.

قلت: أبو طالب إنما رواها في القوت من طريق ابن أبي الدنيا، كالسيوطي في الفتاوى فإن عبد الله بن محمد شيخ القراطيسي هو ابن أبي الدنيا، والسند الذي بعده السند الذي ساقه السيوطي في الفتاوى عن كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا، إلا أنه زاد بين سلام الطويل والحسن البصري شخصاً هو الحسن ابن علي، ووقفت على نسخ من قوت القلوب فلم أجد في شيء منها هذه الزيادة، ولم أقف على كتاب الدعاء بعد، فلا أدري أسقط من نسخ القوت أو زيد في نسخ الفتاوى، والكل فيه مخالفة لرواية القوت في الجواهر، ولنبه على ذلك، فمنها أن سيدي

(1) في ط: وهذا أنت.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب 1: 133-134.

الشيخ أبا المواهب الشناوي قدس سره ذكر في ضمائر السرائر حاشية الجواهر ما نصه: واختلف في الاسم الأول، فبعضهم فيه إلى يا رب، وبعضهم إلى كل شيء، وبعضهم إلى ورازقه، وبعضهم إلى وراحمه، لكن العاملون المتأخرون اتفقوا على أنه من سبحانه إلى وراحمه، لأن الزيادة لا تزيد الحكم بل تفيده فائدة زائدة هـ.

ورواية كتاب الدعاء باتفاق القوت والسيوطي إلى وورائه كما رأيت. ومنها أن نسخ القوت والجواهر متفقة على يا قيوم فلا يفوت بالفاء، وفي نسخة الفتاوى: ولا بالواو، ولعله من الكاتب. ومنها: يا صمد، من غير شبه بلفظه، ومن شبه على وزن مثل وفلا بالفاء في الجواهر وفي القوت، ولا بالواو. وفي مكان من في بعضها وبعضها كالجواهر وشبيهه على فعيل بزيادة الياء. وفي نسخة الفتاوى: وكذلك إلا أنها في لا من. ومنها في الفتاوى: يا بار، كالجواهر، وفي القوت: يا باري. ثم القوت كالجواهر إلا في حرف يدانيه. والفتاوى يخالفهما في قوله: ولا مدانٍ لوصفه. ومنها: يا كبير أنت الله الذي. في الجواهر بذكر الجلالة والعقول مكان القلوب، والوصف مكان الصفة، وفيهما: أنت الذي، بلا تصريح والقلوب، قال: لوصف وفي سيدي لصفة، ولفظ العقول أنسب في المعنى من القلوب، والوصف أوضح من الصفة في المعنى المصدري. ومنها: يا نقياً بالنصب في ج وفي ق وس: يا نقي بصورة المرفوع، ولعله على قاعدة بعض المحدثين في كتابتهم المنصوب بصورة المرفوع، ثم يكتبون عليه فتحين علامة للتنوين كما نقله السيوطي في شرح المسند للشافعي، وحكى أنه رآه كذلك في خط الذهبي وغيره، وذلك لأن نقياً منادى مشابه بالمضاف، لأن قوله من كل جور متعلق به فيكون منصوباً كما هو مقرر. ومنها: يا منان، ففي ج وق زيادة علماً بعد رحمة، وفي نسخة س: بلا علم، ولعله من الكاتب. ومنها يا ديان العباد، ففي ج: كل بلا فاء يقوم خاضعاً لرهبته ورغبته، وفي ق كل بلا فاء أيضاً يقوم خاضعاً لعزته، وفي نسخة لرهبته، وفي ف فكل، بالفاء يعود بالعين، والدال لرهبته. ومنها: يا خالق ففي ج: كل إليه بلا واو، وفيهما: وكل بالواو. ومنها: يا تام، ففي ج: كل جلاله وملكه وعزه، بإضافة كل إلى جلاله وإضافته إلى الضمير. وفي س كذلك إلا أنه حذف وملكه، وفي ق: كل جلال ملكه وعزه بإضافة جلال إلى ملكه.

ومنها في ق وس يا مبديء البدائع بالهمزة، وفي ج: يا مبدع بالعين، ومنها: يا قريب، ففي ج: علوا ارتفاعه، بإضافة علواً إلى ارتفاعه، وفي ق: كل شيء

ارتفاعه بحذف علوا، ورفع ارتفاعه، وفي س علوا وارتفاعه بإضافة علوا إلى الضمير وعطف الارتفاع عليه. ومنها يا قدوس، فصي س: يعادله، وفي ج: يعاد، بالعين المهملة والذال المعجمة، وكذا في نسخة من القوت وفي نسخة منه يضاده بالضاد والذال المهملة المُشَدَّد، وفي نسخة من القوت أيضاً: يعانده بضم الياء والعين المهملة بعدها نون وبعده دال مهملة من المعاندة، وفي بعض نسخ الجواهر يعازه، بالزاي، وأورده في بعضها بالراء المهملة، وفي بعضها بالذال المهملة مخففة، والذي يغلب على الظن أن الرواية يعانده أو يضاده بالضاد المعجمة، والذال المهملة المُشَدَّدة، وأن يعاده بالعين المهملة والذال المهملة أو بالذال المعجمة، وكذلك بقية النسخ كلها تصاحيف بعضها من بعض بتصريف الكتاب، والله أعلم، وإن قال في الضمائر: إن العمل على يعاده بضم الياء التحتية والذال المعجمة، أي ليس له من يعيده من خلقه هـ. وذلك لأن ما ذكره تفسير ليعيده معلوماً، وأما يعاده مجهولاً فلا يتعدى إلى المفعول إلا بالحذف والاتصال، فإن كان محفوظاً بالتقدير فلا شيء يعاذ منه، فحذف من الجارة وأوصل والمعنى مأخوذ من مضمون قوله تعالى: (وهو يُجير ولا يجار عليه)<sup>(1)</sup>، أي فلا شيء يعاذ ويصان في ملاذ وملجأ منه إذا أراد به شيئاً من جميع خلقه ويعاده إن كان محفوظاً، فمعناه يغالبه بالعزة ويعاره بالعين المهملة، والراء، إن لم تكن تصحيفاً فمعناه لا شيء يفعل به ما هو كاره له بمعنى غير مريد، فالكراهة تقابل الإرادة التي هي المشيئة لا الإرادة التي هي المحبة التي تقابلها الكراهة الشرعية فإن الكراهة الشرعية واقعة لأنها مرادة، أي مشيئته وإن لم تكن محبوبة، والله أعلم.

ومنها: يا جليل، فصي ج: المتكبر على كل، وفيهما عن كل منها يا عجيب، فصي ج: يا عجيب الصنائع، بإضافته إلى الصنائع، وفي نسخة من القوت: يا عجيب الأمور، بإضافته إلى الأمور، وفي شرح الأسماء الحسنى لزروق: يا عجيب الشأن. وفي نسخة منه كالفتاوى يا عجيب بلا إضافة إلى شيء، ثم فيها ما إلى وثنائه، وفي ج زيادة ونعمائه، ومنها يا غياثي، ففيهما إلى دعوة بزيادة حرف النداء في مجيبي، وفي ج زيادة ومعادي، والله أعلم.

الحمد لله ترجم شيخنا الإمام، قدس سره، لدعاء الافتتاح له والاحتتام ننقله بعبارة تبركا. قال قدس سره: هذا دعاء الافتتاح بأسماء الله الحسنى ولسائر

(1) المومنون: 89.

الدعوات والأوراد إذ لا تخلو منها جميع الدعوات والأوراد، وبها، إن شاء الله، حصول كل مراد للمريد كما شاء وأراد لأمر الفاني أحمد بن محمد بن عبد النبي الدجاني مجيزاً به من أراد، وبالله الرشاد والسداد، وهو حسينا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم، باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين آمين. اللهم إني أسألك بحق أسمائك الشريفة وما اشتملت عليه من مكنون سرّك وبديع أمرّك وغامض لطفك وشديد فهمك، يا من أبرز صوراً عنها كما شاء وسلها منها ببدايع الإنشاء، أسألك اللهم بحجرونها المصور القاضي في العالمين بما كان ويكون أن تفتح اللهم لي خزائن أسرارها، وتمكن لي بدائع اقتدارها في الذين يعلمون والذين لا يعلمون بكلمة التقدير الإلهي التكويني، كما يكون على لباس عافيتك في ذلك وكمال وقايتك عن سطوات قهرك المتدارك، وأن تسلك بي في ظاهرها وباطنها وأولها وآخرها مسلك أوليائك، وأن تجنّبي بها مواقع نجوم أعدائك المنسلخين عنها بعد الإتياء لابتنائك، وتعيّذي برضاها من سخطها، وبمعافاتها من عقوبتها، وبها منها بعضاً وكلاً، إذ هي منك إياك لا غيرك (فادعوا الله مخلصين له الدين)<sup>(1)</sup> بالاسم المُسمّى، وذلك من تسييحها عند عبدك بأمور وارد (سبح اسم ربك الأعلى)<sup>(2)</sup>، فإن تجعلني بكرمك عند النداء بها إليك بذلك أهلاً، يا نعم النصير ونعم المولى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى عامة الأنبياء والمرسلين وآلهم وتابعيهم صلاة لا تبرح بالدوام تتلى، وتتجدد على مر الدهور ولا تبلى.

ولنسق الأسماء الإدريسية هنا كما هي مذكورة في الجواهر ثم نورد دعاء الاختتام لشيخنا قدس سره بعدها، وقد رويناهما كما مر عن شيخنا الإمام عن شيخه أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي، عن شيخه السيد صبغة الله بن روح الله، عن شيخه سيدي وجيه الدين العلوي، عن شيخه شيخ السلسلة صاحب الجواهر سيدي الشيخ محمد الغوث قدس الله أسرارهم أجمعين إنه أوردتها في الجواهر هكذا: سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحه<sup>(3)</sup>.

(1) غافر: 13.

(2) الأعلى: 1.

(3) الجواهر الخمس، ص: 130.



يا إله الآلهة الرفيع جلاله<sup>(1)</sup>. يا الله المحمود في كل فعالة<sup>(2)</sup>. يا رحمن كل شيء وراحمه<sup>(3)</sup>. يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه<sup>(4)</sup>. يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده<sup>(5)</sup>. يا واحد الباقي في أول<sup>(6)</sup> كل شيء وآخره<sup>(7)</sup>. يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه وبقائه<sup>(8)</sup>. يا صمد من غير شبيه فلا شيء كمثله<sup>(9)</sup>. يا بار فلا شيء كفؤه يدانيه ولا إمكان لوصفه<sup>(10)</sup>. يا كبير أنت الذي لا تهدي العقول لوصف عظمتك<sup>(11)</sup>. يا باري النفوس بلا مثال خلا من غيره<sup>(12)</sup>. يا زكي الطاهر من كل آفة بقدسه<sup>(13)</sup>. يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله<sup>(14)</sup>. يا نقي من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعالة<sup>(15)</sup>. يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلمًا<sup>(16)</sup>. يا منان ذا الإحسان قد عم الخلائف منه<sup>(17)</sup>. يا ديان العباد كل يقوم خاضعاً لرهبته ورغبته<sup>(18)</sup>. يا خالق من في السماوات والأرض كل إليه معاده<sup>(19)</sup>. يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاده<sup>(20)</sup>. يا تام فلا تصف الألسن كل جلالك<sup>(21)</sup> وملكك وعزك<sup>(22)</sup>. يا مبدع البدائع لم يبع في إنشائها عوناً من خلقه<sup>(23)</sup>.

(1) نفسه، ص: 132.

(2) نفسه.

(3) نفسه، ص: 133.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) في الجواهر: أول.

(7) الجواهر الخمس، ص: 134.

(8) نفسه.

(9) نفسه.

(10) نفسه، ص: 135.

(11) نفسه.

(12) نفسه، ص: 136.

(13) نفسه، ص: 137.

(14) نفسه.

(15) نفسه، ص: 138.

(16) نفسه.

(17) نفسه، ص: 139.

(18) نفسه.

(19) نفسه، ص: 140.

(20) نفسه.

(21) في الجواهر: جلاله وملكه وعزه.

(22) الجواهر الخمس، ص: 141.

(23) نفسه.

يا علام الغيوب فلا يفوت شيء من حفظه<sup>(1)</sup>. يا حلیم ذا الأناء فلا يعادله شيء من خلقه<sup>(2)</sup>. يا معید ما أفناه إذا برز الخلائق لدعوته من مخافته<sup>(3)</sup>. يا حمید الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه<sup>(4)</sup>. يا عزیز المنیع الغالب على جميع أمره فلا شيء يعادله<sup>(5)</sup>. يا قاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه<sup>(6)</sup>. يا قريب المتعالي فوق كل شيء علو ارتفاعه<sup>(7)</sup>. يا مذل كل جبار عنید بقهر عزیز سلطانه<sup>(8)</sup>. يا نور كل شيء وهده أنت الذي فلق الظلمات نوره<sup>(9)</sup>. يا عالي الشامخ فوق كل شيء علوا ارتفاعه<sup>(10)</sup>. يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله من خلقه<sup>(11)</sup>. يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته<sup>(12)</sup>. يا حلیل المتكبر على كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده<sup>(13)</sup>. يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل ثنائه ومجده<sup>(14)</sup>. يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله<sup>(15)</sup>. يا عظیم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه<sup>(16)</sup>. يا قريب المحیب المداني دون كل شيء قربه<sup>(17)</sup>. يا عجيب الصنائع فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه ونعمائه<sup>(18)</sup>. يا غياثي عند كل كربة، ويا مجيبي عند كل دعوة، ومعادي عند كل شدة، ويا رجائي حين تنقطع حيلتي<sup>(19)</sup>.

(1) نفسه، ص: 142.

(2) نفسه.

(3) نفسه، ص: 143.

(4) نفسه.

(5) الجواهر الخمس، ص: 144.

(6) نفسه.

(7) نفسه، ص: 145.

(8) نفسه، ص: 146.

(9) نفسه، ص: 147.

(10) نفسه.

(11) نفسه.

(12) نفسه، ص: 148.

(13) نفسه.

(14) نفسه، ص: 149.

(15) نفسه.

(16) نفسه، ص: 150.

(17) نفسه.

(18) نفسه، ص: 151.

(19) نفسه.

## دعاء الاختتام:

"اللهم إني أسألك بحق هذه الأسماء الشريفة وشرفها وكرمها أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وأسألك لإيماننا وأماننا من عقوبات الدنيا والآخرة، وأن تحبس عني أبصار الظلمة المرئيين بي السوء، وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون إلى خير ما لا يملكه غيرك. اللهم هذا الدعاء مني ومنك الإجابة، وهذا الجهد مني وعليك التكلاان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين برحمتك يا أرحم الراحمين"<sup>(1)</sup>.

## دعاء الاستجابة:

"اللهم يا مُفتح الأبواب ومسبب الأسباب، ويا مقلب القلوب والأبصار، ويا دليل المنحيرين، ويا غياث المستغيثين، ويا مخرج الحزونين، أغثني أغثني، أغثني، توكلت عليك يا رب، قضيت فرضيت، فوضت أمري إليك، يا رزاق يا فتاح يا باسط، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين"<sup>(2)</sup>هـ.

وهذا دعاء الاختتام لها ولكل دعاء ولا دعاء إلا بها ولها: باسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وبكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك واستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور بصري وجلاء همي وذهاب غمي، وأن تجعل لي من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يا من قامت السماوات والأرض بأمره، يا من يمسك السماء باسمه الماسك أن تقع على الأرض إلا بإذنه، يا من لا يدعى إلا بأسمائه (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)<sup>(3)</sup>، فبأسمائك الحسنى دعوتك فلا تخيبني وأكرمني بها ولا تهني وأعطني ولا تحرمني، وآثري بها ولا تؤثر علي، فالدعاء منك وإليك، والمعول في تحقيق المطالب على ما سبق به علمك وفاضت به على يد إرادتك وقدرتك مواهب يديك، يا من يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، فأسألك اللهم أن تتقبل مني وأن تكون لي فيما طلبته مني

(1) نفسه، ص: 70.

(2) نفسه.

(3) الزمر: 67.

بِأَمْنِكَ وَإِلَيْكَ فِيمَا أَرْجُو وَأَخْشَى وَأَسْتَتِرُ بِكَ الْمَحْبُوبَ مِنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ وَأَسْتَدْفِعُ بِكَ الْكَرُوبَ فِي السَّكُونِ وَالْمَشْيِ، يَا مَنْ لَهُ الْإِنْشَاءُ فِيمَا أَرَادَ كَيْفَ شَاءَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا حَنَّانَ يَا مَنَّانَ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ثَلَاثًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ فَتَحَتْ بِهِ خَزَائِنَ الْغَيْبِ فَكَانَ الْغَيْبُ فِيهِ مَشْهُودًا وَالْقَائِمُونَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ الْإِنْزَالِ شُهُودًا، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا رَشِيدًا سَدِيدًا أَيْدَا عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَآلِهِمْ وَصَحْبِهِمْ وَالتَّابِعِينَ، (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>(1)</sup> هـ الحمد لله. وفي هامش النسخة الفارسية للجواهر التي عليها خط سيدنا السيد صبغة الله، قدس الله سره، ما معناه وترجمته: افتتاح الأسماء الأربعين العظام يصلّي على النبي، صلى الله عليه وسلم، اثنا عشر مرة ويقول ناد عليها سبع مرات، ويقول: سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب ثلاث مرات، ويقول: هذا الاسم الذي عده بعضهم من الأسماء العظام الأربعين ثلاث مرات، وهو: يا قريب المحيى المداني دون كل شيء قربه، ثم يشرع في قراءة الأسماء العظام بعد الاعتصام واعتصام الأسماء العظام هذا: باسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا قيوم الوجود، ويا فائض الجود، ومترل البركات، وغاية الحركات، ومنتهى الرغبات، نور النور ومدير الأمور وواهب الحياة للعالمين، أيدني بنورك، ووفقي بمرضاتك، وألهمني رشداً، وطهرني من رجس الظلمات، وخلصني من غسق الطبيعة إلى مشاهدة أنوارك ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك ومرافقة سكان ملكوتك، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم (من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)<sup>(2)</sup>، غفرانك اللهم غفرانك، آمنا بك وأقرنا بآياتك، وصدّقنا رسالاتك، وعلمنا أنه لا مذهب وراءك، ولا حول إلا حولك، ولا عز إلا عزتك، خضعت لجلالك رقابنا، وخشعت لعزتك نفوسنا، اقبضنا من غضبك إلى رضاك، ومن عذابك إلى رحمتك، ومن ظلماتنا إلى نورك، أزل عنا العمى وارفع عنا الهوى، ما جعلت إلينا أمر خلقنا فلا تجعل إلينا مر كمالنا، وارحمنا وارضنا عنك وارضَ عنا إنك بالجدود الأعم على العالمين منا رحمة للعالمين برحمتك، يا أرحم الراحمين. من منهج الدعوات لابن طاووس<sup>(3)</sup> هـ

(1) الصافات: 180-182 .

(2) النساء: 69.

(3) علي بن موسى بن جعفر، ابن طاووس، فقيه فاضل، توفي سنة 664 هـ ترجم له الزركلي ولم يذكر له منهج الدعوات: الأعلام 26:5.

بصورته. وفي هامش تلك النسخة بعد إيراد الأسماء الأربعة ما معناه وترجمته:  
اختتام الأسماء الأربعة العظام: يقول: يا قريب الحبيب المداني دون كل شيء قربه  
ثلاث مرات، وسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب ثلاث مرات، ويصلي على النبي  
صلى الله عليه وسلم سبع مرات، ثم يقرأ هذا الدعاء فإنه للأمن من الخوف وسعة  
الرزق ومجرب إلى الغاية منقول عن الأمين: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله  
رب العالمين، اللهم صل على محمد وآل محمد، اللهم إنك آمن من كل شيء،  
وكل شيء خائف منك، فبأمنك من كل شيء وبحوف كل شيء منك، آمين من  
خوف كل شيء يا من (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)<sup>(1)</sup>، (كهيعص)<sup>(2)</sup>،  
كفيت (حم عسق)<sup>(3)</sup> حميت، (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل  
ظلماً)<sup>(4)</sup>، تحصنت بذی الملك والملکوت، واعتصمت بذی العزة والجبروت،  
ورميت كل من أرادني بسوء، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على خير  
خلقه محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين، من منهج  
الدعوات لابن طاووس، هـ.

الحمد لله الطريق الأول يصوم ثلاثة أيام، يوم الأربعاء والخميس والجمعة، ثم  
في يوم الجمعة وقت الضحى يغتسل ويصلي ركعتين سنة الوضوء، ثم يصلي  
ركعتين لروح النبي، صلى الله عليه وسلم، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة  
والضحى، وفي الثانية بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة، ثم يصلي  
ركعتين لروح الشيخ شهاب الدين السهروردي، في كل ركعة بعد الفاتحة سورة  
الإخلاص ثلاث مرات، ثم يصلي ركعتين لروح السيد جلال البخاري، وركعتين  
لروح الشيخ محمد الغوث قدس الله أسرارهم أجمعين، في كل ركعة الإخلاص  
ثلاث مرات، ثم يصلي ركعتين مثل ما تقدم لروح شيخنا صفي الدين القشاشي،  
ثم يصلي ركعتين لآزدياد محبة الله تعالى، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص  
ثلاث مرات، ثم يقرأ ألفي مرة ومائتي مرة هذا الاسم: يا حليم ذا الأناة فلا يعادله  
شيء من خلقه، يا حليم، يختم بالاسم، وهكذا في كل اسم قرئت مجموعة أو  
مفردة لدفع الرجعة، فلا يرجع اسم من أسماء الله، ولو فوت القارئ من الشرائط،

(1) الشورى: 9.

(2) مريم: 1.

(3) الشورى: 1.

(4) طه: 108.

وهذا الاسم لا يعلم للسفهاء، ثم يشرع بنية الشرائط. السند الأول: يشرع بعد استيفاء الشروط على أوجه العزيمة أو الرخصة يوم السبت بعد صلاة الفجر يقرأ كل يوم خميس من الأسماء 434 مرة، والخمسة الثانية من الأسماء في اليوم الثاني، وهكذا إلى تمام الأسبوع، والستة الباقية يقرؤها العدد المذكور بعد صلاة الجمعة، فعند هذه الشرائط وآدائها يصير متصرفاً في الأسماء كلها، فيقرأ بنية الدعوة لأي حاجة أراد كل يوم خمسة من الأيام بالشرط المذكور، والبداية بع صلاة الفجر من يوم السبت، ويلزم بعد العصر: يا قريب المحيب المداي دون كل شيء قربه، يا قريب. والورد أحد وأربعون مرة قبل صلاة الفجر يقرأ الخمسة كل يوم إحدى وأربعين مرة بطريق الورد كل خمسة موزعة على أيام الأسبوع، والنهاية بعد صلاة الجمعة كما سبق يحصل المقصود.

السند الثاني بعد الصيام والصلاة وقراءة الاسم الذي سبق لرد الرجعة، يقرأ لكل خمسة بنية النصاب ألفين ومائتين مرة، وبنية الزكاة ألف ومائة، وبنية العشر خمسمائة وستين مرة، وبنية الفضل ثلاثمائة مرة، وبنية الدور المدور تقرأ الأسماء كلها مائة مرة، وفي هذا الطريق لا حاجة بالمبدل والختم بعد فراغ هذه الشرائط يقرأ لكل حاجة كل خمسة ثلاثمائة وستين مرة، وورده بعد تمام الدعوة والشرائط أن يقرأ كل يوم خمسة من الأسماء إلى تمام الأسماء في الجمعة، والستة الباقية بعد صلاة الجمعة إحدى وأربعين مرة كل يوم بطريق الملازمة.

سند الدعوة المجموعة: بعد أداء الصوم والصلاة والقراءة المذكورة أن يتدبّر بقراءة الأسماء كلها من سبحانك إلى غياثي ألفاً وإحدى وأربعين مرة في مدة تيسر بعد أداء الشرائط، إن كان مبتدئاً يقرأ بها في إحدى وأربعين يوماً مقسماً الألف والآحاد والأربعين مرة على الأيام الأربعين، وإن كان متوسط يقرؤها في تسعة أيام واثني عشر يوماً أو أحد وعشرين يوماً، ويقسم القراءة على أيام القراءة، وإن كان منتهياً يقرؤها في ثلاثة أيام أو في سبعة أيام العدد المذكور مقسماً على الأيام للحاجة، ولكل حاجة عدد معين يقرؤه بين الصبح الكاذب والصادق، أو في دير جبل، أو في واد، أو في بستان، أو في خلوة، أو في ساحل الماء الجاري، إن لم تيسر هذه الأماكن يقرأ في نصف الليل في مكان خال مع الاعتصام، وهو هذا: باسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد بعدد كل ذرة ألف ألف مرة،

وعلى آل سيدنا محمد وبارك وسلم (نصر من الله وفتح قريب)<sup>(1)</sup>، (وبشر المؤمنين)<sup>(2)</sup>، (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)<sup>(3)</sup>، ويقرأ هذا قبل الأسماء في كل مرة والاختتام، واللهم إني أسألك بحق هذه الأسماء الشريفة الكريمة أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وأسألك لإيماننا وأماننا من عقوبة الدنيا والآخرة، وأن تحبس عني أبصار الظلمة المرئيين بي السوء.. إلخ.

الحمد لله، رأيت بخط شيخنا الإمام قدس الله سره ورحمنا به ما صورته لكتابه: اللهم إن الوقوف لكل سائل ببابك والعياذ بك والتوجه في كل حال إليك، بل أنت الطالب والمطلوب عند كل طالب ومطلوب، فخلصنا بك إليك ولا تحجبنا بنا يا من إليه المشتكى والمفرع، اقض حوائج عبادك آمين.

ومن خطه أيضا: عزيمة لأُم الصبيان<sup>(4)</sup>، وذلك مس من الجن: باسم الله الرحمن الرحيم ارقاش باعش مرقاش أسطاف اسنطاف خطوف خطاف سعداس وفرداس، الله رب العزة يا طها وحبوش ارفح شنوح أرمذ حشيا القلدم الأزلي الأبدى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إلى (الحريق)<sup>(5)</sup>، أنشدكم بالله العزيز القهار الوافي الدافع، وبالعهد الذي أخذه عليكم سليمان بن داوود عليهما السلام، أن لا تضروا من يحمل هذا التعويد، وأن تتركوه وتحفظوه في حرز الله وضمانته، بحق النبي محمد وآله الطيبين الطاهرين وباسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من كل عرق نقار ومن شر حر النار، أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما هـ.

ومن خطه أيضا روح الله روحه: روى الشيخ الوفاي أن واحداً من مردي الشيخ صدر الدين القونوي<sup>(6)</sup> - قدس الله سره - دخل عليه فرأى عنده جماعة مهيبة بحيث ارتعدت فرائضه من الخوف حتى التجأ إلى نعل فضمها إلى صدره، فسكن بعض روعه وهم ينظرون إليه نظراً المغضب وقالوا: لولا نعل الشيخ عنده لأخذناه

(1) الصف: 13.

(2) البقرة: 221.

(3) يوسف: 64.

(4) أم الصبيان: كناية عن الريح التي تعرض للإنسان فيغشى عليه منها: لسان العرب: أم.

(5) البروج: 10.

(6) محمد بن إسحاق بن محمد القونوي، صوفي، من تلامذة ابن عربي، توفي سنة 673 هـ: الأعلام 30:6.

كما نأخذ بني آدم، وحكوا كيفية أخذهم، وطلب الشيخ منهم أن يكون بينه وبينهم عهد وذمة لا ينقضونها ولا يأخذوا من كانت هذه الأسماء عنده، قال: وقد حريت هذا من لدن الشيخ فما تخلق بإذن الله تعالى، والحمد لله. يكتب في ورق لطيف ثم يلف ويجعل في شمع ويجعل في كرباس<sup>(1)</sup> أزرق، ويجعل في جلد أخضر ويعلق في عنقه، وإن لم يندفع بهذه الكيفية يكتب في إناء أخضر حديد ويصب عليه الماء ويرش به المريض يشفى بإذن الله، ويؤخذ عليه وزن نواة من ذهب أو فضة يتصدق بها طعاماً على الفقراء لمن قدر على ذلك أو حسب ما تيسر له هـ.

قلت: وقد شافهني شيخنا الإمام روح الله بهذه الحكاية ثم قال: وقد اشترط الشيخ صدر الدين شروطاً ونحن نعلمها بلا ترك الشروط، ويقع بها النفع بإذن الله، فلما سألت عن المجموع الذي كتبت فيه العزيمة فدلني عليه. ثم بعد هذا المجلس منه بمدة رأيت كتب بخطه على حاشية الصفحة التي فيها هذه العزيمة وغيرها ما نصه: نقل هذا كله وأنفع به الناس، نفعك الله ونفع بك آمين.

ومن خطه نفعنا الله به ما صورته: ومما يكتب للحُمى حروفاً مقطعة يتبخر بها حين تأتي ثلاثة أيام وهي: 1 فرعون هامان قارون في النار. 2 هامان قارون فرعون في النار. 3 قارون فرعون هامان في النار. ومما يكتب لها للأكل كذلك ثلاثة أيام كل يوم واحدة حروفاً مقطعة 1 يعقوب 2 كيعوب عيغوب.

ومما يكتب للضرس في ورقة صغيرة وتجعل في الضرس إذا كان محضوراً: (لكل نبي مستقر وسوف تعلمون)<sup>(2)</sup>، وتقرأ الفاتحة عليه ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً يزول بإذن الله.

ومما يكتب ويعلق للصداع: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين)<sup>(3)</sup>.

ومما يكتب للمصروع من الجن آية الكرسي وآخر سورة البقرة فإنها لا تستطيعها البطلة أي الجن هـ. ما في تلك الصفحة.

(1) الكرباس: الثوب: لسان العرب: كريس.

(2) الأنعام: 67.

(3) هود: 44.



ومن خطه قدس سره فائدة تعمل لجميع أنواع الجن المؤذية، وتكتب لأُم الصبيان أيضا التي يصرع بها الصبيان والمريض طال مرضه وشبه هذا، وهي نافعة مجربة بإذن الله تعالى، وهي تكتب في إناء مدهون أو صيني أو في ورقة ويعلق، أو ورق سبع أشجار لا شوك بها وهي: آل شلع يعويق بيه به به وه تيكه تيكف تمكعال بصعي كفي ممال مطيعي لك يا الله، اللهم بشلشل هنوت حيفوش هاشه كاشه عند عشيش ربح، أخرج أيها السوء والوجع الطارق من هذا الجسد جسد عبد الله فلان بن فلان أو جسد أمة الله فلانة بنت فلانة بعزة من (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)<sup>(1)</sup>، ثم تكتب الفاتحة والإخلاص والمعوذتين وبعده تكتب (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)<sup>(2)</sup>، وأضف إليه صموم قصوم طائر متوشلخ سلوم كلوم، (وهو القاهر فوق عباده)<sup>(3)</sup> يخرج الجن بالقهر بإذن القاهر فوق عباده هـ. وقد أجزت به المسلمين لنفع المسلمين هـ من خطه قدس سره.

(ومن خطه، قدس سره)<sup>(4)</sup>، ومما ينفع للمصروع قراءته العشر الآيات من سورة البقرة، فمن قرأها على مصروع أفاق، ومن علقها عليه عوفي بإذن الله، أولها من أول السورة إلى (المفلحون) أربع آيات، وآية الكرسي، وبعدها آيتان إلى (خالدون)، وثلاث من آخرها (لله ما في السماوات) إلى آخرها. وقد أجزت بها مريدها، وهن رعاية الله عليه هـ. قال شيخنا الإمام رحمه الله ومن خطه الشريف نقلت: اعلم أن الفاتحة الكريمة حقيقة جملة القرآن، وإنما القرآن إلى الكريم كله تفضيلها فكله الفاتحة والفاتحة كله، وساق الكلام في بيان ذلك بنحو ورقة وصفحة، ثم قال: وقد أجزت بها مريدها أن يكتبها لكل علة لأنها محيطة بجميع آيات الشفاء من جميع الأمراض فتكتب لكل داء ولكل علة وكرب وضيق وعسر يفك بإذن الله، وتقرأ كذلك وردا أقله سبع في اليوم وسبع في الليلة، وتقرأ سبعين مرة صباحا ومساء سبعين، وتقرأ مائة وعشرين ليلا ومثلها نهارا، وتقرأ أيضا 125 مرة موزعة على الليل والنهار 28 في الصباح ومثلها في الظهر وكذا مثلها في العصر، وفي المغرب 25، وفي العشاء 28، فذلك 125، وتقرأ ثلاثمائة وستين وردا

(1) الإخلاص: 3- 4.

(2) الإسراء: 82.

(3) الأنعام: 19.

(4) زيادة من ط.

في اليوم واللييلة مجموعة أو موزعة مع الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، أول كل ورد منها وأوسطه وآخره، وفيها أوراد كثيرة بحسب القائلين إلى هنا كلامه قدس سره: الحمد لله وحده.

ومن خط شيخنا صفي الدين القشاشي، قدس الله سره، ما نصه: وصية العبد أحمد لأولاده زكاهم الله وآتاهم تقواهم بكرمه آمين، ورحم الله الموصي والموصى، (وهو أرحم الراحمين)<sup>(1)</sup>، وجعل الكل لما رضىه من التابعين. باسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)<sup>(2)</sup>. وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)<sup>(3)</sup>، وهم المجانبون للهوى المتبعون للأجر، وهم الخلفاء أبداً، فالتقوى لله حملة العبادة أمراً ونهياً، والعبودية الباطنة علماً وعقداً، والعبودية الخالصة لله بكل ذلك أفراداً وقصداً، إذ هو الطالب ذاك والمطلوب منه العون عليه، كذلك فله العبادة من الكل وبه الاستعانة فيه، (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)<sup>(4)</sup> لمن فهم، وعلى ذلك المدار ظهوراً وبطوناً بدءاً وعوداً، ثم لتكون التقوى لله لا لشائية من الهوى والحكم للخالص من ذلك، وإن قل، ثم للغالب بلا مغالب، ثم للمغالب مع المغالب.

وهذه درجات<sup>(5)</sup> العاملين للتقوى، والرابعة البارزة عنها للغافلين حتى حكم الله لصاحب ذلك بالانتقال والبقاء، والله خير الحاكمين. وقد عم أرباب البصائر في الدين أن الهوى مفسد أو مقعد في الأوامر الإلهية فكيف بالكونية. قال تعالى: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)<sup>(6)</sup>، فلا يستقيم الأمر الإلهي من قبل الإله أو من قبل الرسل أو من قبل الخلفاء إلا لاتباع الأمر، ويرشد إلى مزيد بيانه في الحضرة الكونية قوله تعالى: (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد)<sup>(7)</sup>، يعني باتباع الهوى، يعني حالاً بالشقاق،

(1) يوسف: 64.

(2) النساء: 130.

(3) التوبة: 120.

(4) الزمر: 67.

(5) في ط: درجة.

(6) المومنون: 72.

(7) ص: 25.

وماً لآلها نسوا يوم الحساب، فلا تنس أيها الخليفة ومن معك، ذكرني الله وأياكم يوم الحساب، وهذا خطاب من الله لمن خاطبه الله تعالى به ثم لجميع المستخلفين في الأرض ليحكموا به ولو في أنفسهم أو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين بقصد الله، لا (1) مهابة ولا محابة إلا ما كان في مؤلف يدعى إلى الحق الأكمل وإلى الكمال، ثم لا يمنعه عن الصرف لله إذ هو الطالب والمطلوب كما في وارد قوله تعالى: (أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى) (2)، فهذه تذكرة للتابعين المستخلفين لأنهم كما كان خلقه القرآن، كذلك التابع له يكون إذا استوفى خلقه القرآن بحسبه، فأوصى الخليفة من بعدي والتابعين رأيي والمسلمين بتقوى الله العظيم، وأن لا يتبع الهوى كما أمر الله (3)، فإن المتروك فينا من كتاب الله وسنة رسوله، وهذا كتاب الله كما سمعت وعليه استنطاقه بسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: فاستنطقوا القرآن بسنتي ولن تعمى أبصاركم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما تمسكتن بهما، فأوصي من بعدي بذلك كما أوصى به الرسول، صلى الله عليه وسلم، فإن أحابه من التابعين ذوو النهى بترك هواه لله وأتباع الحق وطلب رضوانه مع المكرمين بذلك، جعلك الله بكرمه كذلك فقد وفى ووافى الإسلام ووفا الاستسلام، وليعظه وليبين له ليقبل، فإن أعرض عن القبول ولم يرض إلا اتباع الهوى فيعرض عنه ويتبع سبيل من أناب إلى أن يحدث الله بعد ذلك أمراً، فإنما هما سباطان (4) يمر المستخلف بينهما كما مر النبي بينهما، فمن استجاب تبعه، ومن أبى تخلف إلى الهوى عبادة له، (ومن أضل ممن اتبع هداه بغير هدى) (5) ولا علم، وفيه فسحة ورخصة، وإلا فالعزيمة التجريد لله وهو متاع المقربين، ولذلك لما كان الإمام علي، رضي الله عنه، من أولي العزم والعزيمة أعرض عن المشرك الباصق في وجهه وقد أضجعه للذبح، فلما فعل به ما ذكر تركه وقام فقبل له في ذلك، فقال: كان القصد أولاً مجرداً لله وإعلاء كلمته، فلما فعل بي خشيت أن يدخل ذلك القصد شيئاً مما للنفس، فأعرضت عنه لذلك، فهكذا شأن أولي العزم، والعزم بالتعزم كالحلم بالتحمل. فأوصيك أيها الخليل

(1) في ط: فلا.

(2) عيس: 5-7.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب): ص: 26.

(4) سباطان: مثلى سباط؛ وهو الصف: لسان العرب: سمط.

(5) القصص: 50.

والتابعين بذلك (ولا يستخفك الذين لا يوقنون)<sup>(1)</sup>، لأن هذا سبيلهم الاستخفاف لعدم يقينهم بالعاقبة كأهم يرونها، فلو مآء بعون الله على اليقين، فاليقين الإيمان كله، فهذه نبذة هو الأمر كله ولا تخلص العبادة عن شر إله عبد إلا بترك الهوى لأنه شر إله عبد على وجه الأرض، وقد قال تعالى في حق المؤثرين له، وهو سمة المبتدعين السوء قاطبة، (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)<sup>(2)</sup> (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)<sup>(3)</sup>، أي حالا مآلاً إذ تارك الهوى في روضة من رياض الجنة برضاء الله عنه حالا كما لا يخفى على البصيرة، وهذه النبذة للعامل عليها هي مدرجة كل خير متى فارقت الهوى تولاه الله بها إلى سرح خيره الظاهر والباطن حقق الله للجميع ذلك بكرمه إذ هو المعبود والمستعان وعليه التكلاؤ. وإذا كانت الأخرى، وهي محل الانسفار بقليل أو كثير وما بينهما وبقدر ذلك يكون الشقاق، وبقدر المتروك منه يكون الالتئام والانجبار، (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)<sup>(4)</sup>.

وأوصيكم أن فرط شيء من القصور فليكن مجرداً للعزيمة على الرشد بإذن الله والتوبة والإقبال على الله، لا مؤخراً على الإقدام ولا موجباً لليأس كما ورد: اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن<sup>(5)</sup>، أو كما قال، فعلى ذلك ووزنه تكونون في عبادته حال كونكم مستعينين به وإليه المصير. ثم أوصيك وإياهم برعاية اتباع الأوامر واجتناب المناهي والحضور مع الله في ذلك فإنه الأمر والنهي والكتاب نائب الله ونائب الرسول، فاستحكموه مسكة المقبل عليه المؤثر على غيره بلا عكس فإنه العكس، ولتعلم كل مفرد من الجميع أنه مكلف بالكتاب كله ومخاطب بالطاعة للرسول، ولا يعود عليه من ذلك إلا ما يخصه، كما قال: (لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم)<sup>(6)</sup>، فاهتد أيها الخليفة ومن معك مستمسكاً، وكن على أريكته الكريمة متدركاً فإنه دار الخلافة والأمان لأهل البصائر لا العميان، متى جانب أي الاستمسك والتدرك والهوى أو تذكر عند

(1) الروم: 59.

(2) النجم: 23.

(3) النازعات: 39 - 40.

(4) هود: 114.

(5) مسند أحمد 5: 135.

(6) المائدة: 107.

المفارقة فلذلك فارعوي، وفعل ذلك من أولي الألباب ذكرى وإنابة إلى الله وإليه مآب.

وأوصيك ومن معك من الأولاد والأتباع ألا تأخذوا بقول القائل حتى تستينوه لتمضوا على بينة غير ملامة ولا ندامة، أخذاً وتركاً بإذن الله تعالى، فاحرصوا على هذا فإنه طريق سلامة لمن اتبعه، ومجرد وبال لمن خالفه حيث يصبح على فعله نادماً، وإذا أنعم الله بنعمة فنشرت فلا تأسوا من روح الله<sup>(1)</sup> والله يقبض ويسقط بما سبق به العلم فانتظروا الفرج، وانتظار الفرج عبادة<sup>(2)</sup>، و(سيجعل الله بعد عسر يسراً)<sup>(3)</sup>، فما نفى العسر بل أثبتته، وجعل الفرج يعقبه بإذن الله. وأوصيك وسائر التابعين أن تستقيموا الأمر أخذاً وتركاً فإنه حبل الله المملود ولا تطغوا ولا تقصروا (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)<sup>(4)</sup> من المتدعين والظالمين (ولا تنازروا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)<sup>(5)</sup>، وعافانا الله وإياكم وبصرنا بذلك في المستبصرين وإياه نعبد وإياه نستعين، واستعينوا عند الشدائد بالصبر والصلاة ليلاً ونهاراً (إن الحسنات يذهبن السيئات)<sup>(6)</sup>، واصبروا (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)<sup>(7)</sup>؛ وهم العاملون بالأمر أخذاً وتركاً. وأوصيكم أن لا تتركوا قراءة يس والجزر<sup>(8)</sup> وتبارك كل ليلة والواقعة فإنها أمان من الفاقة، و(ليس عليكم جناح أن تنبغوا فضلاً من ربكم)<sup>(9)</sup> والله يحب من عباده فعل الرخصة كما يحب منه فعل العزيمة. وكل صباح يس وتبارك، ففي ذلك الكفاية من المضار، ودفع المكاره، والأمان من الأعداء الظاهرة والباطنة. وكمال العبودية بإذن الله تعالى فـ يس قلب القرآن، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات، فلا تضيعوا هذا الخير المرفوع بالله والذخيرة ليوم

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون): يوسف 87.

(2) شعب الإيمان 205:7.

(3) الطلاق: 7.

(4) هود: 113.

(5) الحجرات: 11.

(6) هود: 114.

(7) هود: 115.

(8) كتب في الطرة من ط: وهي ألم السجدة.

(9) البقرة: 197.

النشور (يوم التغابن)<sup>(1)</sup>، (فاذكروا آلاء الله لعلكم تُفلحون)<sup>(2)</sup>، وتبارك الواقعة والأمان من مخوف القبر، أي وقت مات العبد، وتظلل عليه يوم القيامة، وسورة الجزر كذلك، ويدافعان عنه ويناديان على رأسه لا سبيل إليه، فاذكروا واقبلوا، هذا من فضل الله واذكروا نعمة ربكم إذ استويتم عليه فيه الاستواء والاحتواء، واذكروا تعدد السور مع كل تال قبله الله في وحدانيته الشخصية وصورها العددية بحسب العاملين، ولا يشغله عامل عن عامل، فالله الله في ذلك، لا تفرطوا فيه بعد بذله ووصوله إليكم فإنما تفرطون، فالتفريط فيكم وتغبنون بالتفريط يوم التغابن، فاذكروا، فالذاكر حي ومقابله ميت، أحياكم الله وإيانا آمين، فتجملوا بفضل الله، وجملونا بين عباد الله حملكم الله بذلك مع من حمّله الله وإيانا آمين. فالشيخ في قومه كالنبي في أمته كما تعلمون. وأوصيكم بالمحافظة بعد ركعتي الفجر بدعاء العزيز باسمه العزيز: يا عزيز، يا عزيز، يا عزيز إحدى وأربعين مرة وإحدى عشرة مرة: يا الله، يا واحد، يا أحد، يا جواد، انفحني بنفحة خير إنك على ما تشاء قدير. ويا إله الآلهة الرفيع جلاله خمس عشرة، ويا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤده سبعة وعشرين مرة، إلى هنا بين السنة والفرصة، وباسم الله على ديني ونفسي، باسم الله على أهلي ومالي، باسم الله على ما أعطاني ربي لا أشرك به شيئاً، الله أكبر الله أكبر، أعز وأجل وأعظم مما أخاف وأحذر. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل حبار عنيد وشیطان مريد، وأعوذ بك من كل ذي شر، (أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)<sup>(3)</sup> ثلاث مرات. اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر، (رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين)<sup>(4)</sup> ثلاثاً. اللهم علمني ما ينفعني وتقبله مني، ومرة واحدة الذي خلقتني إلى سليم، (فسبحان الله حين تمسون)<sup>(5)</sup> إلى (تخرجون)، فمن قرأ ذلك في الصباح مرة وفي المساء مرة أدرك ما فاتته، فأدركوه ولا تتخلفوا عنه، وليعلمه بعضكم بعضاً، ولمن أحب من ذكر أو أنثى فإن خيره لا يحصى.

(1) التغابن: 9.

(2) الأعراف: 68.

(3) من قوله تعالى: (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) هود: 55.

(4) الأنبياء: 88.

(5) الروم: 16 - 17.

وأوصيك ومن معك أن تلقنوا أذكار السنة من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، مائة بالصباح ومائة بالمساء أو سبعين سبعين، أو أربعين أربعين دبر كل صلاة مفروضة لا تتركونه، أتركوا غيره ولا تتركوه توسلوا به. قال صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كنَّ فيه أو واحدة منهن تزوج من الخور العين حيث شاء: رجل أوَّمن على أمانة فأداها مخافة الله عز وجل، ورجل خلى عن قاتله، ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات<sup>(1)</sup>، فالله الله في ذلك. وأوصيكم بحفظ الصلاة والصيام والجنابة لإمكان الحياز ولو بالتسامح، فيدخل على العامل الجنب في الصيام والصلاة، والجنابة بالغفلة عن شيء لا يتم معه عمله، فليحرص ولا يصل إلى أحد الوسواس الخناس، فعوذ برب الناس من شر الوسواس الخناس.

وأوصيك والجماعة أن لا تفرطوا في القراءة لله كل صباح على أحياء ما أنعم الله به على الجميع (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)<sup>(2)</sup>، ولا تنسوا ما يحتاج إليه الوقت من إحياء سنن القوم المتروك بقراءة شيء من كتبهم، كالرسالة<sup>(3)</sup> أو العوارف<sup>(4)</sup> أو القوت لأبي طالب المكي، أو طهارة القلوب<sup>(5)</sup> أو الإحياء الجامعة للإحياء لمن ذاق الحياء، وكذلك تذكرة القرطبي<sup>(6)</sup> والبدور السافرة<sup>(7)</sup> والصواعق<sup>(8)</sup> للإمام الفائق، والصحاح مرة مرة، البخاري ومسلم مرة مرة، سنن أبي داود مرة، والترمذي والنسائي وابن ماجة، فأحيوا تحيوا، حقق الله ذلك بكرمه وجعله كلمة باقية فينا وخلفنا عباد الله الصالحين وعامة التابعين آمين. وكذلك إحياء المكتب بالقرآن إن تيسر وتوفر من أبنائكم من يقرأ، والفقراء والجيران وكذلك الراتب بالزاوية ليلة الثلاثاء، والإحياء برمضان على نسق عادة الله المنان، علينا بها من

(1) فيض القدير 290:3.

(2) في ط: السلام.

(3) الذاريات: 55.

(4) يقصد الرسالة القشيرية.

(5) عوارف المعارف للسهروردي.

(6) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب للشيخ الإمام عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدهري الديري المتوفى سنة 697 هـ: كشف الظنون 1118:2.

(7) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، لمحمد بن أحمد القرطبي الأندلسي المتوفى سنة 671 هـ: كشف الظنون 390:1.

(8) عنوان الكتاب كاملاً: البدور السافرة عن أمور الآخرة، للسيوطي: فهرس الفهارس 1016:2.

(9) الصواعق على الذوايق لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ: كشف الظنون 1083:2.

الأدران، والصلاة جماعة، والتروايح، وختم القرآن كل ليلة بالربعة بعد الصلاة، وقراءة ما تيسر من الحديث بعد ذلك وقراءة الوترية بالزاوية والقرآن عشرة أجزاء كل ليلة بالمكتب يقوم محمد ومصطفى والأولاد إن هدوا إلى الطيب من القول وأنتم معهم، وناظرنا على الكل بالتلاوة والزاوية، وكذلك لمصرف الأرباب 3 التي تخرج من الوكالة في المعادات كما يعرفه الأولاد. وخصص الزاوية معوزة على ذلك القيام، والراتب على الألسنة ودرس القرآن والختم يوزع عليه، ومن رغب إلى الله كان لله نفسا ومالا، فيجد الله عنده توابا رحيمًا حالًا ومآلاً، وكذلك عشر ذي الحجة لا تتركوها بالإحياء والصيام لله فإنها من أحب الأعمال الصالحات المسرعة بالعاملين إلى حضرة الرب قرب الله ومحبتة، ويرحم كبيركم صغيركم، ويوسع له الكنف، وليوقر الصغير الكبير، وليتق الله كلا ولا يبخس منه شيئاً، ومن لم يستطع (أن يعمل هو فليعمل وليه بالعدل)<sup>(1)</sup>، فالأخلاق كالأحوال والأقرار كالأقدار، وتواصوا جميعاً بالحق (وتواصوا بالصبر)<sup>(2)</sup>، (ولا تيأسوا من روح الله)<sup>(3)</sup> ولا يصدق أحدكم الإساءة عن التماس عفو الله والإنابة مع المنيين إلى الله، (إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)<sup>(4)</sup> وقد تم فالتمسوه كما تلتمسوا ليلة القدر. هـ ما يتعلق به الغرض من الوصية، باقيها في أمر الأوقاف والأولاد جزاءه الله خيراً عن نصيحته وجعلنا ممن امتثل بركته، ومن نظم شيخنا الملا إبراهيم، أبقاء الله، في تاريخ وفاة الإمام القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

[طويل]

إمامُ التقى نجمُ الهدى شاذليهم      غياثُ الورى في القوم من فضل ذي المنن  
توفي وكيف العيش والزمن الذي      مضى فيه قد أضحى توفي أبو الحسن

وله أيضاً في تاريخ شيخه الشناوي (رضي الله عنهما)<sup>(5)</sup>:

[طويل]

(1) البقرة: 281.

(2) العصر: 3.

(3) يوسف: 87.

(4) الطلاق: 3.

(5) زيادة من ط.



سلام لعباس إمام معارف      وذا هو شئناوهم أحمذ الأوحذ  
مضى ولسان الغيب عن عام موته      يترجم تاريخنا مضى نخبه أحمذ  
توفى ليوم الأربعاء ودفنه      بصبح الخميس بالمضاف إلى الفرقه

يعني بقبع الفرقد، وهي مقبرة المدينة زادها الله شرفاً وجعلنا بها مقبورين على  
الإيمان في عافية.

وقد ألبسني، رضي الله عنه، كما ألبسه شيخنا الصفي، ونص ما كتبه بين  
يديه: الحمد لله، ألبسني شيخنا العلامة الموفق بفضل الله للرشاد الجارية أحواله  
بتوفيق الله على السداد، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن حسن الشهرزوري العمامة  
بعدا اعتم بها على رأسه المبارك وأرخى لها العذبة، كما ألبسها من شيخنا العمدة  
القدوة صفي الدين أبي العباس أحمد بن محمد القشاشي، رضي الله عنه، بسنده،  
وكان إلباسه لي آخر يوم الجمعة ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وسبعين وألف  
بالمدينة المشرفة بمحل سيدنا الأخ الأجل الفاضل الأكمل السيد محمد بن رسول  
الشهرزوري كان الله لنا وله أمين. ثم كتب هو بخط يده عقبه: صحيح ذلك.  
وكتبه إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم الشهراني ثم المدني كان الله له عنه  
فيما له بفضل أمين والحمد لله رب العالمين.

### ذكر تأليفه رضي الله عنه

فمنها كتاب إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله، ابتدأه في بلاده، وفرغ  
من تهذيبه وتحقيقه وإكماله بعد استقراره بالمدينة، وهو كتاب مفيد لم يؤلف في  
معناه مثله، أودعه من التحقيقات ما لا يوجد في غيره، ومن النكت النحوية  
والقواعد الأصولية والمباحث البيانية كل درة فريدة وجمانة ثمينة، لم يدع شيئاً  
يتعلق بإعراب الكلمة المشرفة من جميع العلوم إلا ذكره مع زيادة التحقيق  
والتدقيق، ثم ختمه بأربعين حديثاً في فضل لا إله إلا الله وذكر سنده في تلقينها،  
وقد طال بحثه على جمع الأحاديث المذكورة في مجالها، واستعان في ذلك بشيخنا  
أبي مهدي الثعالبي، فلم يتفرغ لذلك إلى أن من الله عليه بجمعها من مظانها في

رسالة للعارف محمد البكري<sup>(1)</sup> أفرد لها لفضل لا إله إلا الله، ذكر فيها أزيد من مائة حديث، فكتبت إليه بخبرها وأنه إن احتاج إليها لتغير شيء من الأحاديث التي ذكرها أبعثها له. وبالجملة فهو كتاب نفيس محتو على درر العلم تنافس أصحابنا ومشايخنا في كتابته لما أدخلناه المغرب، نفعنا الله وإياه وإياكم بذلك آمين.

ومنها إفاضة العلام في مسألة الكلام أجاد فيه كل الإحادة، وقد علم محل هذه المسألة وعظم قدرها من علم الكلام وأنها لصعوبتها هي السبب في إضافة هذا العلم للكلام، ومبنى هذا التأليف أولاً على تحقيق التزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة في الكلام، وذهاب الحنابلة فيه إلى القول بالحرف والصوت، وادعاء القدم لهما صونا لجانب القرآن عن نسبة الخلوث إلى شر منه، ولم يبالوا بما أداهم إليه ذلك من جحد الضرورة المشاهدة في حدوثها وانقضائها، وقد كثرت الفالة في ذلك بين متأخري الشافعية والحنابلة حتى أدى ذلك إلى تضليل كل من الفريقين صاحبه، وبسبب هذه المسألة وغيرها من المسائل التي تمسك فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة، كالاستواء والتزول والقدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات، حكم بتضليل شيخ الإسلام ابن تيمية، وأتباعه كابن القيم، معاصروه من الشافعية كالسيكيين وغيرهم، وتحاملوا عليه ونسبوه إلى العظماء، وقد أجاد شيخنا رضي الله عنه بالفحص عن كل ما نسب إلى الحنابلة ولم يقلد في ذلك أهل مذهبه من الشافعية لعلمه بما يقع بين المتناظرين وعدم تحقيق محل التزاع ونسبة كل واحد منهما صاحبه إلى لازم قوله وتعلقه بظواهر أقواله، وإن كان في صريح كلامه ما يدفع تلك اللوازم ويحي على تلك الظواهر، ولذلك كتب شيخنا عند عزمه على البحث في هذه المسائل بإشارة شيخه الصفي إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي الدمشقي، وهو إذ ذاك كبير الحنابلة وإمامهم علما وعملا وصلاحاً بدمشق ليكتب له بمعتقد الحنابلة محرراً مبيناً بأدلته حتى لا ينسب إليهم شيئاً مما يقولوه وأخذ هو في الفحص عن رسائل الشيخ ابن تيمية وأصحابه فيما يتعلق بذلك حتى ظفر من ذلك بما تحرر له به معتقد الحنابلة ومبنى طريقهم، وكتب إليه الشيخ عبد الباقي رسالة متضمنة لجميع ما طلب منه بيانه، فحينئذ أخذ في تصنيف هذا الكتاب وحرر فيه النظر ودققه وحققه في مسألة الكلام ثم في سائر المسائل

---

(1) محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الحسن البكري المصري، مفسر متصوف، كان يقيم عاماً بمصر وعاماً بمكة المكرمة، من كتبه: شرح منهاج النووي، تفسير البكري، توفي سنة 955 هـ: الكواكب السائرة 194:2. الأعلام 57:7.

التي وقع فيها النزاع ونظر في ذلك نظر ما هو منصف متحل بحميل الأوصاف. قال لي: لما أمنت النظر في رسائل القوم ومصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رموهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه، وإنما القوم متمسكون بمذاهب كبار المحدثين كما هو المعروف من حال إمامهم رضي الله عنه من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمه أحد من الأشعرية، بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في ذلك مجهلون من يذهب إليه كالأشعرية، فيقولون: الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤولين وما ورد عنهم أنهم أولوا شيئا من ذلك، فأما أن يكون ذلك لأن معناه خفي عليهم فكيف ظهر هؤلاء ما خفي علي أولئك، وإما لأنها على ما يظهر من معناها لأن الشرع جاء بلغة العرب فمراد الله بهذه الألفاظ هي المعاني التي تريدها منها العرب في لغتهم وتطلق على كل واحد بحسب ما يليق به، فالمراد بالاستواء والفوق والتزول هي معانيها المعهودة في كلام العرب، فإذا قلت زيد فوق السرير فمعناه مستقر عليه متمكن منه مستعل. ولما علمنا أن زيدا حرم من الأجرام والسرير كذلك تحقق لنا أن الفوقية في حقه واستقراره فوق السرير يوجب مماسسته له وتحيزه في جهة من جهاته، وغير ذلك من الأوصاف التي يوجبها استقرار جرم على جرم. وأما المولى جل جلاله فماهية ذاته غير مدركة لأحد من الخلق، فكيف نقول بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسسته له وتحيزه في جهة، لأن ذلك لازم استقرار الجسم. وأما استقرار من ليس بجسم، فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا حتى نعلم ماهيته والماهية غير معلومة، فنثبت له استقرارا حقيقيا فوق عرشه لأنه أثبتة لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بإثبات الفوقانية التي معناها في اللغة التي جاء بها القرآن الاستقرار على الشيء والاستعلاء عليه على وجه يليق بذاته لا ندركه الآن لأننا لم ندرك ذاته ولم نعلم ماهيته، فكيف نحكم على ذاته بأن استقرارها على شيء وعلوها عليه يوجب المماسسة والتحيز، فقد يستقر الشيء على الشيء بلا مماسسة لاستحالتها من المستقر وإن جازت في حق المستقر عليه، وكذلك يقولون في التزول إن المحالات المذكورة إنما تلزم من نزول الأجسام من الانتقال<sup>(1)</sup> والتغير، بل نثبت له لأنه أثبتة لنفسه، ونقول إنه نزول حقيقي متره عما بطراً ويقع من نزول الأجسام لأنه ليس بجسم، وكذلك

(1) في ط: الانتقام.

القول في الاستواء تؤمن به على ما هو المفهوم من كلام العرب لأنه أثبتته لنفسه بكلام هو من لغة العرب، ولا نقول بما التزمتمونا من الجهة والمماسية أيضا لأن ذلك في استواء الأجسام بعضها على بعض. وأما استواء من ليس بحسم على جسم فلا ندرك منه ونعقل، إلا أنه استواء وكيفيته وما يلزم منه لا نعلمه لعدم علمنا بالماهية، وقد بالغ ابن القيم في الرد على الأشعرية في مثل هذا حتى أتى بعبارة سوء وقال: إنهم تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله، وتنطعوا في فهمه، ولم يتلقوه بالقبول كما فعل من أخلص لإيمانه من السلف الصالح حتى وقعوا فيما وقع فيه من قبلنا من الأمم من تنطعهم على أنبيائهم. قال: فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع، فاليهود أمروا أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة<sup>(1)</sup>، فدخلوا يرحفون أستاذهم وقالوا حنطة، فزادوا النون تنطعا وتقولاً على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك. قال الله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)<sup>(2)</sup>، فتنطعوا وقالوا: استولى، فزادوا اللام تنطعا. ولقد أساء، سامحه الله، الخطاب وتنكب بحض العصبية عن الصواب فإن الأشعرية، رضي الله عنهم، لم يجحدوا استوى ولم يمنعوا من قوله، بل قالوا استوى وبه يقرؤون ويتقربون إلى الله تعالى، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله فقال: معنى استوى استولى لورود اللفظين معا في لغة العرب بمعنى واحد كقوله<sup>(3)</sup>:

[كامل]

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه، وإلا فالكل على هدى، إن شاء الله، فيما يظهر لأن المفوض مسلم لمراد الله تارك ما لم يكلف بعلمه، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة حامل عليه ما لم يتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد ولا يسرع إلى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيشته له، فالتأويل لأجل هذا حسن لأنه حراسة عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، فإذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر إلى فهمه إلا

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فيبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون): البقرة: 58-59.

(2) طه: 5.

(3) ورد البيت بلا نسبة في: شذرات الذهب 1: 79.

المعنى المستحيل، فإذا سمع قول العالم معناه استولى عليه بالقهر والغلبة زالت تلك الشبهة من قلبه، وهذا الذي أولنا به الاستواء وإن لم يكن هو مراد الله ورسوله فهو لا شك معنى ثابت لله متصف به لا ينافي ما هو معناه عند الله، فلا كبير ضرر في ذلك ولا تحكم إذ لم نقل ليس له معنى إلا هذا، بل نقول يحتمل أن يكون معناه هذا وهذا صدق لأنه محتمل. ولقد أطلعني بعض أصحابنا الحنابلة بالقاهرة على رسالة للشيخ ابن تيمية وهي معتمدة عند الحنابلة فطالعتها كلها فلم أر فيها شيئاً مما ينبز به ويرمى به في العقائد سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل وتمسكه بالظواهر مع التفويض مع المبالغة في التزيه مبالغة تقطع معها بأنه لا يعتقد تحسيماً ولا تشبيهاً، بل يصرح بذلك تصريحاً لا خفاء فيه. والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذه بلازم قوله الذي لا يقول به ولا يسلم لزومه لقوله: وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشايخ في الشيخ محي الدين، وكثيراً ما سمعته من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر رضي الله عنه يقول: محكم كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقه يرد إلى مقيده، ومجمله إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه، والله أعلم.

ولقد أحسن شيخنا، رضي الله عنه، التوفيق بين كلامهم وكلام الأشعرية وبرأهم من كثير مما نسب إليهم متأخرو الأشعرية، كما أن الأشعرية مبرأون مما نسب إليهم (متأخرو)<sup>(1)</sup> الحنابلة من التعطيل والتحريف لكلام الله عن مواضعه، والكل على هدى إن شاء الله متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يصدق كلام بعضهم بعضاً، ويصدقون كلهم بكلام الله ورسوله، وهو مصدقهم وإن اختلفوا في التأويل والتفويض فهما طريقان مسلوكان منتهجان منسوبان معاً لأهل السنة والجماعة، وإن كثر التفويض عند السلف لعدم احتياجهم إلى ذلك بظهور أهل الأهواء المتمسكين بمتشابه الآيات والأخبار الحاملين لها على قبيح آرائهم، فتعين عن<sup>(2)</sup> أهل السنة والجماعة المناضلين على الاعتقاد الحق تأويلها على ما يوافق الحق ليبطل تمسك المبتدعة بها. ولم يقل أحد من الأشعرية بوجوب التأويل وأنه لا يجوز الإيمان بالمتشابه على ما هو عليه، بل استحوا التأويل للغرض المذكور ولم يخالف عقائد أهل الحق من المقلدين للأئمة الأربعة إلا طوائف قليلة لا يعاب بهم

(1) زيادة من ط.

(2) في ط: عن.

كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه مفيد النعم ومبيد النقم، فقد قال فيه عند ذكره للعلماء في المثال السادس والأربعين ما نصه: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة والله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري، رحمه الله، لا يجحد عنها إلا رعا ع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعا ع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم ير مالكي إلا أشعري العقيدة ه لفظه. قلت: وناهيك بهذه المنقبة العظيمة لإمامنا وأتباعه، رضي الله عنه، أقر له بها عظماء مخالفه من أهل المذاهب. ولأهل مغربنا خاصة، فلم يعرف في علمائهم وأكابرهم قديما وحديثا من هو رأس وإمام في مذهب من المذاهب المخالفة، وقد استدل بذلك سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي على صحة معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري قال: ويدل على صحة مذهب الإمام الأشعري كون معتقد أهل الغرب قاطبة الذين شهد لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأنهم؛ لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله<sup>(1)</sup>، وهم ظاهرون، كما ورد في بعض روايات الحديث، طائفة من أهل الغرب، وتأويله بالدلو العظيم أو غير ذلك عدول عن الظاهر بلا ضرورة، فالصواب إيقاؤه الله<sup>(2)</sup> على ظاهره. قلت: ومن أراد أن ينشرح صدره ويتبين له تبينا لا مرأ فيه صحة مذهب الإمام الأشعري وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، فليطالع كتاب الإمام أبي القاسم بن عساكر المسمى بتبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري فقد أتت فيه من أدلة الكتاب والسنة وأفاديل السلف والخلف بما لا يمتري معه عاقل خال من التعصب أنه إمام السنة ورئيس الجماعة المضمون لها العصمة من الله. ولقد قال لي شيخنا الملا إبراهيم يوما: ما رأيت مذهبا من مذاهب أئمة المتكلمين أقرب إلى مذاهب العارفين وأشبه بها من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، فما قال العارفون أهل الكشف في مسألة بخلاف أقوال المتكلمين إلا وجدت قول الأشعري أقرب إلى قولهم من قول غيره بحيث يمكن رده إلى أقوالهم بأدنى تأويل، بل المواضع المستشكلة من كلامه جارية على وفق ما يقوله أهل الكشف، ولذلك أشكلت على من لم يبلغ مقامه في المعرفة من أهل الظاهر، كقوله في الوجود: إن وجود كل شيء عينه هو عين قولهم في الوجود المطلق

(1) مسند أحمد 4: 429.

(2) ساقط من ط.

ووحده. وقوله في الصفات: لا هي هو ولا هي غيره. وقوله في الكسب والاستطاعة: كل ذلك لا كبير فرق بينه وبين ما اتضح لبصائر أهل الكشف، ومن طالع تأليف المؤلفين في عقائد العارفين وإجماعهم كالكلاباذي<sup>(1)</sup> في التعريف، وجدها لا تباين مذاهب أهل السنة والجماعة فيما اتفقوا عليه، وقرينة من مذهب الأشعري فيما اختلفوا فيه، وقد ذكرت ما قال شيخنا الملا لشيخنا صدر الجماعة وإمام كل صناعة العلامة العارف المحقق سيدي عبد القادر علي الفاسي، فصدقه في ذلك وقال: لا شك أن الإمام الأشعري كان له حظ وافر من العلم بالله والمعرفة به مؤيدا في أقواله مسددا في آرائه غير خال من الكشف الصحيح والنوق الصريح، ولولا ما أقامه الله فيه من مناظرة أهل الأهواء ومناضلتهم والجري معهم على نحو ما عرفوه من أدلة المتكلمين لكان رأسا في طريق القوم وإمام العارفين في زمانه، وقد شهد له بذلك أهل البصائر من العارفين في زمانه وبعده، ولقد قال لي شيخنا الملا: إنه ليشق علي كثيرا أن أجد في كلام العارفين ما يخالف بظاهره أقوال الإمام الأشعري دون غيره من المتكلمين، ومع ذلك فلا ألبث إلا يسيرا حتى يفتح الله لي بابا من الفهم يتضح لي به موافقة كلامهم لرأيه فأحمد الله كثيرا، وقد قلنا أن أهل الصدق لا اختلاف بينهم وإن أوهمه ظاهر كلامهم في بعض المواضع، والله أعلم .

ومن تأليفه أيضاً القول الجلي، وهو جواب عن أسئلة وردت من قبل بعض علماء الزيدية من أهل اليمن في حياة الشيخ الصفي وأمره بالجواب عنه. ومن رسائله التتمة على المسألة المهمة، يعني مسألة الكسب التي ألف فيها شيخه الصفي رسائله الثلاث. ومنها رسالة أخرى سماها ذيل التتمة في المسألة أيضاً. ومنها الرسالة التي ألّفها برسمي في المسألة. فرسائله فيها ثلاث عدد رسائل شيخه، إلا أنها أصغر منها. ومنها رسالة في حديث الأعمال بالنيّات أجاد فيها كل الإجابة وحقق الكلام فيها غاية التحقيق، وسبب اطلاعي على هذه الرسالة أني ذكرت له يوما أني رأيت بالقاهرة سفرا من شرح الجامع الصغير<sup>(2)</sup> للمبتولي ذكر صاحبه أنه شرح حرف الهمزة منه في ثلاثة عشر مجلدا، والسفر الذي رأيته سفر كبير وليس

(1) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، من حفاظ الحديث، له كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف، توفي سنة 380 هـ: كشف الظنون 1:225. الأعلام 5:295.

(2) شرح الجامع الصغير للسيوطي لأحمد بن محمد المبتولي المتوفى سنة 1003 هـ: كشف الظنون 1:560.

فيه إلا الكلام على حديث إنما الأعمال بالنيات. فقال لي: إن التطويل في مثل هذا إنما هو بأمور خارجة عن معنى الحديث المشروح أو بأمور ليست من التحقيق في شيء، كالاشتغال بجلب الأقوال غثها وسمينها، والاسترسال في جلب الفروع الفقهية المتعلقة بذلك، واختلاف آراء الفقهاء في ذلك، وأما تحقيق معنى النية وزبدة الأقوال المقولة في معناها وكيفية انطباقها وشمولها لسائر الأعمال فهو ما أودعته رسالتي المؤلفة في ذلك، ولقد صدق في دعواه. قال لي: وقد أطلعني شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي على رسالة القرافي المسماة بالأمنية، فأحكمت مطالعتها فلم أجد فيها زيادة على ما ذكرت، وحين أطلعت على رسالتي حكم بأن رسالتي أتم تحقيقاً وأوجز لفظاً.

ومنها رسالة أخرى ألفها في مسألة طال البحث فيها بين الشيخ القشاشي وأصحاب الشيخ عبد الأحد النقشبندی الهندي، وهي مسألة تفضيل البشر على الكعبة، وهي مسألة قديمة البحث تكلم عليها الشيخ محي الدين في الفتوحات وحكم بتفضيل البشر، فلما جاء الشيخ آدم شيخ شيخنا جمال الدين على المدينة، وهو من أجل تلامذة الشيخ عبد الأحد، ألف رسالة في ذلك وجنح إلى تفضيل الكعبة وزعم أن شيخه كان يقول بذلك، وخالفه في ذلك شيخنا الصفي، فلم ينشب الشيخ آدم أن توفي إلى رحمة الله. وسمعت بعض الأصحاب يقول إن الشيخ الصفي تصرف فيه بقوة الحال وأعلم بموته فمات قريباً من ذلك. فلما قدم إلى المدينة في سنة ثمان وستين أولاد الشيخ عبد الأحد السيد محمد المعصوم وأخوه وأولادهم، وكانت لهم نجابة وعلم وفهم على ما أخبرني شيخنا الملا، جرى ذكر المقالة التي وقع البحث فيها بين شيخنا الصفي وبين تلامذة أبيهم، فأمر الشيخ الصفي تلميذه الملا إبراهيم أن يؤلف في ذلك فألف رسالة مفيدة، ولما قديم أولاد الشيخ عبد الأحد المدينة قدموا في شارة عظيمة وأتباع كثيرين، وانتال الناس عليهم للأخذ منهم والتبرك بهم، فبعثوا أولادهم للقاء شيخنا صفي الدين وزيارته. قال لي شيخنا الملا لما انفصل أولادهم من عند شيخنا قال لنا إن هؤلاء كبراء قوم وأهل علم ونسبة لله قد قدموا علينا في هذه البلدة المشرفة وتفضلوا ببعث أولادهم لزيارتنا، فيحق عليكم أن تزورهم في محالهم التي نزلوا فيها مكافأة لهم لئلا يجلدوا في قلوبهم، فوجهني أنا والشيخ مهنا لقاتهم، وكان الشيخ مهنا رضي الله عنه من رجال وقته له حال قوية وسلوك مستقيم في الطريق، صحب السيد سالم شيخنا



باعلوي<sup>(1)</sup>، رضي الله عنه، وبعد وفاته اتصل بالشيخ القشاشي لما بينه وبين شيخه من الصحبة والألفة، وكان الشيخ مهنا يقول إنه وجد الشيخ القشاشي لما اتصل به أكمل حالا وأتم عرفانا من السيد سالم، فلعل الشيخ الصفي وصل بعد السيد سالم إلى مقام أعلى من مقامه، أو كان كذلك أعلى منه حتى في حياته، إلا أن الشيخ مهنا لقوة استغراقه في شيخه لم يشعر إذ ذاك بعلو مقام الصفي على مقامه. قال لي الملا: ولما عزمنا على زيارة السيد المعصوم أنا والشيخ مهنا وجماعة من الأصحاب أضمرت الجزع منهم وهيب لقاءهم لما أخبرت به أن لهم تصرفاً في القلوب قويا وتوجها عظيما في مراقبتهم، كما هو شأن السادات النقشبندية، رضي الله عنهم، فلما أردنا الخروج قال لنا الشيخ: اذهبوا على بركات الله وتحفظوا على نعالكم لئلا تسرق لكم، ولكن ما ثم إلا الخير، قال ذلك على وجه المزاح، وفهمت منه أنه قال: تحفظوا على قلوبكم وأسراركم أن يتصرفوا فيها بهمهم وتوجهاتهم. ولكن لما قال الشيخ ما ثم إلا الخير، علمت أنه يمدنا ممدده، فلا يقدرون على التصرف فينا. قال: فلما دخلنا على كبيرهم وجدناه على سرير وتلقانا وسلم علينا وأجلسنا وجلس، فلحقنا هبة منه عظيمة ورعب، والمجلس غاص بأهله، فلما استوى بنا المجلس نظرت إليه وهو متوجه، ونظرت إلى الشيخ مهنا وهو جالس بإزائي ضارب برأسه إلى دفته وهو يغط غطيظ البكر، ولم يشعر به أحد غيري، فبعد ساعة رفع الشيخ مهنا رأسه وهو يقول سرا: تحسبون أن أحداً ليس يقدر عليكم، أو أن ليس في البلد أحد يقاومكم حتى خشيت أن يسمعه، فرفعت رأسي إلى السيد المعصوم فرأيت أنه قد ارفض عرقا، فانفصل المجلس ولم يكلمنا بكلمة واحدة، فعلمت أن الشيخ أمدنا ممدده وأنه رام التصرف فينا ولم يقدر، فأوجم لذلك، وكذلك عادة المشايخ النقشبندية، رضي الله عنهم، إذا راموا التصرف في أحد وغالب حاله قلوبهم وقوي عليهم ولم يقدروا عليه انقلب قوة حالهم عليهم، فمنهم من يغشى عليه، ومنهم من يصعق، بل ربما أدى ذلك بعضهم إلى الموت. أو ما ترى الصقر إذا انقض على الصيد بقوة فاخطأه ربما كان في ذلك هلاكه، وكان هذا الشيخ لما توجه إلى بواطن أصحاب الشيخ بالتصرف وقابله الشيخ مهنا بتوجه أقوى منه لقوة مدد شيخه فلم يقدر على التصرف فيهم انفعّل لذلك وارضض عرقا. فلم يتكلم بكلمة خجلا، وكان الشيخ مهنا، رضي الله عنه، إذ ذاك أقوى

(1) سالم بن أحمد شيخان باعلوي، الحسيني الشافعي، عارف مصنف، من أئمة الصوفية بمكة المكرمة، ولد سنة 995 هـ، وتوفي سنة 1046 هـ: خلاصة الأثر 2: 200. الأعلام 3: 70.

أصحاب الشيخ الحاضرين هناك حالاً وأثمهم استعداداً، فتوجه لِمنازلة هذا القرن ومقاومته دون أصحابه، فلما رجعنا إلى الشيخ وجدناه ينتظرنا وكأنه كان يمدنا، والله أعلم.

ومن تأليفه أيضاً الشرح الكبير والصغير على منظومة شيخه الصفي في العقائد، وقد أجاد فيها كل الإحادة وأحسن غاية الإحسان، وقد وهب لي نسخة من الشرح الكبير وكتب على ظهرها بخطه هدية من الفقير إبراهيم إلى أخيه فلان والله تبارك وتعالى يكافيه عنا بأحسن المكافآت. وله رسائل أخرى وسوى ما تقدم، وتقاييد على مسائل مما يشكل في فنون كثيرة. ومن تأليفه رسالة في الكلام على الاستخارة اليومية التي جرى عمل الصوفية بها، وهي صلاة ركعتين في كل يوم بنية الاستخارة وقراءة دعاء الاستخارة معتبرا لجميع شؤونه الدينية والدنيوية. كان يقول، على ما ذكر بعضهم، في خلال الدعاء: اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أحرك فيه وأنطق به في حقي وفي حق غيري، وجميع ما يتحرك فيه غيري وينطق به في حقي وفي حق أهلي ومالي وولدي من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأقدره لي. إلى آخر دعاء الاستخارة الوارد في الحديث، فإن بعض الناس قد أنكر ذلك على الصوفية وقال: ليس له أصل في السنة. فكتب الملا في ذلك رسالة استطرد فيها شرح دعاء الاستخارة شرحاً وحيزاً مفيداً، نفعنا الله وإياه بذلك.

ذكر التعريف بشيخه الذي هو قدوته وإمامه ومُرقيهِ في مدارج العرفان

وهو شيخنا الإمام قدوة الأكابر الأعلام، شيخ العارفين، وسائس قلوب الراحلين والخائفين، ذو التصرف التام في العلمين، ومرشد السالكين، وإمام الحرمين، غوث زمانه، وقطب أوانه، الشيخ السيد صفي الدين أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبي بن القطب أحمد بن علي المقدسي الدجاني بتخفيف الجيم، المدني، قدس الله سره ورحمنا به، والمحبين آمين. كان رضي الله عنه إماماً في العلوم الظاهرة والباطنة، رأساً في علوم الحقائق، صدرأ في صدور أهل هذه المائة، قد أقر له بالتقدم علماء زمانه وكبراء أوانه، وشهد له بالقبطانية العظمى والصدقية

الكبرى أهل البصائر الصافية، فصاروا من أعوانه. أخبرني شيخنا الملا إبراهيم أن الشيخ الكامل المكمل سيدي أبا الصير أيوب بن أحمد بن أيوب الصالحي العلوي الشامي الدمشقي<sup>(1)</sup> رضي الله عنه كتب إلى شيخنا القشاشي كتاباً قال فيه بعد الافتتاح: أما بعد، لأن لكل وقت صمداً يصمد إليه في الأمور، وأنت صمدُ ذا الوقت، ثم ساق الكلام على هذا النمط إلى آخر الكتاب. قال الملا: فلما قرأه الشيخ أمرني بكتب الجواب كما هو عادته في آخر أمره. فقلت: يا سيدي إن مثل هذا لا أقدر على أن أجيب عليه، إنما يجيب عليه أنت، ولكن إذا كتب سيدنا الجواب فليطالعنا عليه، وإنما امتنعت عن الجواب لأن المرء لا يخبر أحداً عن حاله إلا نفسه، وهذا عارف يكاتب عارفاً ويصفه بالصمدانية التي هي القطبانية العظمى، فمن أين لمثلي أن يجيب عن ذلك بنفي أو إثبات. قال: فلما كتب الجواب وأطلعني عليه وجدته قد افتتحه بقوله: الحمد لله على ذلك، كذلك، فقلت في نفسي: هذه البغية فلا أعظم من شهادة هذا العارف له بالقطبانية، وتصديقه له في ذلك بحمد الله على ذلك، والإقرار أنه كذلك، والشيخ أيوب هذا كان إماماً في المعارف والعلوم الإلهية، تصدر للعلم وتربية المريدين في دمشق ونواحيها، وأناه الناس للسلوك على يديه من أقطار الأرض، وله تأليف في علوم القوم كثيرة النفع غزيرة العلم. أخبرني بعض الأصحاب أنه ألف كتاباً عظيماً على نمط الفتوحات المكية فرأى الشيخ محي الدين في النوم وكأنه قد غار منه، فقال له: يا أيوب أتريد أن تحمل ذكر كتابي بظهور كتابك؟ فلما أصبح ذهب به إلى الماء وغسله كله تأدباً مع الشيخ محي الدين. وهذا لعمرى غاية الأدب مع العارفين، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، فشهادة مثل هذا الشيخ على جلالة قدره وتمكنه في العلوم والمعارف مقبولة لا يقدح فيها إلا أعمى البصيرة، وكم من عارف وسالك شهد بما شهد به هذا الشيخ، وشهادة الكون بأسره أقوى شهادة إذا أُلقت إليه كبار العارفين أزمته في زمنه، ووردت عليه الأسئلة من جميع أقطار الأرض بالاستفتاء في العلوم الظاهرة والباطنة، فيجيب الكل بما لا ينازعه فيه إلا مكابر ممن أعلم أهل الهند بما أعلم به أهل المغرب من علمه وفضله حتى انقادوا للاقتداء به إلا من أهله، لذلك وأظهره علماً لعباده ينتفعون بالأخذ من علومه

(1) الشيخ أيوب بن أحمد بن أيوب الحنفي الخلوتي، متصوف من الطريقة الخلوتية، ولد ونشأ بدمشق، صنّف عدداً من الرسائل والكتب في التصوف، توفي سنة 1071 هـ: خلاصة الأثر 422:1. الأعلام 37:2.

ويسترشدون باقتفاء آثاره، ومن رأى تأليفه ورسائله في أنواع العلوم، خصوصاً علوم الحقائق، لا يمتري في أنه قطب زمانه لأن الأوصاف التي ذكر أهل الطريق للقطب، والعلوم التي ذكروا أنه مختص بها كلها موجودة في الشيخ رضي الله عنه، وهذه كتبه فلينسج أحد على منواله فيها ممن لم يهتد بطريقه ولم يستفد من تحقيقه. أصله رضي الله عنه من القدس الشريف، وبه كان جده الأعلى الشيخ العارف قطب زمانه أحمد بن علي المقدسي رضي الله عنه، وله أتباع كثيرون هناك وأولاد وزاوية، فلما نشأ ولده يونس المسمى بعبد النبي وذاق شيئاً من المعارف ساح في الأرض وترك بلاده وانسلخ من الجاه الذي ورثه من والده وبقي إخوته وسائر متعلقات أبيه بالقدس، وذهب هو إلى الحجاز وساح فيه وفي اليمن، ثم استقر آخرًا بالمدينة، وسبب تلقيبه بعبد النبي أنه كان يجمع الفقراء ويأتي بهم إلى المسجد ويدفع لهم الأجرة ليصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم يومهم، فسمي لذلك عبد النبي، وكان يبيع بالمدينة القشاشة، وهي سقط المتاع من الأشياء التي تسترخص من أي نوع من نعال أو خرق ومحابر وإبر وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقراء، فسمي لأجل ذلك القشاشي، بضم القاف وتخفيف الشين، أخبرني الملا أنه قدم رجل من اليمن يقال له القشاشي، بفتح القاف والشين المشددة، فجاء إلى الشيخ وقال: يا سيدي أنت منا، يعني في النسبة. فقال الشيخ: لا، نحن قشاشتنا سماوية، وأنتم قشاشتكم أرضية، يشير رضي الله عنه إلى الرفع والخفض في الأولى، وإلى النصب والنقل في الأخرى، ويشير أيضاً إلى أن نسبتنا اكتسبناها من الفرار إلى الله والتعلق به وهضم النفس، ونسبتكم اكتسبتموها من الأسباب الدنيوية والاستكثار منها لأن القشاش في عرف التاجر الذي يبيع أصنافاً كثيرة من التجارة المطلوبة لكل أحد، بخلاف القشاشة المتقدمة لا يشتريها إلا الفقراء ولا يشتغل ببيعها، سيما إن كان ذلك عن اختيار لا عن ضرورة، إلا من ذلك نفسه لله وقصد بذلك نفع الفقراء كهذا الشيخ، ولم يزل الشيخ يونس بأرض الحجاز حامل الذكر لا يشعر أحد من أهله بمكانه، سيما مع تغير النسبة وحدوث اللقب إلى أن توفي وبقي ولده والد الشيخ سالكاً على طريق والده من الاشتغال بما يعنيه، وبسلوك طريق أهل العلم بالله، وثم نشأ ولده شيخنا صفى الدين علي قدم أسلافه من الزهد والعبادة وطلب العلم في صغره، فحصل منه ما كفاه وسلك في طريق القوم على يد والده وغيره من المشايخ وجال في بلاد الحجاز، ودخل اليمن مراراً ولقي أكابر العارفين بها، وكانت إذ ذاك وكراً للصالحين بها جماعة كثيرة من أهل

المعرفة وأصحاب الأحوال من آل باعلوي ومن العيدروسية ومن الجبرية وغيرهم من أرباب الطوائف، فانتفع بلقائهم وتأدّب بأدّابهم، وحصل النفع الكثير والخير الكبير بزيارتهم وخالص دعوائهم رضي الله عنه وعنهم وعنا بهم أجمعين، وكانت طريق أسلافه، رضي الله عنهم، في السلوك قادية، ومذهبهم في الفروع مالكية، فنشأ الشيخ، رضي الله عنه، على ذلك سالكاً على طريقتهم متمذهباً بمذهبهم المالكي إلى أن اتصل بالشيخ الشناوي كما سيأتي، وسلك على يديه، اقتضت محبته له وشدة أتباعه له واقتداؤه به في سائر تقلباته كما هو شأن المريد الصادق مع شيخه الحاذق إن تمذهب بمذهب الشيخ في الفروع أيضاً، وكان الشيخ الشناوي شافعيًا، وكان الشيخ القشاشي، رضي الله عنه، يقول: تشفعت بالشيخ، وهو كلام بليغ موجه كما ترى إذ يحتمل التشفع به إلى الله تعالى لأن الشيخ للمريد شفيعه أو تصيره شافعيًا بسببه، وكلاهما حاصل، وكان الشيخ أولاً قد قرأ في المذهب المالكي عدة مؤلفات، فلما انتقل إلى مذهب الشافعي وقرأ كتب<sup>(1)</sup> أصحابه صار يُفتي في المذهبين، وقد أخبرني الملا عنه أنه قال: قرأت المقدمة العشماوية في مذهب مالك على النبي، صلى الله عليه وسلم، في المنام كلها، ورأيت بخط صاحبنا وحبينا حسن بن علي العجيمي في رسالة له، وهو من أجل تلامذة شيخنا الصفي أن الشيخ أخبره أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في النوم القرآن كله من أوله إلى آخره، وهذه منقبة عظيمة لهذا الإمام فإن المشايخ قديما وحديثا كانوا يتباهون بقراءة آية أو سورة أو بعضها على النبي، صلى الله عليه وسلم، في النوم، وينقلون ذلك مسلسلاً بأسانيدهم، ويرون ذلك من أجل المخاخر وإن كثرت فيه الوسائط، فكيف بمن قرأ القرآن كله عليه صلى الله عليه وسلم، ولا يذهبن بك الوهم الكاسد والتخيل الفاسد إلى أن الشيخ، رضي الله عنه، انتقل عن مذهبه ومذاهب أسلافه الذي هو مذهب مالك إلى مذهب الشافعي لهُوى نفس أو تحصيل رئاسة أو ولاية منصب، كما هو شأن كثير من أرباب النفوس في هذه الأزمنة، خصوصاً مذهب الحنفية فقد كثر المنتقلون إليه في هذه الأزمنة لأغراض فاسدة، حداهم<sup>(2)</sup> على ذلك وجود الملك والرئاسة في أهل ذلك المذهب، وهذا شأن من لا خلاق له ولا دين، وإنما الحامل للشيخ على التمدد بمذهب الشافعية ما ذكرنا أولاً من اقتدائه بالشيخ الشناوي وسلوكه

(1) في ط: كتاب.

(2) في ط: حداهم.

على يديه في الحقائق، وكان ذلك في زمان تعطشه إلى موارد الحقيقة، وفي عنفوان إقباله على السلوك بكليته، فوجد الشيخ الشناوي رضي الله عنه منهلاً بارداً وماء معيناً وزلالاً صافياً لا يظماً من شرب منه أبداً، ولا يروى منه من تابع السقي مجرداً، فاستولت بذلك عليه روحانية الشيخ وغاب كله في كله، فلم يبق له حينئذ مذهب ولا رأي إلا مذهبه ورأيه في مصادره وموارده حتى في العادات، فضلاً عن العبادات بحيث لو أن الشيخ انحرف طبعه ومزاجه عن أكل طعام ما أو فاكهة ما لما وجد المريد في حال اتحاده بالشيخ مساعداً لذلك وغص بريقه عند تناوله، وفي هذه الحال وتمككها من المريد يتهاياً سريان جميع ما أودع الله من المعارف في قلب الشيخ إلى قلب المريد بسهولة من غير تكلف ولا تعمل، ويتخلق جنين المعرفة في قلب المريد، ويتكون ولا يزال، مع شدة الاتصال، ينمو إلى أن يصير بشراً سوياً، فيكمل خلقه وولادته وقطامه في الأمر الذي قدر الله، فإذا بلغ أشده فحينئذ يتمكن انفصاله عن الشيخ وتمايزه عنه كأنفصال الوالد الحسي عن والده، مع أن أصله منه ومبدأ نشأته منه، ولولا شدة الاتصال الكائن بين الأبوين في مبدأ نشأة الولد وتمازج مائهما في حال لا يمكن في الحس أن يقع أكثر منها اتصالاً لما تكون الولد وتخلق من النطفة، فلو وقع أدنى انفصال بين النطفتين يتمكن معه من دخول ريح بينهما لفستدت النطفة واستحالت إلى شيء آخر، فكذلك الولادة المعنوية ما لم تمازج الأسرار الأسرار، والقلوب القلوب، وتتحد الأوصاف بالأوصاف، وتغيب الأرواح في الأرواح حتى لا يبقى تمايز إلا في الأشباح، ولا يتخلق جنين المعرفة في باطن المريد، فإن فارقه بعد تخلقه أيضاً قبل تمام الولادة وإكمال التربية قلما يكون منه شيء، إلا أن هذه الولادة المعنوية قد تكون على نعت توالد أهل الجنة كما ورد في الحديث أن الرجل ليشتهي الولد في الجنة فيكون حمله وولادته ومبلغه مبلغ الرجال في ساعة واحدة<sup>(1)</sup>، فكذلك أيضاً هذه الولادة المعنوية عند قوة الاستعداد من الجانين قد يحصل ذلك في آن واحد، وبقدر ضعفه يطول الأمر، ولهذا أشار بعض العارفين بقوله إن العقبات السبع التي ذكرها صاحب المنهاج من

(1) نص الحديث النبوي الشريف كما ورد في سنن ابن ماجه: حدثنا محمد بن بشار، ثنا معاذ بن هشام، ثنا أبي عن عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم المؤمن إذا انتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضع في ساعة واحدة كما يشتهي: سنن ابن ماجه 2: 1452 .

الناس من قطعها في ساعة واحدة ومن الناس من قطعها في سبعين يوماً، وقد أنجر الكلام إلى تقرير هذه المسألة في هذا المحل من غير قصد ساق إلى ذلك.

## ذكر حال الشيخ مع شيخه الشناوي وإيضاح عذره في الانتقال إلى مذهبه

فإن الإنسان إذا صار إلى هذه الحال لا يمكنه أن يكون له مذهب ولشيخه مذهب في الشريعة والحقيقة معا ظاهراً وباطناً، فإن قلت إن هذا يقتضي أن كل من اقتدى بشيخ في المعارف والحقائق لزمه أن ينتقل إلى مذهبه في الفروع، وإلا لم يفتح له مع أن الواقع خلاف ذلك، فقد اقتدى علماء أكابر محققون من المالكية بأئمة شافعية وبالعكس، وحصل لهم النفع التام مع بقاء كل واحد على مذهبه في الفروع، فنقول: لم نذكر ذلك إيذاناً بأنه ضربة لازب بحيث لا يصح الاقتداء إلا مع ذلك، وإنما ذكرناه إظهاراً لعذر من انتقل، وإيضاحاً لبيان سببه، وأنه لم يكن عن هوى نفس وإنما هو لأرجحية ذلك المذهب عنده بما استولى عليه من محبة شيخه وامتزاج روحانيته بروحانيته حتى صار الراجح عند الشيخ راجحاً عند المريـد، والإنسان لا يجوز له أن يقلد من المذاهب إلا ما اعتقد راجحيته لا مرجوحيته كما هو مقرر عند الأصوليين، وأسباب الترجيح كثيرة فقد يكون هذا أحدها، بيد أن المريـد إن قويت عارضته في علوم الديانة وسبقت من الله هدايته وتشعشعت نورانيته بحيث (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)<sup>(1)</sup>، فأقل اتصال بالشيخ يكفيه في توقد مصباح قلبه كما ذكرنا، فمن قطع العقبات في ساعة واحدة فإذا نور الله بصيرته وأتحف بمفاتيح الهداية سريره، أدرك بعين قلبه وإنسان عين بصيرته توافق المذاهب في الأصل، أنه لا اختلاف بينهما في نفس الأمر وإن كان يظنه ضعيف البصر فلقصوره فلا يضره مخالفة شيخه في المذهب، إذ لا يراه خلافاً كما هو في نفس الأمر ليس بخلاف، ولو كان في نفس الأمر خلافاً لضره ولو اعتقد هو عدم المخالفة<sup>(2)</sup>، فإن الموافقة في الديانة والعقيدة شرط في الاتصال الحقيقي، وما ليس بخلاف حقيقي فلا تضر المخالفة فيه، بل هو كالمخالفة في الخلق

(1) النور: 35.

(2) في ط: المخالف.

والألوان لا عبرة به إذ اللطيفة التي كان الإنسان بها إنسانا متحدة وإن تغايرت الأجسام. نعم، إذا كان المريد من المترسمة الذين غلب على قلوبهم حب التعصب بحيث يعتقد خطأ أهل مذهب شيخه في أشياء يفعلها، ويرى أن شيخه لم يصادف في فعلها، وأنه أخطأ فيها الصواب، فهذا تضره مخالفة شيخه في المذهب لأن اعتقاد المخالفة يضر ولو لم تكن مخالفة في نفس الأمر، كما أن اعتقاد الموافقة لا ينفع إذا لم تكن موافقة في نفس الأمر، فمتى ينتفع المريد بشيخ يعتقد خطأه وعدم إصابته في فروع من الديانة، وإذا شاهد بنور العلم أو بصفاء البصيرة اتفاق المذاهب في أصلها وأنها دين واحد من رب واحد على لسان رسول واحد لإنسان واحد، لأن الإنسان واحد من حيث التكليف إذ لم يكلف الإنسان بما لم يكلف به إنسان آخر، والخلاف بين أهل المذاهب إنما هو في الصورة، فلا يرى بينه وبين شيخه اختلافًا، ولو اختلفت المذاهب، بل يرى بينهما كل الموافقة، فهذا لا يلزمه الانتقال، ولذلك لا يأمر الشيخ المريد بالانتقال إلى مذهبه، لأن<sup>(1)</sup> المذاهب شيء واحد، وقد أُلّف في اتفاق المذاهب علماء من أهل الظاهر والباطن، وأجل التأليف في ذلك جمع بين كلام أهل الظاهر وأهل الباطن كتاب الميزان<sup>(2)</sup> لسيد عبد الوهاب الشعراني، رضي الله عنه، فقد بين أولاً اتفاق المذاهب من حيث الحقيقة وذكر ما بنيت عليه مقاصد الشريعة، وذكر ما كشف له من أحوال أهل المذاهب من طريق الكشف، ثم تتبّع الفروع التي وقع فيها الخلاف بين أرباب أهل المذاهب يترلها على تلك المقاصد، حتى اتضح أن المذاهب كلها جارية على نهج واحد، وسأضرب لك مثلاً واضحاً لذلك لم أرَ من ذكره، ويتضح لك به اتفاق المذاهب كل الوضوح، وذلك مثل قوم نبت لهم عين ماء زلال من صخرة في جبل، فاجتمعوا للمورد<sup>(3)</sup> منها، فكان كل واحد يتناول منها على قدر حاجته من غير واسطة، وذلك مثل الهدى الذي جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، ومثل الصحابة الذين تلقوه منه بلا واسطة، ثم تكاثر الناس عندما<sup>(4)</sup> سمعوا بذلك العين ولم يقدروا على أن يتناولوا كلهم من العين بلا واسطة، فاتخذت الماء العين بركة عظيمة يجتمع فيها الماء، فيتناول الناس من جوانب تلك البركة، ولا يصلون إلى

(1) في ط: لكن.

(2) أنظر: الميزان 1: 93.

(3) في ط: الورود.

(4) في ط: بعدما.



العين، وذلك مثل ما اجتمع بين دلائل الكتاب والسنة في زمان التابعين وتابعيهم حتى دونت السنة وجمعت من حملتها المتفرقين في البلاد من الصحابة وتابعيهم، فصار الناس يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة، فمن صح عنده حديث عمل به، ومن فهم آية من كتاب الله تعالى اقتدى بها، ثم تكاثر الناس تكاثراً أكثر من ذلك الأول، وفيهم أعجمي وعربي، وذكي وبليد، وصغير وكبير، وحر وعبد، فوقع الازدحام العظيم على البركة المذكورة، وليس كل الناس يقدر على تناول منها ولا جميعهم يحسن السباحة فيها لعظمها وسعة جوانبها، فصار بعض الناس ممن لا يحسن التناول منها ولا يقدر على العوم فيها يقع في وسطها فيهلك، وبعضهم يقف على جانبها حتى يموت عطشاً ولا يصل إليه إلا بلالة أيدي المتناولين، فلما رأى أهلها ذلك اتخذوا الماء البركة المستمد من ماء العين مسارب من تحت الأرض، وخدّوا له الأخاديد، ودرجوه بلطيف صنعهم وحسن احتياهم حتى أروه على وجه الأرض وجعلوه أنهاراً عظيمة من عن يمين البركة ويسارها ذاهبة في عامر الأرض وغامرها طولاً وعرضاً، وقسموا تلك الأنهار جداول صغيرة كثيرة تستمد من الأنهار المستمدة من البركة المستمدة من العين، فعظم النفع بذلك لكل أحد من قوي وضعيف، فصار كل واحد يتناول حاجته على حسب قوته، فإن كان المحتاج إلى تناول الماء واستعماله ضعيف جداً تناول من الجدول الصغير الجاري على وجه الأرض فيغترف بيديه أو يكرع بفيه، وذلك مثل العامي الذي لم يفقه شيئاً من العلم فيتناول من العالم العارف بمذهبه المقلد لإمامه، وهو مثل الجدول المستمد من النهر العظيم الذي هو مثل الإمام المجتهد المستمد من البركة العظيمة التي هي مثل دلائل الكتاب والسنة المستمدة من العين الحرارة الغزيرة العذبة الباردة الصافية التي هي مثل النبوة التي أوتيتها سيدنا ومولانا محمد، صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا المحتاج لتناول الماء واستعماله له فضل قوة وعنده آلة يقدر بها على التناول من النهر تناول منه من غير احتياج إلى الجدول، وذلك مثل من له فقه في الدين وقدرة على فهم كلام الأئمة المجتهدين؛ كالعلماء المقلدين لأئمتهم من أهل كل مذهب العارفين بنصوص أهل مذهبهم المتفقهين فيها، فيأخذون الأحكام من نصوص الأئمة المجتهدين وأقوالهم من غير احتياج إلى تقليد مقلد آخر لقدرة أخذهم على فهم كلام الإمام المجتهد الذي قلده هو وغيره، وإن كان هذا المحتاج لتناول الماء قد تمهر وتدرّب ولطف ذكاؤه وحسن استعداده وقويت عارضته، وجمع من كل الآلات التي يحتاج إليها الغواصون في البحار

العظيمة لاستخراج الدرر النفيسة حتى حصلت لهم ملكة تامة وقدرة نافذة على أن يتناول من أصل البركة من غير احتياج إلى جدول ولا نهر، فهذا يسوغ له الأخذ من ماء البركة قبل انقسامه إلى أنهار وإلى جداول، وهذا مثل المجتهد الذي كملت فيه أوصاف الاجتهاد التي ذكرها الأصوليون وذكروا أنه لا يجوز له أن يقلد غيره بل يأخذ أحكام دينه من دلائل الكتاب والسنة على حسب ما أداه إليه اجتهاده وافق ذلك قول مجتهد آخر أو خالف، وليس بعد هذه الرتبة رتبة على نزاع في بقاء أحد من أهلها في هذه الأعصار إذ لا يجترئ أحد أن يقول اليوم أخذت الأحكام من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكرعت من أصل العين من غير احتياج إلى الماء المجتمع في البركة العظيمة التي هي مثل الكتاب والسنة، ومن قال ذلك وهو سالم العقل والإدراك ضربنا معشر المسلمين الذي فيه عيناه<sup>(1)</sup>، وإن كان في عقله خلل صفعنا قفاه بالإعراض عنه وتركناه. نعم قال عارف محقق ذو كشف صحيح وذوق صريح: أنا قد منّ الله علي بمشاهدة نبع الماء من أصل العين وشاهدت دخول حرته الصافية في البركة فاستقيت منه على بصيرة أنه ماء العين لم يخالطه غيره من ماء مطر أو غيره ولا دنسته الأيدي، فيسلم له حاله إذ لم يأت بما يخالف كتاباً ولا سنة، وإنما ادعى أنه أخذهما من أصلهما بلا واسطة، وذلك مثل ما قال الشيخ محي الدين، رضي الله عنه، أنه صحح أحاديث كثيرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من طريق الكشف وإن لم تصح عند أهل الصناعة الحديثية، ومثل من يقول من العارفين إنه سمع القرآن أو آيات منه من النبي صلى الله عليه وسلم، فيسلم له ذلك، ولو ادعى مع أنه سمع منه قرآناً غير هذا أو حديثاً مخالفاً لما ثبت بوجه صحيح أو ضعيف لضرب بذلك وجه صاحبه وعد من مثالبه لا من مناقبه، فقد استبان لك مما قررنا في مثل هذا المثال وقربنا من المثال أنه لا اختلاف بين أرباب المذاهب في الحقيقة وأنه ماء واحد من بركة واحدة من عين واحدة وإن اختلفت مجاريه، وكثرت جداوله وأنهاره، وتغيرت بعض أوصافه لاختلاف محالّه، فإن الماء عند المحققين لا لون له، وإنما لونه لون إنائه ولون حصاء نهره، وطعمه ورائحته لا يختلفان باختلاف الألوان، إلا أن يكون في أرضه عفونة أو حمأة، أو في إنائه دسومة ودهنية، فيغتر من ذلك الشيء القليل لأن الماء لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه، وذلك مثل ما يقع في آراء بعض المجتهدين مخالفة

(1) يقصد رأسه.

بعض ظواهر الكتاب والسنة مما يظن به ضعف نظر المجتهد في تلك المسألة، وذلك في بعض الصور النادرة، فلا يضر ذلك وله أجر واحد، ولا يخرج ذلك عن كون قوله ديناً بخلاف ما خالف صريح الكتاب والسنة، أو خرق إجماع الأمة، فهذا مثل التغير<sup>(1)</sup> الفاحش المخرج عن خلقية الماء، فيلغى ولا يعتبر ولا يعد ديناً فليتأمل.

والأقسام التي ذكرنا في المثال من مجتهد ومقلد وعامي يمكن أن يزداد فيها وتقسم إلى أكثر من ذلك بحسب المجتهد في المذهب والمقلد الذي له قدرة على الترجيح وغير ذلك من أقسام المقلدين إلى أن يصل إلى العامي الصرف الذي لا يفهم إلا ما شوفه به مع المبالغة في التبيين، فيفهم المثال لأجل ذلك بعد الجدل إلى مذاهب صغيرة ثم إلى القرب والأدوات، إلى أن يصل إلى صاحب الآنية التي ليس فيها إلا قدر ما يشربه، ولكن اقتصرنا على الأقسام الثلاثة إثارة للاختصار، وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة ولا بأس بذلك لأنها من غرر المسائل، وقد ساق إليها ذكر انتقال الشيخ القشاشي إلى مذهب شيخه الشيخ الشناوي، رضي الله عنهما، وكان السبب في اتصال الشيخ القشاشي بالشيخ الشناوي على ما أخبرنا به الملا إبراهيم عن حكاية الشيخ له أنه بمكة في بعض سياحاته بعدما لقي مشايخ كثيرة بمكة واليمن والمدينة فرأى في المنام وهو بمكة الشيخ الشناوي كأنه واقف وذكره يسيل منياً قد تلطخت به رجلاه وثيابه، فلما استيقظ من النوم قال: علمت من الرؤيا أن الشيخ الشناوي وصل إلى مقام تربية المريدين وأنه ذكر مستعد للولادة ولكنه لم يجد مريداً يتلقى منه علومه، فذهبت ضائعة كما أن الفحل الذكر إذا لم يجد أنثى تقبل الولادة ذهب منيّه ضائعاً، فانظر رحمك الله إلى لطيف هذا التعبير وخفاء مدركه الذي لا يشك عاقل في صدقه بعد وضوح معناه، فلو أن أحداً من ضعفاء العقول أمثالنا الذي رأى هذه الرؤيا لعدّها من أضغاث الأحلام، أو أوّلها على حق المرأى وسفهه، (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)<sup>(2)</sup>.

قال الشيخ رضي الله عنه: فلما أصبحت وظهر لي تأويل الرؤيا عزمت على السفر إلى المدينة المشرفة، وكان الشيخ الشناوي إذ ذاك ساكناً بالمدينة، قال: فلما دخلت المدينة كان أول من لقيت الشيخ الشناوي فصافحني وأخذ بيدي وقال: مرحباً بمن جاء يقتبس من علومنا، أو كلاماً هذا معناه، فذهب إلى محل زاويته

(1) في ط: الغير.

(2) إبراهيم: 14.

وكاشفني بجميع أحوالي وتيقنت صدق رؤيائي، فلزمته من ذلك الوقت ولم أفارقه إلى أن مات. ولم تزل حال الشيخ القشاشي تترقى عند الشيخ الشناوي حتى صار عنده أخص أصحابه وزوجه ابنته، وصار هو الخليفة من بعده، كما وقع لشيخنا الملا إبراهيم مع الشيخ القشاشي إذ زوجه ابنته وصار خليفته. وكان الشيخ القشاشي مع لقائه لمشايخ كثيرين لا ينتسب آخرا إلا إلى الشيخ الشناوي لأن كماله على يده وهو الذي رقاها إلى منصة العرفان وبلغه مبلغ الرجال وأفاض عليه المعارف الإلهية فيضا، وكان رضي الله عنه إماما في العلمين: علم الشريعة والخليفة. له تأليف كثيرة في المعارف والحقائق، منها: ضمائر السرائر، وحاشية على كتاب الجواهر، وهو كتاب نفيس جليل القدر عظيم النفع، وله رسائل كثيرة في علوم الحقائق، واسمه الشيخ أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس القرشي العباسي الشناوي ثم المدني، وكان يلقب بالحرمي<sup>(1)</sup> رضي الله عنه، لقي كثيرا من المشايخ وأخذ عن علماء عصره كالشمس الرملي، والشهاب بن قاسم العبادي<sup>(2)</sup> وغيرهما من علماء القاهرة وغيرها، واستقر آخرا بالمدينة عند شيخه ومريه ومن إليه انقطع بالنسبة واشتهر بالتلمذ له، وهو السيد صبغة الله بن روح الله الحسيني البروجي ثم المدني، والسيد صبغة الله أخذ الطريق عن شيخه العلامة سيدي وجيه الدين العلوي الأحمدي، وهو عن شيخه شيخ السلسلة الغوثية سيدي السيد محمد بن خطير الدين الحسيني المعروف بالغوث، وكان من بلدة كواليار<sup>(3)</sup> بأقصى الهند من وراء دهلي وباقي السند مذكور في الجواهر<sup>(4)</sup> وغيرها، وكانت، وفاة الشيخ محمد الغوث خامس رمضان سنة تسع وخمسين، أو سنة ستين، وتسعمائة، ومولده سابع رجب يوم الجمعة وقت الظهر سنة خمس وتسعمائة، ووفاته تلميذه الشيخ وجيه الدين العلوي سنة تسع وتسعين وتسعمائة أو قبلها بسنة على ما ذكر الملا نظام الدين السندي، ووفاته تلميذه السيد صبغة الله ضحى نهار السبت السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس عشرة وألف بالمدينة المنورة، ودفن خلف

(1) في ط: الخامي.

(2) شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي القاهري الشافعي، الإمام العلامة الفهامة، من مصنفاته الحاشية على شرح جمع الجوامع المسماة بالآيات البينات، وحاشية على شرح الورقات، وحاشية على المختصر في المعاني والبيان، وحاشية على شرح المنهج، توفي بالمدينة المنورة عائدا من الحج سنة 994 هـ: شذرات الذهب 4: 434. الأعلام 1: 198.

(3) في ط: كبداليار.

(4) الجواهر، ص: 5 - 6.

قبة سيدنا إبراهيم بن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووفاة تلميذه الشيخ أبي المواهب الشناوي خامس ذي الحجة سنة ثمانية وعشرين وألف<sup>(1)</sup>، ودفن بالبقيع قرب شيخه، وولادته ثامن شوال سنة خمس وسبعين وتسعمائة، ووفاة تلميذه شيخنا غوث الأنام سيدي أبي الفضل صفى الدين أحمد بن محمد القشاشي المقدسي المدني تاسع عشر ذي الحجة سنة واحد<sup>(2)</sup> وسبعين وألف، روح الله أرواحهم وقلس أسرارهم، ورضي عنهم آمين.

كُتبت هذه الوفيات من خط شيخنا الملا إبراهيم رضي الله عنه إلا أنه كان عبر عن الوفاة بالعرس فيقول: عرس فلان وعرس فلان، وسألته عن ذلك فقال: إن هذا اصطلاح بعض مشايخ الهند وقد صدقوا، فإن يوم اجتماع العارف بربه وخروجه من سجن الطينة الدنيوية إلى فضاء الأرواح القدسية خير أيامه وأسعدها وألذها إليه فتسميته عرساً أنسب.

ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر بعض أحوال شيخنا القشاشي فقد علمت مما تقدم من الوفيات أنه لم يمكث أحد من مشايخ سلسلة الغوث في الخلافة القدسية والورثة الحمدية أكثر منه، فقد نيف على أربعين بعد موت شيخه الشناوي، وقد علم أن شيخه الشناوي لم يخلف أحداً من أصحابه يساوي الشيخ القشاشي في مقامه ولا يحاكيه في مرامه، فهو من لدن وفاة الشيخ إمام عارف معروف سالك مسلك، يربي المريدين، ويرشد المرادين، ويرقى في مقامات اليقين، ويؤم أولياء الله المتقين إلى أن حاز الصديقية العظمى والقبطانية التي هي المقام الأسمى، والله أعلم كم مكث فيها، وكانت منه الله العظمى علي بالاجتماع به والأخذ عنه سنة أربع وستين بسبب وصية لي من شيخنا الثعالبي ومن شيخنا أبي الحسن الدبّيع، وأنا من جملة أصحابه، بل الثاني من خواصهم، وأصحابي من مكة كتاباً إلى الشيخ يتضرع إليه في قبوله وإقباله علي، فلقيته في محل تدريسه من زاويته مرتين أو ثلاثاً، ولقنني الذكر وأوصاني بما أرجو الانتفاع به في حياتي وبعد مماتي، وأمرني بانتساح شرحه على الحكم<sup>(3)</sup>، وحضني على لزوم طريق السادات الشاذلية بعد ثنائه الكثير عليها، وكان هذا من جملة ما كنت أحتج به على شيخنا الملا

(1) كذا في خ وط.

(2) كذا في خ وط.

(3) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ.

إبراهيم مباسطاً له إذا ألح علي في تقرير شيء من كلام الشيخ محي الدين، رضي الله عنه، وعدم انقيادي له في أخذ ذلك تقليداً، فأقول له: إن الشيخ، رضي الله عنه، لم يشاهد في قبول شيء من الطرق غير طريق الشاذلية، ولذلك حضني عليها وأمرني بملازمتها، ولو رأى في استعدادا لغيرها لأمرني به، فيقول لي: بل رآها هي الغالبة عليك في الوقت، فأمرك فلزومها حتى تترقى بركة لزومها إلى فهم غيرها، والله المستعان.

أخبرني شيخنا الملا أن الشيخ الصفي، رضي الله عنه، رأى الشيخ محي الدين في منامه وألبسه وزوجه أخته. قلت: ولعل هذه الرؤيا هي التي تقدمت عن شيخنا الملا أن الشيخ محي الدين ناول فيها شيخنا الصفي كتاب الفصوص له، وقد قلت يوماً لشيخنا الملا عقب ذكره لرؤيا الشيخ هذه: أتدري ما تعبير رؤيا الشيخ هذه؟ قال: لا، إلا أنها رؤيا حسنة تدل على وصلة بين الشيخ الصفي وبين الشيخ محي الدين في عالم الأرواح.

قلت: لكنني أفهم منها أكثر من هذا إن أذنت لي. قلت. قال: لا بأس قل ما ظهر لك في لباسها. قلت: أما إلياسه إياه فهو إشارة إلى قيامه مقامه وظهوره بحاله في شرح الحقائق العرفانية، فإننا لم نرَ ولم نسمع في وقتنا هذا بعارف له لسان الشيخ محي الدين في الحقائق كأنه ينطق بلسانه، إلا شيخنا هذا فهو محيي طريقه ومبين إشكالاتها ومبرز خباياها كما لا يخفى على كل ذي ذوق سليم. وأما تزويجه إياه أخته فهو إشارة إلى ما منحه الشيخ من التكلم في مسألة وحدة الصفات وتأليفه فيها وشرحه لها واستدلالة عليها بما لم يتهياً مثله لأحد قبله، فقد كانت هذه المسألة إنما توجد في كلام العارفين المتقدمين إشارة ورمزاً وأدراجاً في كلام آخر ولم يفرد لها أحد بالكلام ولا بين غورها وصيرها عُرضة للقبول والرد إلا شيخنا الصفي فله بها مزيد اختصاص، وقد علم أن وحدة الصفات هي أخت وحدة الوجود التي لم يأت أحد من المتقدمين والمتأخرين فيها بما أتى به الشيخ محي الدين حتى صار إمام كل قائل بها ومتبوع كل مصدق بها، فأكثر فيها التأليف، وشرح وأوضح ورمز وأشار واستدل ودل، وضرب الأمثال وأزاح الإشكال، فكل متكلم فيها إلى آخر الدهر عيال على كلامه فيها، فهو أحق بها وأهلها، وإليه تُنسب دون غيره ممن له فيها كلام حتى صار إذ قال المترسمون في أحد يريدون وصفه بالقول فيها فيقولون: فلان يقول بمذهب ابن العربي، أو ينتحل مذهب

الحائمي في الوجود، فإذا فهمت ذلك فمعنى تزويج الشيخ محي الدين أخته من شيخنا تمكنه من التصرف في وحدة الصفات، وهي أخت وحدة الوجود التي هي علم الشيخ وأصل معارفه وأدقها وأرقها، والتمكين من الشيء والإذن في التصرف فيه على وجه سائق شرعاً إذا كان ممن هو أهل لمن هو أهل وكفو هو معنى التزويج وإظهار ذلك في عالم المثال على صورة بتزويج دون الهبة والعطية والبيع، إعلاماً بشدة الاتصال والإيلاف لذلك الأمر والاعتباط به، وحصول النتيجة كما هو شأن الزوجة، وإعلاماً بأنه أيضاً كفو إذ التزويج لا يكون إلا من الكفو بخلاف البيع والهبة، وإعلاماً أيضاً بكرامة هذه المسألة وأنها ليست مما يباع ويوهب لحرمتها وكرامتها على أهلها إلى غير ذلك من الأسرار التي يدركها كل ذي ذوق سليم (وفوق كل ذي علم عليم)<sup>(1)</sup>.

وكان الشيخ الصفي له بصر تام في فهم كلام الشيخ محي الدين وغيره من أهل الحقائق، ومع ذلك فكان يعطي كل مقام حقه ويوفي كل علم قسطه ويبين مرتبته من الدين، فلم يغلب علم من العلوم غلبة يترك لها غيره ويزهد فيها، وكان له بصر تام بعلم الأسماء والحروف وأسرارها وبعلم (الأذواق)<sup>(2)</sup> والدوائر والأوفاق وطبائع الأشياء، كل ذلك له فيه التصرف التام، وبعين<sup>(3)</sup> الدعوات وأسرارها، كل ذلك يتصرف فيه تصرف ماهر بحيث لا يتقيد بما يذكره أهل الفن من الشروط والقيود لذلك، بل يزيد تارة وينقص أخرى، ويعتبر ما لم يعتبروا ويلغي ما اعتبروا، وكان كتاب الجواهر الخمس الذي هو من أسرار أهل سلسلته نصب عينيه مع حاشية شيخه عليه، وله أيضاً كلام كثير وتقاييد حسنة في ذلك، إلا أنها متفرقة بيد أصحابه لم تدون، ومع ذلك فكان لقوة كماله وتصرفه في المقامات لا يرى هذا العلم هو الغاية كما يراه من المتقدمين والمتأخرين من أربابه كالبنوي والبسطامي<sup>(4)</sup> وغيرهما.

أخبرني الملا إبراهيم قال: كان الشيخ الصفي يقول: نحن لا ننكر على أصحاب هذه العلوم الجادين فيها الباحثين عنها المشغولين بها كل الاشتغال من

(1) يوسف: 176.

(2) زيادة من ط.

(3) في ط: بعبر.

(4) أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، سلطان العارفين، أثرت عنه كرامات وخوارق، توفي سنة 261 هـ: البداية والنهاية 35:11. سير أعلام النبلاء 89:13.

حيث أنها ليست جزء من أجزاء الكمال، إنما ننكر عليهم من حيث ادعائهم أنها عين الكمال حتى اقتصروا عليها وجعلوها هي غاية مطلوبهم فإن المطلوب الذي هو عين الكمال أمر وراء ذلك لا يتقيد صاحبه بعلم ولا عمل ولا حال ولا مقام لأن له كل علم وعمل وحال ومقام. قال لي شيخنا الملا: وكان الشيخ الصفي إذا جرى ذكر أرباب المقامات والأحوال ربما يشير إلى نفسه ويقول: نحن لا مقام لنا لأننا من أهل يثرب، وقد قال الله تعالى: (يا أهل يثرب لا مقام لكم)<sup>(1)</sup>، وما ذاك إلا أن لهم كل المقامات، فليس لهم مقام مخصوص، وكذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، وكمل أصحابه ليس لهم مقام مخصوص يستولي عليهم دون غيره من المقامات، بل يتصرفون في كل مقام بما يوافق مراد الحق ويعطون كل ذي حق حقه، فهم (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)<sup>(2)</sup>، ولم يقل تعالى: لا بيع لهم ولا تجارة، بل كان لهم بيع وتجارة وضياع ومزارع، ولكنهم يتصرفون في كل ذلك تصرف من لم يغب عن شهود الله في كل ذلك، فيؤدون إلى الحق الذي منه عليهم ويتناولون منه الحق الذي لهم، كل ذلك لله بأمر الله، وهذا هو مقام العارفين الكمل من أهل الله، ولعل جاهلا بإشارات العارفين يقول: إن حمل قوله تعالى (يا أهل يثرب) الآية، على هذا المعنى إحالة لكلام الله عن ظاهره وتحريف له عن مواضعه، وذلك لجهله بمذهب العارفين في إشارتهم بالآيات والأحاديث فإنهم لا ينفون المعاني الظاهرة للآية، بل يشتونها ويقرون بها، ويستخرجون ما أعطاهم الله من الفهم والنور ومعاني أخر تشير إليها الآية إشارة خفية يقتبسها العارف منها، وهذا المقدار من الدلالة لا ينكره إلا جاهل، والشيخ، رضي الله عنه، أشار بذلك إلى أنه من العارفين الذين استولوا على سائر المقامات ولم يستول عليهم مقام، وأنه في ذلك من خلفاء كمل الصحابة الذين لهم قدم صدق في الوراثة المحمدية، وهذا المقام الذي هو كناية عن سائر المقامات إنما يكون الكمال منه لقطب الوقت، فكان الشيخ أشار بالقبطانية لنفسه ولم يفهم ذلك إلا خواص أصحابه رضي الله عنهم، وما رأيت<sup>(3)</sup> كلام أحد من عارفي<sup>(4)</sup> زماننا، بل ومن قبله، يساوي كلام الشيخ الصفي في مزج الحقائق

(1) الأحزاب: 13.

(2) النور: 37.

(3) في ط: رأينا.

(4) في ط: كان في.



بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية حتى لا يكاد كلام له يخلو من آية أو حديث، فكأن كتب الحديث كلها جمعت له جمعاً، فهو يأخذ منها ما شاء متى ما شاء، مع زيادة عزو الحديث لراويه ومخرجه، وذلك قلما يوجد في كلام غيره من أهل الحقائق إن أتوا بحديث أطلقوه بلا نسبة إذ ليس ذلك من وظيفهم. والشيخ رضي الله عنه كما أخبر عن نفسه لا مقام له ولا وظيف مخصوص ولا اصطلاح مفرد، بل له كل المقامات والاصطلاحات والوظائف والتصرف التام في غالب علوم الشريعة، وكذلك كان رضي الله عنه في هيئته المحسوسة وأحواله الظاهرة ليس على غلط الفقهاء المدرسين أهل المناصب، ولا على غلط الزهاد المتقشفين يلبس الطيب ويأكله ولا يأتي أبواب الأمراء ولا يرغب في معرفتهم، وإن أتوا إلى بابه لا يمنعهم من الدخول عليه، وإذا دخلوا عليه لا ينهرهم ولا يعس في وجوههم، بل يترلم منازلهم التي أنزلهم الله فيها، ويكرم كريمهم كما أمر بذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويقدم إليهم من الطعام ما حضر، ومع ذلك فلا يخلوهم من نصيحة برفق ووعظ بلين، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد من جهالة وإنقاذ من ضلالة، فلا يخرجون من عنده حتى يظهر فيهم أثر الخير والميل له والحب له، وتصغر عندهم نفوسهم لما يشاهدون من عظمة وعزة من اعتز بعزة الله وعظمته، وهذا لعمري خلق الكمل من العارفين، ولم يكن رضي الله عنه منقبضا عن الناس مترويا عنهم، بل كان يجالسهم ويكالمهم ويتصرف فيما احتاج إليه من أموره الدنيوية ويحسن القيام بأوقاف زاويته بتولية من هو أهل وصرف غيره، والأمر بإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه وإيصال الحقوق إلى أربابها، وذلك كله لا يشغله عن الله طرفة عين، فلا تكاد تسمع منه كلامين متناسقين لم يتخللها ذكر الله أو دلالة عليه أو وعظ أو دعاء أو إرشاد مسترشد، قال لي شيخنا الثعالبي: ما رأيت مثل شيخنا الصفي، ما دخلت عليه قط فأخرج إلا والدنيا بين عيني أحقر<sup>(1)</sup> من كل حقير<sup>(2)</sup> ونفي أذل من كل ذليل، ولو تكرر دخولي عليه مرات، وهذا شأن الذين إذا رؤوا ذكر الله.

وأما مكاشفاته، رضي الله عنه، بالإخبار عما في ضمائر أصحابه وإشارته إليه في أثناء كلامه فبحر لا ساحل له، ولقد أخبرني الملا أن الشيخ كان مع تمكنه

(1) في ط: أصغر.

(2) في ط: صغير.

من الحقائق إذا أراد أحد من أصحابه أن يقرأ عليه شيئاً من المواضع المشككة في الفتوحات أو غيرها لا يأذن له حتى ينصرف الناس ويخلو المكان إلا من خواص أصحابه ويأمر بغلق الأبواب، وهذه صفة العارفين، فقد كان الجنيد رضي الله عنه لا يتكلم في الحقائق إلا مع خواص أصحابه ويقول: علمنا هذا إنما هو خاص لخاص، وشاهد ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم: خاطبوا الناس بما يفهمون<sup>(1)</sup>، الحديث. وقول أبي هريرة رضي الله عنه: ملأت من النبي، صلى الله عليه وسلم، وعاءين، أما أحدهما فما أنا بثته لكم، وأما الآخر فلو بثته لقطع مني هذا البلعوم<sup>(2)</sup>، وليس هذا الوعاء المذخر إلا علوم الحقائق التي هي خاصة، وقد أخطأ من زعم أنه علم الحدثنان، إذ لا يكون ذلك وعاء يقابل به الوعاء الذي بثه في الناس من علوم الشريعة، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة لعدم تعلق علم ولا عمل بذلك، بخلاف علوم الحقائق فقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، مع أصحابه كالشيخ مع المريدين يأمرهم بالتكاليف والأحكام العامة لسائر المؤمنين، ويخص من شاء منهم بما شاء من الحقائق والمعارف، ويأمر البعض بقيام الليل، ويترك البعض، وينهى البعض عن سرد الصوم، ويقر عليه آخر، كل ذلك منه صلى الله عليه وسلم بلطف تربية وحسن تغذية بالأعمال والمعارف، ومما ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(3)</sup>:

[بسيط]

يا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحَ بِهِ      لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوُثَا  
وَلَا سَتَحِلُّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي      يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

(1) ورد هذا الحديث النبوي الشريف بصيغة: حدث الناس بما يفهمون: تفسير القرطبي 2: 184.  
(2) ورد هذا القول في صحيح البخاري برواية: حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال ثم حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم: صحيح البخاري 56: 1.  
(3) لم يرد البيتان في ديوان الإمام علي.

### لطيفة:

أخبرني الملا إبراهيم قال: أخبرني شيخنا الصفي عن شيخه الشناوي أنه كان ذات يوم في خلوته مستلقيا إذ رأى وزغا يحشي على الحائط، فأراد أن يضربه وغلب عليه شهود الحقيقة وأنه خلق من خلق الله موجود بإيجاده مصرف بتصريفه إلى غير ذلك مما تقتضيه الحقيقة، ثم تذكر أمر الشرع بقتله، وأنه لا ينبغي إهمال الأمر الشرعي نظراً إلى الحقيقة، فتردد في الشهودين حتى غلب عليه امتثال أمر الشرع، فأخذ حجراً فرماه به فأخطأه، ففر فضحك الشيخ وقهقه وقال: الحمد لله الذي جمع لنا بين الأمرين؛ امتثال أمر الشرع بضربه وعدم قتله المنافي بظاهره لحكمة الله في إيجاده وتصويره وإحيائه وتصريفه فيما خلق له.

قال شيخنا الصفي إثر حكايته لذلك: أما أنه لو كنت أنا ذلك لما توقفت ولشدخت<sup>(1)</sup> رأسه بالحجر من دون رمي، لأن ذلك هو عين الحكمة التي اقتضتها الحقيقة، فإن كل ما أمر الشرع بفعله فذلك هو عين الحكمة الموافقة لمراد الله في ذلك الفعل، كذبح كل حيوان أبيض أكله وقتل العدو الكافر، فلا يمنع من ذلك شهود الحقيقة لأن ذلك هو عين الحق الذي هو مقتضى الحقيقة ببيان الحق لنا على لسان الشرع صلى الله عليه وسلم، وهذا كما ترى غاية في التحقيق يدل على علو شأن هذا الشيخ وكمال شهوده حتى لا تغلب عليه حقيقة ولا شريعة، بل انطوت عنده الحقيقة في الشريعة والشريعة في الحقيقة، فصار الكل شيئاً واحداً، فما من شريعة إلا وهي حقيقة، إذ هي مراد الحق، وما من حقيقة إلا وهي شريعة لإرشاد الشارع إلى مشاهدته، ومن غلب عليه وصف كان بحكمه، ومن غلب على الأوصاف كان بحكم الحق في كل وصف.

### لطيفة:

أخبرني شيخنا الملا إبراهيم أنه كان في أول مرة يتعاني شهود الصلوات في الحرم الشريف اغتناماً لفضل الصلاة فيه، وكانت نفسه لا تطيب أن تفوته الصلاة فيه ومثله كان خارج المدينة، فرمما أغلقت دونه الأبواب داخلاً أو خارجاً،

---

(1) الشدخ: التهشيم: لسان العرب: شدخ.

فتحصل له المشقة في ذلك، فقال له الشيخ يوماً: لا تكلف نفسك ما تتضرر به وصل هنا في مسجدنا، وإنا لنترجو من الله أن يحصل لك من الثواب ما يحصل لمن صلى في الحرم الشريف، فمن ذلك اليوم طابت نفسي ولا أبا لي إن تعذر علي الوصول إلى الحرم. قلت: ربما سمع هذا قاصر من المتفقهين فيأدر إلى إنكاره فيقول: كيف صح له التسوية بين مسجد محله والمسجد النبوي مع أن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه، وهل هذا غلا تشريع فأقول: ليس في هذا ما ينكر. أما من جهة الحكم الظاهر فقد ورد أن نية المؤمن خير من عمله، وأن الله يعطي العبد على قدر نيته، وورد أن من نوى أن يعمل عملاً صالحاً فعيق عنه بعائق كتب له أجره، كما ورد أنه يكتب للمريض والمسافر أجر ما كان يعمل في الصحة والحضر، ويكتب للنائم إذا نوى القيام فغلبته عيناه أجر قيامه، فكذلك هذا السيد لما كانت نيته الصلاة في المسجد النبوي ولازم ذلك حتى عيق عنه في بعض الأوقات بما يحصل له من المشاق التي يرخص للشارع لأجلها في ترك كثير من المأمورات، فلا بُد في قولنا أنه يحصل له أجر من صلى في المسجد لأجل نيته سيما مع امتثال أمر شيخه وعمارة مسجده والصلاة عن فيه من الفقراء وعمارته بالذكر والقراءة والصلاة مع الشيخ وفضلاء أصحابه فإن في هذه القربات إذا خلصت فيها النية ما ينجز به ما فات من التضعيف، فرب قرينة وحسنة تفوت ألف حسنة أو تساويها لما حفت به من الأوصاف الحميلة والفوائد الكثيرة، كهذه الصلاة التي يصليها في مسجد الشيخ بحضور قلب وسكون وتؤدة مع جماعة فيهم الشيخ فتسري بركنه في صلاة الحاضرين، فإن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، وقد ورد: من صلى مع مغفور غفر له<sup>(1)</sup> ولو ذهب إلى المسجد لم يصل إليه حتى يتعب لبعده ويتشوش فكره بالرجوع وتحيل غلق الأبواب دونه، سيما إن أبطأ الإمام شيئاً ما، فمجرد فراغه من الصلاة يقوم بسرعة من غير جلوس لذكر ودعاء، فلا يبعد أن تكون الصلاة الأولى مساوية لألف صلاة من أمثال هذه في غير الحرم، هذا مع أن مسجد الشيخ داخل في حدود ما بين المصلى والحجرة كما في بعض الأحاديث: ما بين مسجدتي ومصلاي روضة من رياض الجنة<sup>(2)</sup> على قول بعض

(1) ورد هذا الأثر في تفسير ابن كثير برواية: من أكل مع مغفور له غفر له، قال ابن كثير: وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له؟ قال: لا، ولكني الآن أقوله: تفسير ابن كثير 4: 394.

(2) التاريخ الكبير 2: 276.

العلماء أن المراد بالمصلي مصلي العيد، فكان بعض السلف يرغب في سكني الناحية التي بين المسجد النبوي ومصلي العيد ويقول: إنه روضة من رياض الجنة.

وأما توجيه ما ذكر الشيخ من حيث الباطن فإن شرف الأمكنة ليس لذاتها إنما هو لما اشتملت عليه وأودعه الله فيها، وشرف المسجد النبوي لمجاورته لغيره، صلى الله عليه وسلم، وبيته وصلاته فيه مدة حياته وغير ذلك، فإذا أكرم الله تعالى ولياً من أوليائه بحضور روحانيته، صلى الله عليه وسلم، وشهوده في محله دائماً، وإن كان بعيداً من مسجده، لأن الأمكنة بالنسبة إلى الأرواح مستوية، فلا يبعد أن يكون لذلك المكان الذي حضرت فيه روحانيته، صلى الله عليه وسلم، وحصلت مشاهدته على الدوام ما كان حاصلًا لمسجده من الفضل بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي أكرمه الله بذلك، ولا يلزم من ذلك مشاركة ذلك المكان للمسجد النبوي في الفضل لأن حصول ذلك الفضل للمسجد النبوي عام في الأزمان والأشخاص، وهذا خاص بهذا الشخص والزمن الذي هو فيه، ولا شك أن الشيخ رضي الله عنه من أهل هذا الشهود، فيكون لمسجده من الفضل بالنسبة إليه وإلى خواص أصحابه الغائبين في المتحدين فيه حبا وولاء مثل ما كان للمسجد النبوي لحضوره، صلى الله عليه وسلم، بروحانيته فيه سيما مع قرب المكان جدا بحيث لا يكاد يغيب عن خيال المصلي شهود الروضة والحجرة وما هناك من الآثار حتى كأنه فيه وإن كان من أهل الكشف كشف له عنه حقيقة حتى يراه وكأنه فيه، وإن بلغ إلى رتبة الأبدال أمكن أن يكون فيه مع أنه في محله، فكم من بعيد الدار وهو قريب، وهذه المراتب الشريفة ليست بعيدة من حال الشيخ، فإذا أتخف بذلك وصارت صلاته كمن صلى في الحرم النبوي، فلا يبعد أن يتخف الله بذلك جميع من صلى معه ببركته، سيما إن كان هو إمامهم وارتبطت صلاتهم بصلاته.

ذكر بعض تأليف شيخنا صفي الدين رضي الله عنه

وهي كثيرة تقارب السبعين، فيما أظن أني رأيت من أسمائها مقيداً في برنامج بعض الأصحاب، والذي تعلق ببالي منها الآن شرحه على حكم ابن عطاء الله،

وهو في غاية الجودة<sup>(1)</sup>، لولا صعوبة كلامه على القاصرين أمثالنا لدقة مغزاه فيه ورقة منحاه، وغلبة الإشارة، إلى حضرة الوجود المطلق على كلامه، وانفرد من دون الشروح بخصيصة لا يعادله فيها غيره، ومأثرة لا يشارك فيها، وهي ختمه رضي الله عنه كل حكمة بحديث يناسبها، وهذا مما يدل على سعة اطلاع الشيخ وحفظه للأحاديث النبوية وفهمه لها، بحيث يدرك المناسبة بين الحديث والحكمة في بعض الحكم من وجه خفي لا يكاد يتفطن له، وهذا شأن فطن العارفين وأفهامهم، وقد حضني على استنساخه عند لقائه، رضي الله عنه، فيسر الله ذلك من وجه لا عسر فيه، وكان والده سيدي محمد بن عبد النبي كتب على الحكم شرحاً كبيراً فأراد الشيخ اختصاره، فطلب منه شيخنا محمد بن علوي عندما ورد المدينة سنة 1047 أن يتكر شرحاً غير مختصر من الذي قبله لأن ذلك أجدر بإيداع الفوائد التي يفتح الله فيها فقبل إشارته.

ومنها حاشية له على المواهب اللدنية للقسطلاني، مفيدة مع صغرها، رأيتها بخطه في عدة كراريس. ومنها كتابه: بستان العابدين، ذكر فيه أورادا كثيرة بأدلتها وفضائلها وفضائل آيات من القرآن وسور منه، وهو غاية في بابه.

ومنها كتابه السمط المجيد<sup>(2)</sup>، ذكر فيه طرق رواياته وأسانيده عن مشايخه، وأكثرها في طريق القوم، فقد استولى غالب طرقهم وساق أسانيده إلى أصحابها ثم أسانيدهم إلى منتهاها مع ذكر شيء من حكاياتهم ومآثرهم.

ومنها رسائله الثلاث في مسألة الكسب التي انتصر فيها لقول إمام الحرمين، والصغرى منها أتمها تحقيقاً وأكثرها تدقيقاً.

ومنها الرسالة المسماة: ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة، وقد تقدم خبرها في أول ترجمة الملا إبراهيم.

ومنها شرحه لرسالة السيد سالم شيخان المسماة منقذة الموهوم من مزلقة الموهوم، وهي صغيرة جداً موجزة لفظاً كبيرة قدراً. ولنذكر نص الرسالة المذكورة، ومنها يعلم حال شرحها وشارحها، ونصها: باسم الله الرحمن الرحيم،

(1) ذكر محقق كتاب الحكم أن نسخة من هذا الشرح محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق: الحكم، ص: 85 من مقدمة المحقق.

(2) السمط المجيد: في تلقين الذكر والبيعة وإلباس الخرقه وسلاسل أهل التوحيد للقمي: فهرس الفهارس 1061:2.

قال سيدنا السيد الأجل العلامة الأوحى سالم بن أحمد شيخان باعلوي، رحمهما الله تعالى: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لوليه، والصلاة على نبيه، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه، وبعد فإن كل شئئية امتازت في وجودها بنسبة واحتازت في شهودها برتبة ما ميز منها ما في الوجود إلا العلم، ولا أظهر ما عنها في الشهود إلا النور، وهي من حيث هي قابلة تتقلب عليها الشؤون بظهور أثر الأسماء طورا بعد طور، فالظاهرية في مظهرية الشيء لمن له الولاية بالحق لا لاختلافه الشيء الموسوم بالخلق فإن الأشياء بحقائقها لا بخلائقها، فحكمه حكم الصدى بالنسبة الترجيعية إلى الندى، وحكم الجليل بالنسبة الجمودية إلى الماء، معقودان عينا موجودان حكما، والمظاهر الخليفة الملازم لها الحدوث، ولم ترتفع عنها أنحاء العدميات ليست هي من حيث خالقيتها عين الذات، بل هي لها اعتبارات لأنها ليست مما ثبت قدمه حتى يستحيل عدمه، وليس لها وجوب وجود استقلاليا في وجودها حتى تساوقه فتكون عين وجودها وما طرف العدم مع متعلقها بأولى من طرف الوجود إن لم يترجح لها في التعقل الذاتي إلى أمد نسبة الوجود، فصارت هي وإن كانت من حيث المظهرية معلومة هي من حيث الظاهرية التي بها كل شيء هالك معدومة، وإن فرضت فموهومة، وما قصد المحققون فيما إليه بالحق ذاهبون إلا وحدة وجودية العبد الصادقة على أمرية معانيه لا وحدة موجوديته الصادقة على خليفة مباينة كون صورة موجوديته من تجسد الخيال لها حكما ما إذا انصبغت<sup>(1)</sup> للنجيب بظاهرية الحق في مظهريته، وتعالى محيط السبحات أن تكون القاذورات من حيث اختلاف موجوديتها عين الذات، وما عنوا بهذا إلا وجوديتها التي هي تعلقها في علم رباها ما لها هي في ثبوتها الحكمي وسلبها، وهي الدقيقة الذاتية والأمر الإلهي التي يتوجه إليه منها الخطاب (وما يذكر إلا أولو الألباب)<sup>(2)</sup>.

تمت منقذة الموهوم من مزلة الوهوم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ومنها الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإلهية، وهو حاشية على كتاب الكمالات الإلهية للشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه، وهو كتاب جليل القدر نبيه الذكر، جعل صاحبه الحقيقة الحمديية هي مظهر الكمالات الإلهية بأسرها

(1) في ط: الصبغة.

(2) البقرة: 268.

ومنها تفرعت إلى غيرها من المظاهر، ثم أخذ يفصل ذلك شيئاً فشيئاً ولكنه قد يغلب عليه في شهود الحقيقة فلا يعطي الشريعة حقها، وللشيخ الصفي، رضي الله عنه، في حاشيته تعقبات ظاهرة عليه ظهر فيها علو مقامه وتمكنه من الشريعة والحقيقة، وهذه الحاشية مفيدة جداً، ولنذكر كلاماً منها يتعلق بالوجود المطلق نصه: الحق وجود مطلق على تعينه بنسبة دون الإطلاق، وإلا فجميع ما هو له على حدته في بطونه كما هو على حدته في ظهوره، لا تبديل له، ولا للكمالات عن<sup>(1)</sup> مقتضى تمايزها في الباطن اعتباراً، كما حال التجرد يكون العالم والمعلوم والعلم واحداً مع تميز كل، وإن انحى أثر التمييز ظاهراً فهو باطن ما يبذل القول لديه بحال في الظهور والبطون، فكذلك في الشؤون، وإنما ينمحي الاسم ظاهراً ويندرج في الإطلاق، بحيث لا تميز له، ثم بحال إلا بحكم ما لله عند كل شأن منه وإليه لا دخل لنسبة الظهور بحال إلا لله وحده، كما قال سيدنا علي وفا أو محمد وفا، الكل هو بلا مرأى إن أطلقت قيوده، والكل نحن يا فتى لأننا صدورهم، فالكل هو من حيث الطمس فيه يكون وانحاء الآثار التي هي مقتضيات التعين، فلا إشارة ثمة إلا له لهلاكه فيه لا لكونها صارت هو لأنها حدوده وحدوده معتبرة له في البطون والظهور عند أهل العيان والعيون، فالخاطر لا سبيل له، فلو تغيرت الحقائق باطناً لتغيرت ظاهراً، ولا وجود له بل (كل في فلك يسبحون)<sup>(2)</sup> ظهوراً وبطوناً، ويختلف بحسب المحلات والمراتب إذ لكل درجات، فتحفظ ولا تغلط، واضرب لك مثلاً بالماء وما عنه من المنعقدات إذا ظهرت أو لفظت فهي في باطنه هو بمعنى الاستهلاك فيه وانحاء التمييز والآثار لا فإن صارت داخلة في حقيقة الماء وإلا لعدم المنعقد وطلب مكانه لأنه انقلب ماء، فتذكر ترشد، فكل باق على حدته وحقيقته، وإن بطن وصار مرفوع القيد في مطلق كما في مطلق الوجود وقس به مثله، (وعلى الله قصد السبيل)<sup>(3)</sup>.

ومنها رسالة: نفحة اليقين وزلفة التمكين للموفقين، وهي التي حقق القول فيها على كون الحقائق مجعولة أو غير مجعولة على مذهب العارفين أهل الكشف الصحيح.

(1) في ط: على.

(2) الأنبياء: 33.

(3) النحل: 9.



## لطيفة:

قال الشيخ، رضي الله عنه، في آخر هذا الكتاب: ولما كان ليلة الثلاثاء خامس عشرين شهر رجب الحرام من هذا العام، عام اثنين وستين وألف، بالمدينة الشريفة رأيت في المنام خيراً إن شاء الله تعالى، ورأيت الله جل جلاله في مثال إنساني وقد فتح باباً من أبواب الجنة بوسط جبل من جوف ذلك الجبل، وهو كباب السر يدخل منه أقوام مخصوصون، ويسر الله بكرمه وعفوه الدخول مع الداخلين منه، وكأنا من حيث الدخول في محل شاهق يجبال كريمة صورها كالسكر النبات المعقود تمثيلاً، أو البرد أو البلور الذي يرى منه ما وراءه، ونحن نازلون منها إلى المستقر، ثم خيام لا يكيف حسنهما على نسق واحد بيض مضروبة بغير أوتاد ولا طنّب<sup>(1)</sup>، ونحن نتبع أمر الله جل جلاله، وكان في نفسي مسألة في هذه الدار أود سؤال الحق جل وعلا عنها عند اللقاء، فذكرتها وسألت عنها أهي كذا؟ فقال الحق جل جلاله: نعم، هي لك كذلك. فسجدت شكراً لله بين يديه تعالى ثم انتهت وما أردت كتابة هذا ولا تدوينه، فلما كان من الليلة الثانية رأيت أمراً يقتضي إثباته، ورأيت أن العقم سرى في الرجال عن اللقاح، وهو شخص ممثل بمشي على هيئة من غير استعمال، فحيث وصل حصل منه بذلك الحل ما بعث له، وحيث لم يصل الأمر فيه موسع باستغنام تلك الفرصة بين يدي مجيئه، ورأيت في الواقعة الأولى أكثر الداخلين المسرعين إلى كرامة الله من غير المنظورين والمشار إليهم، بل أكثرهم من أهل الأسباب الرعاة للأمانة والأوامر ومن لا أعرف، (فاعتبروا يا أولي الأبصار)<sup>(2)</sup> (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)<sup>(3)</sup>. فجوهرة القلب الجامدة بالغفلة إذا سلط عليها السالك بإذن الله بنار الذكر الشديد، وأحج وقودها آداب الذكر جامدها فعاد ماء جارياً محيطاً، وفك مركبها فعاد واحداً بسيطاً وصفه الأوصاف وقيدته الأقيد، فخطابه في الحضرة الحمديّة، ومنها (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)<sup>(4)</sup>، ومتابعة، (فاتبعوني يحببكم الله)<sup>(5)</sup>،

(1) الطنب: جبل يشد به الخباء والسراقد: لسان العرب: طنب.

(2) الحشر: 2.

(3) الزمر: 21.

(4) الفتح: 10.

(5) آل عمران: 31.

فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده ومريده<sup>(1)</sup>، و(يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتیه أجراً عظيماً)<sup>(2)</sup>، فخذ من الكثير ولو بالقليل، فالوعد بالعطاء عطاء، ولو كان تعطى التعليل فوعد الكريم دين لأنه دين، والجزاء واجب عند مالك يوم الدين، فدن بالدين لعلك تكن من السالكين الذاهبين إلى ربهم في طلب هدايته، وقل عند توجعك في كل نفس: (إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)<sup>(3)</sup> آمين. (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لذك سلطاناً نصيراً)<sup>(4)</sup> أو قل: (وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)<sup>(5)</sup>، (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)<sup>(6)</sup>. وهو آخر الرسالة، وهي مفيدة جداً في باهما.

ومنها رسالة (في)<sup>(7)</sup> الذكر باسم الجلالة مفرداً، وهي مسألة كثر فيها البحث بين المتأخرين، فأجاز ذلك العارفون عن آخرهم، ومنع بعض المترسمة محتجاً بظواهر لا تجري، ورسالة شيخنا في هذه المسألة مفيدة مع صغر حجمها. وله رضي الله عنه ديوان شعر أكثره على لسان أهل الحقائق، ونظمه فيه عذب المذاق، وإن كان ربما يوجد فيه ما يستضعف عند أهل الأدب، فمن ذلك قوله:

[طويل]

عليك بصافي ود ليلى وكُنْ لها      غلامٌ غلامٌ خالص الود والعهدِ  
ولا تبغي من دون ذلك بُغية      فما دُونُها إلا توهمٌ لا يُجدي

(1) في ط: مؤيده، ز الإشارة هنا إلى نص الحديث القدسي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم إن الله عز وجل يقول: ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأكون أنا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعا أحبته، وإذا سألتني أعطيتته، وإذا إستتصرني نصرتته، وأحب ما تعبد لي عبدي به النصيح لي: المعجم الكبير 206:8.

(2) الفتح: 10.

(3) الفاتحة: 5 - 7.

(4) الإسراء: 80.

(5) الإسراء: 81.

(6) الصافات: 180 - 182.

(7) زيادة من ط.

فَقَبِلَتْ كُلَّ الْعَاشِقِينَ جَمَالَهَا  
إِلَى أَنْ بَدَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ  
وَلَا حَتَّ بِشَرْقِ الْكَوْنِ مَذَّ بَانَ صُبْحُهَا  
فَلَمَّا اهْتَدَى السَّارِي بِهَا لِحْيَامَهَا  
وَأَذَنَ دَاعِيِ الْحَانَ نَدْمَانَ وَصَلَهَا  
بَدَا حَيْثُهَا الْقِيَوْمُ فِي كُلِّ شَاخِصٍ  
وَأَوْرَى فَأَوْرَى فَالْوَرَى مِنْ تَوَارَّه  
إِلَى دَارِ لَيْلَى وَالْمَضَارِبِ شَرَعَتْ  
فَمُتَّسِعُ الْأَحْشَاءِ خِيَامٌ مَقِيلُهَا  
أَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَلَمَّا<sup>(1)</sup> انْتَهَوْا إِلَى  
وَسْطَنَ بِهِ جَمْعًا عَلَى الضَّدِّ مِنْهُمْ  
فِيَا لَكُمْ إِذَا قَامَ سَوْقٌ غَرَامُهَا  
هــ

#### لطيفة:

إنما كنا معشر أتباع الشيخ القشاشي نلقبه بصفي الدين، مع أن المشتهر في اصطلاح المشاركة تلقيب أحمد بشهاب الدين، لما أخبرني به شيخنا الملا إبراهيم أن الشيخ كان يكره هذا اللقب ويقول: إن أحمد أشرف الأسماء، فكيف يلقب بالشهاب الذي هو للعذاب والرجم. وأظن أنه قال: وهو اسم شيطان، فكان، رضي الله عنه، يرى أن الأولى تلقيب أحمد بصفي الدين، فانظر ما أحسن هذا

(1) اقتباس من قوله تعالى: ( والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ): العاديات: 1 - 5.

اللقب وما ألطف مناسبته لهذا الاسم الشريف. وإشارات العارفين واستبطناتهم كلها على هذا الأسلوب عند من فهم ذلك عنهم، والله يجعلنا من أهل الفهم عنه وعنهم آمين آمين.

ولما اجتمعت بغالب فقهاء المدينة المشرفة، رضي الله عنهم، وأخذت عمن هو أهل للأخذ منهم، كتبت استدعاء يشمل على نثر ونظم استجزهم فيه لنفسي وولدي وجماعة من أصحابنا وأبناء مشايخنا، وكان من جملة من كتب عليه بإسعاف الرغبة شيخنا الملا إبراهيم، رضي الله عنه، ويأتي ذكر الاستدعاء المذكور وما كتبت عليه آخر الرحلة، إن شاء الله تعالى، لأنني أفردتُ لذلك رسالة سميتها: تحفة الأخلاء بأسانيد المشايخ الأجلاء أذكرها بتمامها هناك، إن شاء الله.

ولنختم ترجمة شيخنا الملا إبراهيم بالرسالة التي كتبتها برسمي فيما يتعلق بمسألة الكسب التي هي من مفادات شيخه الصفي رضي الله عنه وسبب كتبه لهذه الرسالة أني كنت قبل ذلك بمدة ونحن بالمغرب وجدت عند بعض الإخوان من أصحاب الشيخ الصفي إحدى رسائله في المسألة، وهي الوسطى، فاستنسختها ثم أطلعت عليها شيخنا علامة الوقت وعارف الزمان الشيخ أبا محمد عبد القادر بن علي الفاسي، قدس الله سره ورفع ذكره، وطلبت منه مطالعتها والنظر في مقاصدها لكثرة الطاعنين على صاحبها، ولا يقبل في كلام العارفين إلا كلام أمثالهم، فطالع بعضها فاستطاعها لكونها غير مبوبة ولا مفصلة، ومع ذلك فلم يحكم على صاحبها بتضليل ولا تبديع كغيره من المترسمين، وقال: لو اختصر هذا الكلام وحصلت مقاصده لكانت لنا عودة إلى تحقيق النظر فيه وإمعانه. ولما اجتمعت بالملا إبراهيم سألته أن يختصر مقاصد الشيخ في رسائله حتى يمكن الناظر فيه تأمله، ويجرده من كثرة الأمثلة والشواهد والأدلة، فكتب هذه الرسالة وسمّاها: الإقمام المحيط، وهي هذه: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الغني القريب، الأقرب العلي الأعلى، الجامع بالذات بين الكمالات المتقابلات وله الحمد في الآخرة والأولى، أحمده على أن منّ علينا بالإيمان، فإنه الأحد الواحد المتجلي في كثرة الأسماء القدوس الذي في عين قدسه به قام كل علو وسفل، إذ هو قيوم الأرض والسماء، وأشهد أن لا إله إلا الله الصمد الجواد العزيز الحكيم الواسع المحيط الحق الذي مد ظل النور الوحداني على الحقائق فتعدد في عين وحدته بإظهار آثار كل مركب وبسيط، وذلك أن الله، لغناه الذاتي، له الإطلاق التام الحاوي لكل تقييد وإطلاق،

فكان له التجلي متى شاء وكيف شاء فيما شاء من حقائق الأنفاس في الآفاق، ومن تحقق ما ذكر اتضح عنده معنى لا قوة إلا بالله في عين، و(أن القوة لله جميعاً)<sup>(1)</sup>، وانكشف لديه معنى: (والله خلقكم وما تعملون)<sup>(2)</sup> في عين إثبات تأثير قدرة العبد بإذن الله موفقاً سميعاً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالكلمة الجامعة لمراتب التوحيد، لا إله إلا الله المؤيد بتأييد (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)<sup>(3)</sup>، المقرب بتقريب (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)<sup>(4)</sup>، وصلى الله وسلم على آله الأطهار وأصحابه المقربين الأبرار، من المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان من السابقين واللاحقين، صلاة وتسليماً فائض البركات على الآفاق والأنفس في الظاهر والباطن عدد خلق الله بدوام الله الخلاق وذو القوة المتين.

أما بعد، فإن مسألة توحيد الأفعال مع إثبات الكسب بتأثير قدرة العبد بإذن لا باستغلال قد ألفت فيها شيخنا الإمام العارف بالله المحقق الراسخ الكامل المكمل الأكمل، قطب زمانه وغوث أوانه، سيدي الشيخ صفى الدين أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبي بن الولي الشهير أحمد المقدسي الدجاني المدني المعروف بالقشاشي، قدس الله روحه وأعلى في أعلى المقربين فتوحه، وأعاد علينا والمحبين من بركاته آمين رسائل آخرها الكشف والبيان عن مسألة الكسب والإيقان، وهي آخر مؤلفاته على الإطلاق. ولما وصل في هذه السنة، سنة 1073 إلى المدينة المنورة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، سيدنا العالم العامل فيما أحسبه ولا أزكي على الله أحداً، نادرة الوقت، غريب الزمان، الفقيه المحدث، الصوفي ذو الحظ الوافر من جامعته تجلى الاسم المضاف إليه، سيدي الشيخ عفيف الدين عبد الله أبو سالم بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، عاش لله بالله عبد الله، من خلص حزب الله في حماية الله آمين. وذكر لنا أن بعض رسائل شيخنا قدس سره في مسألة الكسب وصلت إليهم، ثم نظر في رسالة الكشف وصلت إليهم، ثم نظر في رسالة الكشف والبيان ورآها مبسوبة، طلب تلخيص مقاصدها تقريباً لها إلى الأفهام مع تذييله بالتنبيه على اندفاع ما استدل به العلامة التفتازاني في شرح

(1) البقرة: 164.

(2) الصافات: 96.

(3) الأنفال: 17.

(4) الفتح: 10.

المقاصد على أن قدرة العبد لا تأثير لها أصلاً من العقلية فإنه من باب إماطة الأذى عن طريق تحقيق المقام. فاستخرت الله تعالى ثم توجهت للمطلوب سعيًا في تبليغ ما اهتم بنشره الشيخ قدس سره، ولا سيما في هذه الأواخر شديد الاهتمام مستحضرا أن هذه المسألة لكونها على هذا الوجه المنقح من نفاذاته، قدس سره، بإذن الله كأنه القائل على لساني وفي ميزانه، الله ولي كل توفيق وإنعام، والله سبحانه بيده أزمة القلوب وملكوت كل شيء وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في كل مقصد صغير وكبير، وهذا أوان الشروع فيما هو المطلوب من التلخيص والتقريب، والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

تمهيد: اعلم أن الحق الذي يجب اعتقاده وإن كان هو الوسط بين طرفي إفراط وتفریط كما ورد: خير الأعمال، وفي لفظ، الأمور أوساطها<sup>(1)</sup>، ودين الله بين القاسي والغالي، وفي لفظ أن دين الله وضع دون الغلو وفوق التقصير، والحسنة بين السيئتين لا ينالها إلا بالله<sup>(2)</sup>، الحديث. وأن الكسب هو أمر بين الأمرين لا حبر ولا تفويض لبطلان الجبر بالضرورة، وبطلان الخافية استقلالاً بالاستدلال، لكن القول بأن الوسط هو أن يكون للعبد قدرة تتعلق بالمقدور لا تأثير لها فيه أصلاً لا يحصل به توسط شافي، إذ لا يتميز عن الجبر تمييزاً يكشف الغمة عن طالب التحقيق في هذه المسألة المهمة، ولهذا قيل: إن الكسب بهذا المعنى اسم بلا مسمى، والأقوال التي ذكرها العلامة التفتازاني في شرح المقاصد في تفسير الكسب ليس فيها شفاء.

أما القول بأن الوسط هو أن يكون للعبد قدرة مؤثرة، لكن بإذن الله لا بالاستغلال فهو توسط حسن متميز عن الطرفين تمييزاً بيناً يكشف الحيرة، وقد أيدته شواهد الشرع المعصوم لمن تلقاها بالإيمان الواسع، وأمعن النظر فيها بالعقل السليم، لا ينكره النظر العقلي من ذي فطرة سليمة، لم يتكدر صفاء بصيرته بغبار الشبهات الخيالية، ومحامها الله المنان عنه بعد التكرار بعزته فإنه يححو الله ما يشاء ويثبت و(لكل أجل كتاب)<sup>(3)</sup>. وأما من اشتغل محله بالمألوف المتداول ثم لم يسلك طريق الإنصاف خالياً عن التعصب، طالبا للتحقيق، فالغالب أنه لا يتلقاه بالقبول

(1) السنن الكبرى للبيهقي 273:3.

(2) شعب الإيمان 403:3.

(3) الرعد: 39.

لكونه يتوهم ببادي الرأي أنه كقول المعتزلة حيث يسمع لفظ التأثير، وهذا من كون الإنسان عجولاً<sup>(1)</sup> لما فيه من الخفة النارية، فلو ثبت بما فيه من الترايبية المحتوية على الرزانة لينظر باذلاً للجهد فيقدم، أو يحجم على نية، لكان أمس بإنسانيته مع ما فيه من امتثال قوله صلى الله عليه وسلم: إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج<sup>(2)</sup>، وقد قال تعالى: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)<sup>(3)</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما حئت به<sup>(4)</sup>. وقد ورد: طوبى للسائرين إلى ظل الله تعالى الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم، وذلك أن هذه المسألة لا يعلمها على التحقيق الأئم إلا من سلك منازل السائرين إلى الحق المبين ففاز بعد الفناء التام بالبقاء من الله العلام، فتجرد له إدراك آخر ليس من قبيل إدراكه الأول، فعرف نفسه معرفة محققة شهودية يعرف ربه بحسب درجته وسعة دائرته، فكان من الراسخين في العلم من طريق الوهب الإلهي لا من طريق الفكر، فيعلم الحافظ أن الفعل بتأثير القدرة المضافة إلى العبد بإذن الله لا يكون قادحاً في توحيد الأفعال منافع لكلية لا خالق إلا الله لكونه يعلم تأويل التشابهات بالوهب الإلهي على وجه ليس فيه صرف اللفظ عن ظاهره، مع أنه لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً، ولا حلولاً ولا اتحاداً، ولا تجزئة ولا قياماً للحادث بالقديم ولا بالعكس، ولا ما يشاكل ذلك من الشبهات التي تطرأ على أهل الأفكار في التشابهات لو حملت على ظاهرها، ويليه من آمن بشواهد الشرع إيماناً صادقاً لا يزلزله المؤلف في الكتب الكلامية المتداولة، ثم نظر فيها نظر منصف طارح للتقييد بما تقرر عنده أولاً طالب للتحقيق متوجهاً إلى الله في المضايق وعند طرق الشبهات أو يهديه سواء السبيل، فإن الله سبحانه يؤمن عليه بفهم الآيات على وجهها والهداية إلى الحق المختلف فيه بصادق وعد الله، (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم)<sup>(5)</sup>، وإن تفاوتت<sup>(6)</sup> الدرجات في ذلك، وانظر في كلام أئمة الكشف الصحيح لمن تلقاها بالإيمان الواسع في مساعدة لفهم

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً) الإسراء: 11.

(2) الأدب المفرد 306:1.

(3) النساء: 58.

(4) الفردوس بمأثور الخطاب 153:5.

(5) التغاين: 11.

(6) في ط: تفاوت.

الآيات والأحاديث على الوجه المطلوب وبالله التوفيق. ويليه صاحب النظر الفكري إذا اعتنى الله به فوفقه للنظر الصحيح فإنه تناول المسألة من وراء حجاب الفكر، ولكن دون درجة من قبله، أعني صاحب الإيمان بالمتشابهات الذي هدي إلى الحق لاختلاف مبنى المسألة عندهما، فإن صاحب الإيمان إذا تم له الأمر في الفهم بهداية الله تعالى مبني المسألة على توحيد الصفات مع فهمه أنه لا يلزم شيء من الشبهات المشار إليها، وصاحب النظر الفكري المجرد لا يبينها على ذلك لظنه استلزامه للمحذورات السابقة، ويكتفي بأنه لا مانع عقلا من أن يخلق الله للعبد قدرة يمكنه بها من العقل، لأنه لا ينقطع نسبته إليه تعالى بالإلحاد لأن إلحاد المكلف له إنما هو بتمكن الله تعالى إياه منه وإقداره عليه، وهذا وإن كان فيه الكفاية لكونه من لوازم الأول، ولكن بين القولين بون بعيد، وكل ميسر لما خلق له وبالله التوفيق، وإذا سمعت هذا، فنقول وبالله التوفيق ويده ملكوت التحقيق: من المعلوم أن الممكن لما كان في كونه موجودا محتاجا إلى غيره كان الفقر إلى الغير في وجوده وكمالاته التابعة لوجوده ذاتيا له، وأن الواجب لما كان في كونه موجودا غنيا بذاته عما سواه كان الغني (عن الغير في وجوده) <sup>(1)</sup> وكمالاته ذاتيا له والله سبحانه وتعالى هو الواجب الوجود لذاته، فهو الغني بذاته عما سواه في وجوده وكمالاته، والممكن فقير بالذات إلى الله في وجوده وكمالاته التابعة لوجوده، فكما لا وجود له إلا بالله، كذلك لا كمال له إلا بالله، ومن كمالات العبد القدرة على أفعاله الاختيارية وتمكينه من تحصيلها بلا قدرة له على تحصيل شيء منها إلا بالله كما قال تعالى: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) <sup>(2)</sup>. وقال، صلى الله عليه وسلم، في الحديث المتواتر كما قال السيوطي <sup>(3)</sup> رحمه الله: ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومفاد الاستثناء من النفي إثبات، والتراجع فيه مدفوع كما أوضحنا في إنباء الإنباء على تحقيق إعراب لا إله إلا الله، فالعبد كما أن له وجودا بالله لا مستقلا، كذلك له قوة بالله لا مستقلة، ومعلوم عند الالتفات أن كل وصف حاصل لشيء بغيره فهو في الحقيقة لذلك الغير لا لشيء، فكما أنه لا وجود حقيقة إلا لله ولغيره بالله، كذلك لا قوة حقيقة إلا لله ولغيره بالله، ولهذا قال سبحانه: (أن القوة لله جميعا) <sup>(4)</sup>، أي أن

(1) بياض في ط.

(2) الكهف: 38.

(3) لعله يشير إلى قول السيوطي: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي لا حول عن معصية الله إلا بعصيته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته: الديباج 2: 122.

(4) البقرة: 164.



القوة الظاهرة في مظاهر الأقوياء لله جميعاً حقيقة لا لهم لأنها بالله كوجودهم، وهذا من أوضح الدلائل على توحيد الصفات لكل ذكي منصف فإنها، أي صفات الكائنات من عكوس أنوار التجليات للصفات الأزلية بحسب الظاهر، فهي وحدة بالذات متعددة بالنسب والاعتبارات على وجه مقدس عن جميع الشبهات، ولا يعلم ذلك تحقيقاً إلا أهل الكشف الصحيح والمؤمنون بالمتشابهات المؤيدة لقولهم إيماناً واسعاً صادقاً مع التنزيه بـ (ليس كمثله شيء) <sup>(1)</sup>، فإنه الإيمان الجامع بين نفي التشبيه والتعطيل الذي هو التوحيد عند أهل السنة كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري حيث قال: وأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل <sup>(2)</sup>، والإمام أبو الحسن الأشعري - شكر الله سعيه - قد صرح في الإبانة <sup>(3)</sup> الذي هو المعتمد في المعتقد له وأنه آخر مؤلفاته، كما صرح به الحافظ ابن تيمية الحنبلي، رحمه الله، بالإيمان بالمتشابهات إجمالاً وتفصيلاً بعض تفصيل، ومن ذلك أنه قال: وإن لله تعالى عينين بلا كيف، ثم قال: وإن الله تجلى للجبل فجعله دكا <sup>(4)</sup>، إلى أن قال: وإن الله يقرب من عباده كيف شاء، وهو في كل حال متره عن الكيف حتى في حال تجليه في ذلك الكيف، وذلك أن الله تعالى له الإطلاق الحقيقي الذي لا يقابله تقييد لذاته، فهو متره عن كل قيد في عين التجلي في المقيد، فالتجلي في الصور والمظاهر كما صح به الأحاديث لا يقدح في كمال نزاهته، بل هو كمالات إطلاقه الحقيقي، فإن مقتضاه أن لا يتقيد بقيد مع قابلية الظهور بكل قيد إرادة، والله واسع حكيم.

ثم نرجع ونقول: من المعلوم أن كل فعل صادر عن العبد فإنما يصدر بقوة، وإذا لا قوة إلا بالله، فلا فعل له إلا بالله، وكلما ثبت أنه لا قوة إلا بالله ثبت أنه لا قوة إلا لله كما يوضحه قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعلمون) <sup>(5)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله صانع كل صانع وصنعه <sup>(6)</sup>، فالله سبحانه خلق العمال

(1) الشورى: 9.

(2) فتح الباري 13: 344.

(3) الإبانة 1: 22.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف: 143.

(5) الصافات: 96.

(6) تذكرة الحفاظ 1: 272.

والأعمال، بل خلق كل شيء كما قال، لكنه كيف يشاء بواسطة مع غناه عنها أو بلا واسطة كما يدل عليه قوله تعالى: (إن الله يفعل ما يشاء)<sup>(1)</sup>، وقوله: (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)<sup>(2)</sup>، عموماً وما سيأتي من الآيات والأحاديث خصوصاً، وكلما كان كذلك كان كون الأفعال الاختيارية للعباد محكومة لله تعالى بواسطة مظاهرهم على كونها مكسوبة لهم بالله لكن بنسبتين مختلفتين، فإن الله خالقهم وخالق أعمالهم مع غناه عنهم، وإحاطة علمه بتفاصيل تلك الأعمال ومباديها وهم كاسبون لأعمالهم بالله مع فقرهم الذاتي وعدم استقلالهم، وعدم علمهم بتفاصيل شيء منها إلا ما شاء الله منها، وقد دل شواهد الشرع على تحقيق الاعتبارين، أي أن الله يفعل بالأسباب، أي بتوسط مظاهر العباد، كما يفعل عندها وكما يفعل بلا سبب، وأن العباد يعملون بالله ما يشاء الله أن يعملوه بإذنه، أما ما يدل على أن الله يفعل بالأشياء مع غناه فنحو قوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)<sup>(3)</sup>، مع قوله: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم)<sup>(4)</sup>، فالذي يميت الألوف بكلمة كيف يحتاج إلى مقاتلة المخاطبين لتعذيب الكفار، فإنه (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)<sup>(5)</sup>، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك، فأبرز الأمر بمقتضاها بجوده ورحمته مع تحقق غناه، ونحو قوله تعالى: (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض)<sup>(6)</sup>، فدفاع الناس بعضهم بعضاً عين دفاع الله بعضهم ببعض، إلا أنهم يدافعون بالله مع تحقق الفقر إليه تعالى، إذ لا قوة لهم إلا بالله والله يدافع بهم مع غناه عنهم، ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر<sup>(7)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فدهاكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي<sup>(8)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم<sup>(9)</sup>، إلى غير ذلك من

(1) الحج: 18.

(2) آل عمران: 6.

(3) التوبة: 14.

(4) البقرة: 241.

(5) يس: 81.

(6) البقرة: 249.

(7) صحيح البخاري 1299:3.

(8) صحيح البخاري 1574:4.

(9) صحيح البخاري 1077:3.

الآيات والأحاديث. وقوله: إن الله يفعل عند الأشياء لا بها، إن أريد به أن فعل الله لا يتوقف على الأسباب، بل هو غني عنها قادر على الإيجاد بلا مدخلية توسطها بدليل أن أول مخلوق خلقه الله لم يكن صدوره عنه تعالى بواسطة مظهر العبد وإلا لتسلسل، وكلما كان غنياً عنها فعله بها لحكمة اقتضى جوده ورحمته مراعاتها حسماً سبق به العلم المحيط لا للافتقار إليها، فهي أسباب عادية، أي أن الله جرت عادته بإيجادها<sup>(1)</sup> الأشياء بها لحكمة مع غناه عنها، فهو في معنى الفعل عندها لا بها كان قولاً صحيحاً، وإن أريد به أنه لا يصح أن يفعل لحق سبحانه بتوسط الأسباب أصلاً ولا لمقتضى الحكمة مع غناه عنها، فهو قول لا دليل عليه، تأمل.

وقولهم بلزوم الاستكمال بالغير شبهة تنكشف بأن الإيجاد بالأسباب، إنما يستلزم الافتقار المنافي للمعنى المستلزم للاستكمال إذا توقف الفعل على تلك الأسباب حقيقة لا عادة، لكنها عادية فلا افتقار فلا استكمال بالغير وبالله التوفيق. وأما ما يدل على الاعتبار الثاني، أي أن العباد يفعلون بالله ما شاء الله أن يفعلوه فمن ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي الصحيح لداود، عليه الصلاة والسلام، بعد ذكره صلى الله عليه وسلم أعمال عابد آل داود من الصلاة والتسبيح والتكبير وغيرها: يا داود إن ذلك لم يكن إلا بي، ولولا عوني ما قويت عليه، الحديث. فمفاد الاستثناء أن تلك الأعمال التي صدرت منه إنما كانت بالله، وصدورها منه فرع تأثير قدرته بإذن الله وعونه وتمكينه وتقويته وأقداره، لأن الأعمال آثار القدرة ولا أثر بلا تأثير كما هو واضح. قال أستاذ المحققين محي الدين محمد بن علي بن العربي قلنس سره ونفعنا به في الدارين آمين في الباب 104 من الفتوحات المكية ما نصه: فهل ما يطلب منا نعجز عنه أو لا نعجز، ومحال أن يطلب منا ما لم يجعل فينا قوة الإتيان به وبمكننا من ذلك فإنه حكيم، وقد أعطانا في نفس هذا الطلب علماً بأن فينا قوة ربانية ولكن من حيث أنا مظهر لها، اكتسبناها قصوراً عما تستحقه من المضي في كل ممكن، فطلبنا المعونة منه، فشرع لنا أن نقول (وإياك نستعين)، ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(2)</sup>. هـ بلفظه، وفيه قول بتوحيد الصفات وتأثير القدرة المضافة إلى العبد بالتمكين والمعونة وقرر هذا في غير ما موضع من الفتوحات قدس سره. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنك

(1) في ط: بإيجاد.

(2) الفتوحات المكية 2: 186.

سألنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يُرضيك عنا<sup>(1)</sup>. ومفاد الاستثناء أن العبد يملك ما سئل منه من التكليف بالله ولا يكون ذلك إلا بتأثير قدرته فيها بإذن الله. ومنها قول سيدنا أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، بعد أن استخلف: لقد قللت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله<sup>(2)</sup>. ومنها قول سيدنا علي، رضي الله عنه، للقائل بالاستطاعة: قل أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها. ومنها قوله تعالى: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)<sup>(3)</sup>، فإن مفاد الاستثناء أن الضرر والإتيان بسلطان يقعان بإذن الله وتمليكهما والوقوع فرع تأثير. قال البيضاوي: أي ليس لنا الإتيان بالآيات، ولا يستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحنموه، وإنما هو أمر بحشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات هـ. فلم ينف في الأول لا التأثير بالذات لا مطلقاً، ولم ينف في الذاتي إلا استبداد استطاعتهم واستقلالها لا أصلها المقيد بالإذن. وقال الحافظ في فتح الباري في حديث الاستخارة في قوله: وأستقدرك، أي أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة، ثم قال في قوله: فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم ما نصه: إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك إلا ما قدره الله له<sup>(4)</sup> هـ. وهذا كالتصريح بتوحيد الصفات، وهو الأصل في هذا الباب، وهو كقول الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله في كتاب الشكر من الإحياء: ولا قادر إلا الملك الجبار<sup>(5)</sup>، مع قوله في جواهر القرآن في باب المحبة: لا قدس ولا قدرة ولا علم إلا للواحد الحق، وإنما لغيره القدر الذي أعطاه إلخ. وقال في كتاب الشوق من الإحياء: فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين: (إنّا مكّنّا له في الأرض)<sup>(6)</sup>. وهذا القول من الإمام حجة الإسلام ومن وافقه، أعني توحيد الصفات، هو التحقيق الذي ليس فوقه إلا عين اليقين ثم حق اليقين، وعليه مدار التكليف، وبه يزاوّل إشكالات هذه المسألة لمن أتاه الله فهمه سالماً من الشبهات الخالية، ويؤيده أن شواهد ذو النسبتين مختلفتين كما في تقريره، فقد شهدت بأن القدرة واحدة بالذات متعددة بالنسب والاعتبارات لما حصل لها

(1) طبقات المحدثين 224:3.

(2) المستدرك على الصحيحين 70:3.

(3) البقرة: 101.

(4) فتح الباري: 186:11.

(5) إحياء علوم الدين 77:4.

(6) الكهف: 83.

التعدد في المظاهر بالتعينات الجزئية المتفاوتة حسبما تفاوتت المظاهر من غير لزوم شيء من الشبهات الموهمة، كالتبعض والحلول والاتحاد وقيام القدم بالحادث أو ما يشاكلها لما مر أن الحق سبحانه له الإطلاق الحقيقي، ومقتضاه أن لا يتقيد بقيد مع صحة ظهوره في كل قيد شاء الظهور فيه كيف شاء، وهو مع ذلك على كمال نزاهة قدسه كما هو واضح لمن فهم معنى الإطلاق الحقيقي الذي لا يقابله تقيد، وبالله التوفيق. ومنه ينكشف للفظن المؤمن أنه لا منافاة بين القول بتأثير القدرة المضافة إلى العبد المتعينة بحسب مظهره بإذن الله، وبين توحيد الأفعال، وأنه لا خالق إلا الله. وإذا علمت هذا فنقول الكسب في اللغة بالمعنى المصدري كما سيجيء نقله هو التحيل مطلقاً، بمعنى الحاصل بالمصدر هو المكسوب المحصل، وشرعاً بالمعنى المصدري تحصيل خاص، وهو تحصيل العبد بقدرته المؤثرة بإذن الله ما تعلقت به مشيئته التابعة في التعلق به لمشيئة الله، فبقيد التأثير تميز من الخير تمييزاً واضحاً، وبقيد الإذن وتبعية المشيئة تميز عن الإيجاد بالاستقلال الذي هو قول أهل الاعتزال القائلين بأن الله يشاء ما لا يفعلونه ويفعلون ما لا يشاء الله، وانكشف توسط بين طرفي تقصير الخير وعلو الاستقلال انكشافاً بينا بإذن الله الكبير المتعال والحمد لله رب العالمين.

## فصل:

دل كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري - شكر الله سعيه - في الإبانة على أنه لم ينكر على المعتزلة إلا الاستقلال لا أصل التأثير بالإذن، وذلك أنه قال: "أما بعد، فإن كثيراً من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد إلى رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم يترل الله به سلطاناً ولا أوضح به برهاناً"<sup>(1)</sup>. إلى أن قال: "وزعموا أن الله يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون، وردا لقول الله (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)<sup>(2)</sup>، فأخبر أنا لا نشاء

(1) الإبانة 1:14، والظاهر أن العياشي ينقل من كتاب كذب المفترى الذي يتطابق نصه مع ما أورده، أنظر: تبیین كذب المفترى 1:155، وما بعدها.

(2) الإنسان: 30.

شيئا إلا وقد شاء أن نشاءه"<sup>(1)</sup>، إلى أن قال: وزعموا "أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم [من دون الله عز وجل]"<sup>(2)</sup> ردا لقول الله تعالى [لنبيه صلى الله عليه وسلم]<sup>(3)</sup>: (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله)<sup>(4)</sup>، وانحرافاً عن القرآن وعما أجمع المسلمون عليه، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل"<sup>(5)</sup>. إلى هنا انتهى كلامه رحمه الله بلفظه في آخر مصنفاته والمعول عليه من بين كتبه الكثيرة.

وظاهر بأدنى التفات أنه لم ينكر عليهم إلا زعمهم الاستقلال بالمشيئة والاستقلال بملكهم الضر والنفع لأنفسهم لا بالله، وزعمهم الانفراد بالقدرة على أعمالهم، وأن ربهم المستلزم للغنى عن الله والاستقلال والانفراد باطل بالنقل والعقل والكشف. وأما القدرة على الأعمال بلا زعم الانفراد بل بإذن الله وتمكينه، والملك للضر والنفع بإذن الله، فليس في كلامه ما يدل على نفيه أصلا، بل مفهومه يثبت كما لا يخفى، ويوضحه قوله فيما بعد: وإنَّ أحداً<sup>(6)</sup> لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ولا يستغني عن الله<sup>(7)</sup> هـ. فإنه يدل على أن العبد يستطيع أن يفعل شيئا بالله في وقت فعل الله له، فإن قوله: ولا يستغني عن الله يدل على أنه إنما يفعل بالله لا بنفسه مستقلا، وكل ما كان كذلك فلا يتأتى له الفعل قبل فعل الله، بل حين فعله، فإن الفعل واحد بالذات متعدد بالنسبة والاعتبارات كما مر، ومن هنا يقول إن القدرة مع الفعل وكل ما كان كذلك كان قابلاً لتأثير قدرة العبد بإذن الله، لأن استطاعة الفعل حين فعل الله إيقاعه بالله حين إيقاع الله إياه بالعبد وإيقاع الله بالعبد بالتأثير بلا خلاف، فإيقاع العبد أيضا بالتأثير تمكين الله لما مر من كون الفعل واحد بالذات مختلف بالنسب، وهذا من لوازم توحيد الصفات عند التحقيق. وقولهم لازم المذهب ليس بمذهب، معناه أنه لا يحكم به بمجرد لزومه، فإن اعتقده فهو مذهب، ويترتب عليه حكمه اللائق به، ولم يبلغني عن الأشعري نص بالالتزام أو عدمه، لكن ظاهر إيمانه بالمتشابهات مع التنزيه يقتضي

(1) الإبانة 1: 15 - 16.

(2) ما بين معقوفتين زيادة من الإبانة.

(3) ما بين معقوفتين زيادة من الإبانة.

(4) يونس: 49.

(5) الإبانة 1: 17.

(6) في ط: واحدا.

(7) تبين كذب المفتري 1: 159.

ذلك، ولا سيما تنصيبه على أن الله يتجلى وأنه يقرب من عباده كيف يشاء مع نفيه للكيف أولاً، وهذا تمام التحقيق، فإن الله سبحانه، وإن تجلى في ذي الكيف، فهو مفره عن الكيف في كل حال، لإطلاقه الحقيقي كما مرت الإشارة إليه، ويوضحه قوله قبل ذلك، وثبت لله قدرة كما قال: (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة)<sup>(1)</sup> هـ. فإن مقتضى اسم التفضيل استدراك المفضل والمفضل عليه في أصل شيء واحد مع مزيد الأول على الثاني فيه، ومقتضى هذا لغة أن يكون القوة حقيقة واحدة ثابتة لله بالذات لكونه هو الذي خلقهم، لهم بالجعل والإفاضة والأصل في الإطلاق الحقيقة، وهو القائل: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة، ونحن بذلك معتمدون<sup>(2)</sup>. وهو القائل: ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا فحقيقة الكسب المعتمد ما عرفناه به لا تعلق للقدرة بالمقدور بلا تأثر لها فيه أصلاً، كما هو المشهور عنه. ومنه يتضح أنه لا منافاة بين أقواله السابقة الدالة على أن لقدرة العبد تأثيراً بإذن الله لا مستقلاً، وبين قوله فيما بعد: وإنه لا خالق إلا الله، وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدره<sup>(4)</sup> هـ. أما لما تبين من كلامه الدلالة<sup>(5)</sup> على القول بتوحيد الصفات، وإما لأنه فعل للعبد إلا بإذن الله وتمكينه، وكل ما كان لا فعل له إلا بالله فلا فعل إلا لله حقيقة، والله أعلم. ومنه يظهر أن ما نقله في المواقف عن الإمام الرازي في الجمع بين مذهبي الأشعري والمعتزلة ما نصه: ولعل الشيخ الأشعري أراد بالقدرة القوة المستجمعة شرائط التأثير، فلذلك حكم بأنها مع الفعل وأنها لا<sup>(6)</sup> تتعلق بالضدين، والمعتزلة أرادوا بالقدرة مجرد القوة العضلية، فلذلك قالوا بوجودها قبل الفعل وتعلقها بالأمور المتضادة، فهذا وجه الجمع بين المذهبين<sup>(7)</sup> هـ ملخصاً. جمع صحيح، لأن الشيخ الأشعري، رحمه الله، على ما تقرر قائل بالتأثير بإذن الله وأما ما في شرح المواقف

(1) فصلت: 14.

(2) الإبانة 1: 20.

(3) نفسه 1: 29.

(4) الإبانة 1: 23.

(5) في ط: من الدلالة.

(6) ساقط من ط.

(7) المواقف 2: 138.

من الاعتراض عليه بأن القدرة الحادثة ليست مؤثرة عند الشيخ، فكيف يصح أن يقال إنه أراد بالقدرة القوة المستجمعة لشروط التأثير، فمدفوع عنه بأن القول بعدم التأثير إن كان منقولاً عنه نقلاً صريحاً ففي غير الإبانة المعول عليها، فيقدم ما فيها على ما في بقية الكتب على أن قوله في عامة كتبه كما نقله ابن القيم في شفاء العليل يدل على التأثير أيضاً فإنه "قال في عامة كتبه: معنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب".<sup>(1)</sup> هـ.

ولا شك أنه صريح في أن العبد يقع منه الفعل بقدرة محدثة، ومن المعلوم أن الواقع بالقدرة أثرها وإلا لم يكن واقعاً بها، والأثر فعل التأثير بالضرورة فقوله: في عامة كتبه<sup>(2)</sup> أيضاً موافق لما في الإبانة، والإشكال في قوله: بقدرة العبد<sup>(3)</sup>، مع وقوعه بقدرة الله يزول بكون الفعل واحداً بالذات مختلفاً بالاعتبار لكون القدرة واحدة بالذات مختلفة بالاعتبار كما تقرر، ودل عليه كلام الأشعري، رحمه الله، أيضاً وبالله التوفيق.

## فصل:

ذهب إمام الحرمين في النظامية التي ألفتها بعد الإرشاد<sup>(4)</sup> إلى أن قدرة العبد مؤثرة بتمكين الله لا بالاستقلال، وقد نقل كلامه في بيان ذلك بلفظه وطوله العلامة ابن القيم الحنبلي في شفاء العليل<sup>(5)</sup>، وحيث إن الداعي لشيخنا قدس سره في تأليف رسالته الانتصار كان نصرة قول إمام الحرمين، فلا بأس بنقل طرف من كلامه، فإن بعض المتأخرين أنكر ثبوت ذلك عنه، وعلى تقدير صحته عنه رده عليه بما جوابه مذكور في اختصار الانتصار لشيخنا قدس سره، فنقول، وبالله التوفيق، أقوالاً في معنى الكسب ما نصه: وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطراباً عظيماً واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً إلى أن قال: قلت:

(1) شفاء العليل 1: 130.

(2) شفاء العليل 1: 130.

(3) شفاء العليل 1: 142.

(4) الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد لعبد الملك بن عبد الله الشافعي المعروف بإمام الحرمين: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص: 105.

(5) شفاء العليل 1: 142.



الذي قاله الإمام في النظامية أقرب إلى الحق مما قاله الأشعري والباقلاني ومن تابعهما، ونحن نذكر كلامه بلفظه قال: قد تقرر عند كل حاضر بعقله متروك عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد أن الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم حياتهم، وداعيهم إليها ومثيبيهم ومعاقبهم عليها فيما لهم، وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به وممكنهم من التوصل إلى امتثال الأمر والانكفاف عن مواقع الزجر، ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستجثات والزواجر ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله، ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون، فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، وساق الكلام في رده إلى أن قال: فقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته، طالب عبده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا على مبلغ الطاقة والوسع، ثم ساق احتمالات، قال في آخرها: وهذه الأقسام بحملتها باطلة ولا ينجى من هذا المنتظم ذكر اسم محض لقب مجرد من غير تحصيل معنى. قال: فإذا لزم المصير بأن القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها، فنقول: قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدر واقع بها قطعاً، ولكنه يضاف إلى الله سبحانه تقريراً وخلقاً فإنه وقع بفعل الله، وهو القدرة، وليست القدرة فعلاً للعبد وإنما هي صفة، وهي ملك لله وخلق له، فإذا كان موقع الفعل خلق لله فالواقع به مضاف خلقاً إلى الله تعالى وتقريراً، وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة، فإذا وقع بالقدرة شيئاً آل الواقع إلى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله، ولو اهتمت إلى هذا الفرق الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف، ولكنهم ادعوا استبداداً بالاختراع وانفراداً بالخلق والابتداع، فضلو وأضلو، ونبين تمييزنا عنهم بتفريع المذهبين بأننا لما اضطررنا فعل العبد إلى تقدير الآلة قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه، وهي أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد أن يفعل وأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم أن الأفعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد، إلى أن قال: ومن هدى إلى هذا استمر له الحق المبين ثم بعد ضرب مثل هذا قال: فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مرأى فيه لمن وعاه حق وعيه. ثم بسط الكلام بسطاً

وافيا إلى أن قال: قد أطلت أنفاسي ولكن لو وجدت لي اقتباس هذا العلم من يسرد لي هذا الفصل لكان بحق القادر على كل نفس بما كسبت أحق إلى من ملك الدنيا بخدافيرها طول أمدها هـ، والحمد لله رب العالمين.

### فصل:

ذكر الإمام حجة الإسلام، قدس سره، في كتاب التوبة من الإحياء كلاماً تضمن القدح في الأقوال الثلاثة أعني: الجبر المحض والاختراع الصرف الذي هو الاستقلال والتوسط، بمعنى كون القدرة مقارنة غير مؤثرة أصلاً. ثم قال: فإن قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بأنه صادق من وجه، وهو مع صدقه قاصر، وهو متناقض، فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال<sup>(1)</sup>. ثم مثَّل بحكاية الحمار مع الفيل إلى أن قال في آخر الكلام: وإذا كان هذا كلاماً يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها، وليس ذلك من غرضنا، فلنرجع إلى ما كنا بصدد<sup>(2)</sup> هـ. وهو إشارة إلى توحيد الصفات المشار إليه في جواهر القرآن. وفي الإحياء أيضاً كما مر نقله. وبدل كلامه هذا أن ما تقدم في قواعد العقائد جرى على المشهور لا على المختار، والله أعلم.

### فصل:

قال المحقق الكمال ابن الهمام الحنفي في المسامرة بعد نقل ما في قواعد العقائد من معنى الكسب في المشهور ما حاصله: قولكم إن القوة تتعلق بالفعل لا على وجه التأثير لا طائل تحته، لأننا لا نفهم من الكسب إلا التحصيل. قال تلميذه الكمال ابن أبي شريف الشافعي: قوله إن الكسب لا يفهم منه إلا التحصيل هو بحسب ما وضع له لغة هـ. قال: وتحصيل الفعل المعلوم ليس إلا إدخاله في الوجود، وهو إيجاد، وقولكم بأن القدرة تتعلق بلا تأثير كتعلق القدرة القديمة تتعلق في الأزل قياس مع الفارق، لأن معنى ذلك التعلق بنسبة معلوم من مقلوباتها

(1) إحياء علوم الدين 6:4.

(2) إحياء علوم الدين 6:4.

إليها بأنها ستؤثر في إيجاده عند إرادته إيجاداً، فإذا تعلقت الإرادة أثرت القدرة، لكن القدرة الحادثة عندكم مقارنة لا تؤثر أصلاً، ولا وقت تعلق الإرادة، فصحة كون من قدرته تؤثر عند تعلق إرادته فاعلاً بالاختيار لا يستلزم صحة كون من لا تؤثر قدرته أصلاً، ولو تعلقت الإرادة فاعلاً بالاختيار، وكلما كان كذلك لم يتميز الكسب عن الجبر المحض المستلزم لضياع التكليف وبطلان الأمر والنهي، فإن مجرد تعلق القدرة بلا تأثير لا تحصيل به فلا كسب به فلا يدفع الجبر والجبر باطل وملزوم الباطل باطل، ولا مانع عقلاً من أن يخلق الله للعبد قدرة يمكنه بها من الفعل لحكمة صحة التكليف واتجاه الأمر والنهي، مع أنه لا تنقطع نسبته إليه تعالى بالإيجاد لأن إيجاد المكلف لها، إنما هو بتمكين الإله تعالى إياه منها وأنواره عليها، وأما ما ذكره من العقليات على نفي تأثير قدرة العبد بالكيفية فليس شيء منها لازماً على ما يعلمه الواقف عليها هـ ملخصاً. قلت: وذلك لأنهم ذكروا وجوها عقلية كلها مفروضة في أن العبد لو كان مستقلاً بإيجاد أفعاله لكان كذا كذا كما يظهر ذلك بمراجعة شرح المقاصد وشرح المواقف، وظاهره أنه لا ورود لشيء من ذلك أصلاً على من يقول بأن العبد لا تؤثر قدرته إلا بإذن الله وتمكينه، لأنه ناف للاستقلال، كالجبر فهي إن تمت إنما تنهض حجة على من يدعي الاستقلال كالمعتزلة ومن يخلو حذوهم من أهل الأهواء، وإنما قلنا إن تلك الوجوه العقلية مفروضة في استقلال العبد لأن التفتازاني، رحمه الله، صرح بالاستقلال في الأربع من الوجوه الخمسة التي ذكرها في شرح المقاصد، وترك التصريح في واحد منها وهو الثاني، ولفظه: "إن العبد لو كان موحداً لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها واللازم باطل"<sup>(1)</sup>، وهذا الذي ذكر فيه التصريح بالاستقلال صرح فيه السيد بالاستقلال في شرح المواقف حيث قال: التأثير لو كان العبد موحداً لأفعاله بالاختيار والاستقلال لوجب أن يعلم تفاصيلها واللازم باطل إلخ، ومع تصريحه بالاستقلال لم يسلم من الاعتراض فإنه لما بين بطلان اللازم بأن النائم وكذا الساهي قد يفعل باختياره كإفلاجه من جنب إلى جنب ولا يشعر بكمية ذلك الفعل وكيفيته قال: واعتراض عليه بأنه يجوز أن يشعر بالتفاصيل ولا يشعر بذلك الشعور أو لا يلوم له الشعور هـ. وهذا يوضح أن الله جعل للإنسان في كل من حالتي النوم واليقظة إدراكاً يدرك به الأشياء على حسب ذلك الموطن، وقد صرحوا بأن القوة الفكرية التي لها

(1) شرح المقاصد 228:4.

التركيب والتفصيل والاستنباط، متحركة دائماً لا تسكن لا في النوم ولا في اليقظة أصلاً، والحاصل أن ما ذكره في بيان الملازمة من أن الإتيان بالأزبد والأنقص والمخالف ممكن، ولا بد لرجحان ذلك النوع، وذلك المقدار من مخصص هو القصد إليه، ولا يتصور ذلك إلا بعد العلم به، انتهى، لازم للقائل بالاستقلال.

وأما القائل بأن العبد لا يشاء إلا أن يشاء الله، ولا تؤثر قدرته إلا بإذن الله، ولا يعلم شيئاً من التفاصيل إلا ما شاء الله، فلا يلزمه ذلك لأن المخصص عنده لرجحان ذلك النوع وذلك المقدار من مخصص هو القصد إليه، ولا يتصور ذلك إلا بعد العلم به انتهى لازم للقائل بالاستقلال.

وأما القائل بأن العبد لا يشاء إلا أن يشاء الله، ولا تؤثر قدرته إلا بإذن الله، ولا يعلم شيئاً من التفاصيل إلا ما شاء الله، فلا يلزمه ذلك لأن المخصص عنده لرجحان ذلك النوع، وذلك المقدار هو مشيئة الحق سبحانه، وهي تابعة لعلمه تعالى، وعلمه محيط بالتفاصيل، والعبد يقصد الفعل على الوجه الذي يأذن الله له ويمكنه منه، والعبد عالم به على هذا الوجه، وهو كاف للقصد إليه التابع لمشيئة الله تعالى، وإن لم يكن كافياً لزاعم الاستقلال، ونحن لا ندعي إلا التأثير بإذن الله لا بالاستقلال، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)<sup>(1)</sup>.

ومنهم الشيخ العلامة الدراك الفهامة الفقيه النبيه الخطيب الأديب الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي<sup>(2)</sup>، رحمه الله تعالى ورضي عنه، أحد خطباء المسجد وأئمة، وأمثلة المدرسين به في هديه وسمته، أصله من بلد الخليل عليه السلام، وكان عمه الإمام الأجل الشيخ غرس الدين الخليلي قد استوطن المدينة آخر أمره، وتولى بها عدة وظائف من إمامة وخطابة وتدريس، وكان الشيخ ياسين ابن أخيه ويقيم في حجره، فربّي في كفالتة وقرأ عليه وعلى غيره من المشايخ، ودخل مصر والشام في حياة عمه وقرأ على جماعة من المشايخ، فلما توفي عمه بالمدينة المشرفة سنة ثمان وخمسين تولى وظائفه وأكثر مكاسبه إذ كانت ابنته تحته،

(1) الصافات: 181-182.

(2) الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الشافعي الأنصاري، الخليلي، فقيه مصنف، كان متمكناً من علوم كثيرة لا سيما الفقه والحديث، جاور بالمدينة وتولى الخطبة والتدريس بالمسجد النبوي مدة، توفي سنة 1086 هـ: خلاصة الأثر 4: 493. النقاط الدرر، ص: 123. نشر المثنائي 2: 382.

# موسوعة أعلام المغرب

تنسيق وتحقيق  
محمد حبيبي  
أستاذ التاريخ بجامعة محمد الخامس سابقا

الجزء الخامس  
1101 . 1150 هـ



# نشرُ المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الحبيب القادري

القسم الثالث

تحقيق

محمد هبّي أحمد التوفيق

مع

تذكرة المحسنين  
بوفيات الأعيان وحوادث السنين  
لعبد الكبير الفاسي

## العشرة الأولى من المائة الثانية عشرة

### العام الأول منها

ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري

فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني، أصله من شهرزور من جبل الكرد (1). وفي القاموس شهرزور مدينة زور بن الضحاك. وقال في زور إنه ملك بنى شهرزور انتهى.

وقال عبد الحق في اختصار اقنباس الأنوار للرشاطي: شهرزور نهر من بلاد أذربيجان. ثم قال وأنشدنا الفقيه الحافظ أبو علي الصديقي قال: أنشدنا أبو محمد السراج لنفسه:

وعسدت بأن تزوري كلَّ شهر  
وتسقىً بنينا نهر المعالي  
فزوري قد نقضى الشهرُ زوري (2)  
إلى البلد المسمى شهرزور  
وشهر صدودك المحتوم صدق  
ولكن شهر وصلك شهرُ زور (3)

قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في فهرسته في حق صاحب الترجمة ما نصه: نشأ ببلده وقرأ هنالك ومهر في المعقولات والعربية، ثم قدم بغداد وأقام بها ثم ارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة طالبا طريق الإرادة على يد الشيخ صفى الدين أبى العباس أحمد القشاشي، وإليه ينتسب في الطريق وهو الذى أقام بزاويته بعده. وتوفى في ثامن (4) وعشرين من رجب سنة إحدى ومائة وألف، ودفن بزاويته بالمدينة المشرفة. وولد سنة خمس وعشرين وألف. وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى. ومن مؤلفاته: تكميل التعريف لكتاب التصريف؛ وحاشية شرح الأندلسية للفيصري في العروض؛ والنبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس؛ والجواب العتيد لمسألة (5) أول واجب ومسألة التقليد؛ وضياء الصباح في شرح بهجة الأرواح؛ وأجوبة في مسألة تقبيل اليد (6) والمصافحة خلف الصلوات؛ والمتممة (7) للمسألة المهمة؛ والقول الجلي في تحقيق قول

(1) في س: الكراد.

(2) صحف هذا البيت في س. فكتب سطره الأول: وعدت تزور كل شهر

(3) سقطت الأسباب كلها من ط.

(4) في س: مان

(5) في س: في مسألة

(6) في س: تقبيل الله وهو تصحيف.

(7) في ط: المتممة.

الإمام زبد بن علي؛ وتحقيق التوفيق بين كلام أهل الكلام وأهل الطريق؛ وقصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل؛ وشرح العقيدة المسماة بالعقيدة الصحيحة؛ وإشراق الشمس بمعرفة (8) شرح الكلبيات الخمس؛ وبلغه (9) المسير إلى توحيد العلي الكبير؛ وعجالة (10) دوى الاشباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ والفول المبين في مسألة التكوين؛ وإنباه (11) الانباه عن تحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ وإضافة العلام (12) بتحقيق مسألة الكلام، والإلماع المحسط بتحقيق الكسب والتوسيط (13) بين طرفي إفراط وتفریط؛ ومسلك الاعتدال إلى فهم آية خلق الأعمال (14)؛ وإتحاف الذكي (15) بالتحفة المرسلّة إلى النبي، ومراقبة الصعود إلى صحة القول بوحدة الوجود؛ وغاية المرام في مسألة ابن الهمام؛ ونبراس الإيناس (16) بأجوبة سؤالات (17) أهل فاس؛ ومسلك السداد إلى مسألة خلق (18) أفعال العباد؛ وإمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب [أهل] (19) السلف، وغير ذلك. ويروي عن مشايخ كثيرين مذكورين في فهرسته، واعتماده على الشيخ الفشناشي [و] (20) الذي عول عليه في علم الظاهر وقرأ عليه ببلده وأكثر عنه هذا الشيخ الامام ملا محمد شريف بن ملا يوسف القاضي ابن القاضي محمود بن ملا كمال الدين الكردي الكوراني الشاهدي (21) الدويني (22) الصديقي. ويروي أيضا عن الشيخ سلطان المزاحي المصري والشيخ عبد الباقي الحنبلي والشيخ نجم الدين بن محمد بن الشيخ بدر الدين محمد ابن الشيخ رضي الدين بن محمد العامري الغزي ثم الدمشقي الشافعي وغيرهم. انتهى كلام صاحب الفهرسة المذكورة (23).

(8) في المخطوطات الثلاث: بتعريف

(9) في ك و س: نقله.

(10) في ك: علاجة.

(11) في ط: انتباه.

(12) في ط و س: العلم.

(13) في المخطوطات الثلاث: الكسب الوسيط.

(14) في ط: الأفعال

(15) في ك و س: الركيبي.

(16) في ك: الأنفاس.

(17) في ط: مسألة

(18) في ط و س: أخلاق.

(19) ساقط من س .

(20) ساقط من س و ك.

(21) في ك و س: الشناوي

(22) في المخطوطتين السابقتين: الرويسي.

(23) في م: انتهى كلام أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي.



وقد أغفل رحمه الله تعالى بيان مسائل شنيعة (24) معروفة عن صاحب الترجمة [ذكرها عنه أئمة عصره] (25).

فمنهما القول (26) بأن القدرة محدثة (27) تؤثر في أفعال العباد وأن قيدها بأفكار الله تعالى قدرها، وألف في ذلك ثلاث رسائل لنصرة قوله ورد على إمام الحرمين في ذلك قال الشيخ [قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى] (28) والذي يقطع به تنزيهه هو وغيره من الأئمة مما نقل عنهم من شبه ذلك، وأصل ذلك إنما صدر عنهم في مناظرة مجادلة لإفحام خصم قويته منافرتة للحق فاحتالوا لسوقه للحق بتدريج. والمعلوم عن إمام الحرمين كما في الإرشاد له تصحيح مذهب أهل الحق. ولما تمسك صاحب الترجمة بالقولة المذكورة وانتصر لها فوق في أمر شنيع فقيض الله من أهل عصره من انتصر للحق وبينه وأوضح برهانه.

[وقد انتصر الأئمة للرد عليه في ذلك منهم الإمام سيدي المهدي بن أحمد الفاسي وقد ألف رسالة في الرد عليه بما لا مزيد عليه] (29).

ومنها أنه ألف في تصحيح مسألة الغرائيق التي [يذكرها بعض في تفسير] (29) سورة النجم (30).

قال في النبذة: وسمعت أنه ألف تأليفا في شبهه المعدوم [ينتصر به للمعتزلة] (31) ثم سمعت أن له تأليفا في [آبه] (32) إيمان فرعون لعنه الله وكذا سمعت أن له تأليف متعددة في إحياء أمور أمثال هذه وندرتها في هذا الزمان الذي رق فيه الدين وعم الجهل والتقليد وعجمة الصدر وقلة اليقين واتباع كل ناعق انتهى. وتلطف أبو سالم عن أشياء نحو هذه نسبت إلى صاحب الترجمة وإلى شبخه القشاشي فدفعها عنهما فانظرها. وأما مسألة خلق الأفعال فقد ألف في الرد عليه فيها سيدي محمد بن عبد الفادر الفاسي وولد عمه الحافظ الضابط المتقن المحقق محمد المهدي بن أحمد الفاسي [صاحب الشروح الثلاثة على دلائل الخيرات وغيرها من التأليف المحققة] (33) فألف كتابا سماه النبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق الأفعال الشهيرة، وقد أحاط بنقل كلام أئمة أهل السنة فيه وأحسن

(24) في ك: تسعت عليه

(25) لم يرد في ط.

(26) في ط: انه يقول.

(27) في ط: الحادثة

(28) في ك: قال الشيخ اليوسى.

(29) ما بين معقوفتين زيادة في ط

(30) في م و ط: الحج.

(31) زيادة في ط.

(32) ساقط من ط.

(33) زيادة في م

في الرد على صاحب الترجمة ونقل في إجماع الأمة على كفر من نسب الاختراع لغير الله وخرج ما نقل عن إمام الحرمين [في ذلك على أحسن وجه. والفصل في ذلك هو قول الشيخ السنوسي في شرح الكبرى ونصه: وما نقل عن إمام الحرمين] (34) من أن له قولاً بأن القدرة الحادثة تؤثر في الأفعال [لكن لا] (35) على سبيل الاشتغال (36) كما يقوله القدرية بل على أقدار قدرها الله تعالى فهو قول مرغوب عنه لا يصح القول به ولا تقليده [إن صح ذلك عنه] (37) لفساده قطعاً وعدم جريه على السنة عقلاً ونقلاً. ثم قال السنوسي: وأنا أعجب من القول الذي نقل عن الإمام كيف يصح أن يقوله مع ما أكرر في الإرشاد وغيره من الأدلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الأشعري ومبالغته في النكير (38) والنضليل لمن يعتقد أن للقدرة الحادثة أثراً مآ. انظر تمامه [في شرح الكبرى وقد نقله سيدي المهدي المذكور بتمامه مع نصوص الأئمة القاضية ببطلان ما ظهر من صاحب الترجمة وبين بدعته. وقد نصر قول سيدي المهدي المحققون من أئمة وقته كالشيخ الإمام أبي علي الحسن بن مسعود] (39) اليوسي، ومن جملة ما كتبه على الكراسة المشتملة على تأليف أبي عبد الله المهدي المذكور ما نصه: فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة والنبذة الموضوعات فالفيتها محتوية في مسائل الجبر والقدر على الجملة المقنعة لأهل البصيرة، بل الخلاصة الممتعة لكل طيب السريرة، فجازى الله جامعها خيراً لقد صدع عن الخبر اليقين غير ذي من، وأطلع الصبح المبين لذي عبنين وحرر ما يجب اعتقاده وقرر ما يضمحل به انتقاده، مع لطائف لأهل الإشارات تهون على النفوس الجموح ما عسى أن يطرقها من الاستبعادات (40) فما في هذه الكراسة هو الأمر المعول عليه والحق المرجوع إليه انتهى المراد منه. وكتب أبضاً بعض أهلنا إلى سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رسالة بعلمونه بقول صاحب الترجمة وبطلب أن يجيبهم مما فتح الله عليه في ذلك فأجابهم بما نصه ومن خطه نقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه. من الحسن بن مسعود اليوسي إلى السادات الفضلاء الفادة النبلاء الفقهاء النبيهين الأربسين الحسينيين الشريفين المنيفين أبي محمد سيدي العربي وأبي محمد سيدي عبد السلام ابني الطيب القادري الحسني والفقهاء النبیه سيدي المهدي بن أحمد الفاسي سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم وما ذكرتم فيه من نزول تلك النازلة الغريبة واستنجاكم إياي في الكلام عليها جزاكم الله تعالى خيراً في النصح لأنفسكم ولعباد الله نعالى وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئاً من تأليف ذلكم الرجل في درعة أوقفني عليها أستاذنا (34) زيادة في ط.

(35) لم يرد في ك و س.

(36) في ط. الاستقلال.

(37) لم ترد في ك و س.

(38) في ط: التعكير.

(39) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

(40) في ك. الاستبعادات.

أبو عبد الله ابن ناصر رحمه الله واستنهضني للكلام عليها فهمت تم وهبت (41) في عوائق، واليوم إن شاء الله أشتغل بها ونقرر ما هو الحق من الطريقة [الأشعرية] (42) ونتعرض إن شاء الله لكل ما احتج به على نحلته جملة وتفصيلاً، وقد انحنى لإحياء بدعة قد أمبتت منذ زمان، وتصدى لإثبات شرك الأفعال ثم لإثبات شرك الوسائط جملة نعوذ بالله منه ومن هفوته، وهي نزغة لم يجد الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والإمامة [وهكذا كان معظم البدع والنحل برزت واشتهرت على ألسنة رجال بعثت فيهم فقبلت منهم] (43) فتنحل إلى البدع نسأل الله السلامة من مثل ذلك وأن بجنبنا من كل بدعة وكتب عقب كلام سيدي الحسن اليوسي السابق على الكراسية [والرجل المذكور هو صاحب الترجمة أحد المخاطبين بالرسالة المذكورة فيما كتبه على هامشها بخطه: وممن انتصر للرد على صاحب الترجمة] (44) الإمام سيدي محمد بن أحمد الفسنطيني بما نصه:

الحمد لله الذي حرس سماء العلم بنجوم العلماء، وأرسى أرضه أن تميد بصحيح الرواية عن القدماء، وحفظ طريقه من كل شيطان رجيم، بكل ذي فهم سليم، قائم بالحق داع إلى الصراط المستقيم، فغدت سماء العلم بنجومها محروسة، وأرضه بجبالها مرصوفة، وطريقه بالداعي إلى الهدى مخصصة. وصلى الله على مولانا محمد القائل وما ينطق عن الهوى: بحمل الدين من كل خلق عُدُولُهُ، وعلى آله. وصحبه الذين أظهروا الدن وأبطلوا عنه شبه المضلين حتى سهل مطلبه وعذب مشربه. وبعد فقد طالعت الموضوع المسمى بالنبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة فوجدته اسماً طابق مسماه، ومؤلفاً نور الله قلب مؤلفه ومن شرك الشرك حماه، فلا غرو إن كان مهدياً لهداية الله له وتوفيقه إياه. ولقد حمى بسيوف براهينه حرمة التوحيد وحماه، وطعن بمشرفيات دلائله في نحر كل من رام أن يلغى الحق هوأه، وأحرق بنور بصيرته كل جهول لا يعرف منطق الحق ولا يصح فحوأه، فما اشتمل عليه ذلك الموضوع هو الحق الصريح الذي لا يعول إلا عليه، والمعتمد الصحيح الذي لا يلتفت إلا إليه، فما هو إلا كمباء السعادة وإكسير النجاة، والذي يرفع الله لمعتقه في الجنة درجات. فلا يعدل عنه ذو عقل سليم، بل من استولى عليه سلطان الهوى وغدا [يعقرب نفسه لسليم أي لمدمع] (45):

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم

اللهم أمتنا على توحيدك، واهدنا إلى سلوك سبيل نبيك، وامن علينا بما مننت به

(41) في ط: ذهبت.

(42) ساقط من ك.

(43) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س

(44) ما بين معقوفتين زائد في م وط.

(45) في ك: يعرف نفسه، وفي س: يعرض نفسه لسلم أي لمربع.



على أوليائك، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائك، وعلى آله وأصحابه خواص حضرتك وأصفيائك، وكتب محمد بن أحمد القسنطيني (46) ثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين بعد الألف انتهى من خطه.

والحاصل أن صاحب الترجمة ظهرت منه شنائع وبدع، وقوى عليه الرد في ذلك، وأجمع مشايخ فاس على الرد عليه، إلا أن منهم من اقتصر على الرد وبيان الحق فقط، ومنهم من شنع عليه حتى إنني رأيت بظهر الورقة الأولى من النبذة المسيرة بخط مؤلفها ما نصه: الحمد لله، بلغنا أن المشرفي المذكور بمحوه الذي ألف في المقالة المذكورة المردودة بهذا بعث نسخة من تأليفه ذلك لأهل تنبكتو من بلاد السودان فكتبوا له سورة الكافرون جواباً عن كتابه والله الموفق سبحانه. انتهى بنصه.

وأما مسألة الغرائيق فألف فيها صاحب الترجمة رسالة سماها *اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية*، وقد رأيتها ومضمونها الكلام على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال: (أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَا). القصة المشهورة عند المفسرين وصحح صاحب الترجمة حديثها، وهو حديث باطل وقصة موضوعة.

قال عياض في *الشفاء*: هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم [ومثله للبزار] (47) متصل. وقد نفى القصة غير واحد من حذاق المفسرين كأبي حيان والبرهان البقاعي وغيرهما، ولو سلم صحة حديثها جديلاً لكان خبر آحاد معارض بالقاطع وهو وجوب العصمة فلم تبق عبرة به.

والحاصل أن هذه القصة ليس لها وجه أصلاً وقد قام ببيان ذلك ورده وبسط شائعه بهذا وأزيد الإمام الأوحدي شيخ الجماعة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، فألف رسالة تعرض فيها لكلامه مفصلاً حتى لم يترك عليها غبار، وجزم ببطلانها، إلا أنه تلىف معه في العبارة كما فعل معه في مسألة الكسب السابقة، وذلك منه حرص على نفعه ورده إلى الحق بالطف إشارة وأبين عبارة وإطفاء للبدع قبل شيوعها، إذ بالملاحة تزيد شيوعاً واشتهاراً فببتلى بها ضعفة اليقين مع أنه بين ما في ذلك من المنع والاستحالة ولم يلن له عند المسارة بل غلظه عليه ولم يسامحه في شيء مما يستدعيه المرام ويقتضيه المقام حتى زال الوهم والربن، ووضح الصبح لذي عبنين. وقول شيخ شيوينا أبي عبد الله المسناوي: وكان رأي شيوينا فيه أي في صاحب الترجمة مختلفاً في كيفية الرد عليه، فمنهم من سلك مسلك الملاطفة والشفقة، ومنهم من سلك مسلك الغلظة والرد والزجر ليعترف بفدره

(46) في م: القسمطبي.

(47) زيادة في م.

وما أدب به من كلامهم. وأما رد كلامه فقد اتفقوا عليه بأنه بلغ من الشناعة والبشاعة والخروج عن السنة غاية ذلك. وأما تناء صاحب الرحلة عليه، بعني أبا سالم العاشي، وتناء غيره عليه من الأئمة ممن ألف الفهارس وغيرهم فالمقام يقتضي ذلك، إذ ليس ذلك المقام مقام الرد والبحث عن القدح والتجريح والتعديل وبيان من تكلم أو اتهم أو رمي بشيء من البدع وتحقيب المسائل وإنما هو عد الأشياء وذكر أسانيدهم ومروياتهم وأشخاصهم ومؤلفاتهم. وقد طلب القاضي عياض مع جلالته من الزمخشري الإجازة مع اشتهاار اعتزاله وبدعته وتعصبه، وفي رجال الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الصحيحة المحتج برجالهم فإنهم قد خرجوا عن كثير من المبتدعة غير ما رووا من بدعتهم واحتجوا بهم وقد ترجم لهم الأئمة وأثنوا عليهم بالحفظ والضبط وبينوا بدعتهم فبنحط من روابتهم ما رووا مما هو دعي إلى بدعتهم، ومن الشيوخ من كان لا يبين ما رمى به بعضهم بل ينفر عن مطالعة كتابه وكلامه ويحذر من النظر فيه وكذلك فعل بعضهم بمن رمى من الصوفية وكان يقول إن فهمه قبيح وكلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد والله أعلم بحقيقة حال ذلك (48) ونحو هذا، ذكره الشيخ زروق وغيره في كتب الحاتمي وما ضاهاها فإنه قال في كتابه عدة المريد لما تكلم في تقسيم العلوم وذكر علم التصوف والأحوال وأن أعلى ما يطالع كتب ابن عطاء الله وما نحا نحوها ما نصه: وأما كتب الحاتمي وما جرى مجراها فلها رجال، لهم في الحقائق مجال، وعندهم في التمييز مفال، فلا يشتغل بها في البداية إلا غوي، ولا في النهاية إلا خلي، ولا في التوسط إلا ذكي يأخذ ما بان رشده ويسلم ما وراء ذلك ليسلم من آفاته، وقد أولع بها قوم فضلوا وأضلوا وفارقوا العمل بما توهموه فزلوا، وربما ادعوا بما فهموه وتنسموه حالا لأنفسهم فافتضحوا بشواهد الأحوال كما قل:

مَنْ تَحَلَّى بِحُلِيَّةِ لِبْسِ فَهْ كَذَّبَتْهُ شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ

ولما تكلم في قواعد علي ما حذر الناصحون منه من الكتب جملة وعلى ما حذروا من مواضع منه ذكر أن من جملة أمثلة القسم الأول كتب الحاتمي كلها أو جلها الفتوحات وغيرها، فانظر ذلك فيه إن شئت. ونقل شيخ شيوخنا المحقق محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه مرآة المحاسن في الفصل التاسع من الباب الأول أن والده المذكور كتب في رسالة كتبها لبعض أصحابه: ولم تزل تطالع كتب ابن عطاء الله وما شابهها لأنها أقرب للتعريف والجمع على الله، ودع ما سواها ككتب الشيخ الحاتمي والشيخ ابن الفارض لأنها تسد عنك باب الفتح.

وقال المناوي في ترجمة الشيخ عمر بن الفارض من طبقات الصوفية بعد أن ذكر

(48) ورد ما تقدم بعبارة مخالفة في م نصها:

أوقال الشيخ شيوخنا أبو عبد الله المسناوي في كتابه الذي سماه جهد المقل الفاصر في نصرة الشيخ عبد القادر ما نصه. وكان رأي شيوخنا فيه، أي صاحب الترجمة، مختلفا. فمهم من كان على مذهب صاحب الترجمة وقد أجاز لغير واحد منهم، ومنهم من كان لا يرى ذلك بل ينفر من مطالعة كلامه ويحذر من النظر في تأليفه ويقول إن علمه قبيح وكأنه يعني كلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد.

جماعته ممن اختلف فيهم من الكفر الى القطبانية، وعد منهم ابن الفارض والحاتمي وابن سبعين ونلمذه الشنستري وغيرهم، ما نصه: والذي أذهب إليه وفاقا لبعضهم هو أنه يجب اعتفادهم (49) وتعظيمهم ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة وقول بعض جهابذة الفقه والأثر: لا يؤول إلا كلام المعصوم لا غيره وإن جل قائله فهو غير معبر، وقد ملأ ذلك القائل كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بالجمع بين الكلامين المتنافضين وتنزيل الخلاف على حالين متغارين انتهى باختصار وتلفيق.

وقال في ترجمة الشيخ الحاتمي: وأفوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ويرده قول الإمام النووي في بستان العارفين إنه يجب تأويل أفعال أولياء الله التي قد بنكر ظاهرها. قال النووي وإذا وجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق انتهى باختصار. وقال الشيخ زروق في آخر الباب السابع من قواعد: النوقف في محل الاشتباه مطلوب، أي التوقف فما لا يتبين وجهه من خير أو شر، ويبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن ويبنى عند موجه وإن ظهر معارض حتى قال ابن فورك رحمه الله: الغلط في إدخال ألف كافر أهون من الغلط في إخراج مومن واحد بشبهة ظهرت منه، ثم قال: وقال قوم: ما أدى إليه الاجتهاد جزم به، ثم أمر الباطن إلى الله تعالى، فمن ثم اختلف في جماعة من الصوفية فسردهم وذكر منهم من تقدم ذكره، ثم قال: وقد سئل شيخنا أبو عبد الله القوري وأنا أسمع فقليل له: ما تقول في ابن العربي الحاتمي؟ فقال: أعرف بكل فن من أهل الفن من ذلك، فقليل له: ما سألتك عن هذا. قال: اختلف فيه من الكفر إلى القبطانية. فقليل له فما ترجح؟ قال: النسليم. قلت لأن في التكفير خطرا، وتعظيمه ربما عاد بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهمات وموهماته، والله أعلم انتهى بتغيير ما وقال في بعض شروحه على الحكم العطائية: قلت لشيخنا أبي العباس الحصري: إنهم ينكرون على ابن العربي الحاتمي، فقال: والله إنه ليستحق الإنكار. لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو في السناديس انتهى (50). وقال في بعض آخر: ذكر لي أن النووي سئل عنه فقال: الكلام كلام صوفي، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون.

ووقفت على جواب للشيخ ولي الدين العراقي في المسألة مدار كلامه على أنه يتكلم في الكلام بما يعطيه ظاهره ولا يتعرض للقائل لاحتمال أن يكون مراده غير ظاهره أو تاب من ذلك قبل موته انتهى. وقال في شرح نونية الشنستري بعد نقله ما قاله شيخه القوري في ابن العربي من ترجيحه التسليم ما نصه قلت: وذلك لأن التعرض للتكفير مخطئ وبتعذر إثبات مزبته مع ما ظهر به مضر وعلى ذلك يحمل ما وقع من عز الدين بن عبد السلام من

(49) في س: اعتماده.

(50) هنا في ك طرة، نصها:

(جمع سداس وهو الطاق المفتوح في الميضة التي يتغوط فيه ويسقط في جوفه البول والغائط وسمى سنداسا لأنه يسد على الغائط والبول كما تسد الباب على ما يجعل في داخل جوفها).



إنكاره واعتقاده مخالف لإنكاره. انتهى باختصار وتلفيق مآ كلام [الشيخ المسناوي رحمه الله ونقلته بنمائه لما جمع من النقول المفيدة والفوائد العديدة سيما ما يتعلق بصاحب الترجمة وقصاري أمره أن يكون ممن ينحو منحاهم لو سلم من التصريح بالاعتزال، وقد نحا منحى طريق الحاتمي شيخه صفي الدين] (51) القشاشي وشبّخه الشناوي وكثير من المشاركة ممن هم من الطريقة الحاتمية.

### من حوادث السنة

#### استبدال النعال الصفر بالسود

ومن حوادث هذا العام [ما قيده بعضهم في ثاني وعشرين ربيع الأول نهى السلطان مولاي اسماعيل عن لبس السباط الأسود ومنعه في سائر أقطار المغرب وأمر] (52) الناس بلبس السباط الأصفر وترك لبس السباط الأسود فتركوه، وأما ما يزعم بعض الناس أنه إنما أحدث لبس السباط من زمن استيلاء النصاري على العرائش فلما أخذت أحدثوا لباس السباط الأسود حزنا عليها، والذين أحسنوه هم أهلها الذين أخرجوا، وتبعهم الناس في ذلك ليس بصحيح ومما يجزم ببطلانه أني رأيت سباط الولي الصالح سيدي علي الصنهاجي شيخ المجذوب وزمنه أقدم من استيلاء العدو على العرائش بكثير وهو أسود عند قوم يتبركون به مذخر عندهم [إلا أن يكون في الأصل غير أسود وأسود بطول الزمان] (53).

#### خروج ركب الحاج ومعه الحسن اليوسي

وفي عشرين من جمادى الثانية خرج ركب الحج ومعه سيدي الحسن بن مسعود اليوسي بقصد [الحج] (54) وجهه إليه أمير المؤمنين.

#### عزل القاضي العميري عن فاس

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان عزل القاضي سيدي سعيد العميري عن قضاء فاس العليا وولى مكانه سيدي عبد الواحد (55) البوعناني.

#### شق جوف امرأة عليلة بمكناس وشفائها

ومن العجب [ما رأيته مقيدا بخط بعضهم والله أعلم بحقيقته:] (56) أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس شق جوفها فعالجها بعض الأطباء وأخرج منه علة ووزن فيها خمسة وثلاثون رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك وشفيت من علتها وكان ذلك في هذا العام.

(51) ما بين معقوفتين زائد في ط

(52) ما بين معقوفتين مستدرك أيضاً من ط.

(53) زائد كذلك في ط.

(54) زيادة في م. وفي الحوليات.

(55) في ط: عبد الله.

(56) إضافة من ط

كِتَابُ

النَّفْطَا الدَّر

وَمُسْتَفَادُ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ  
مِنْ أَخْبَارِ وَأَعْيَانِ الْمَاءِ الْحَادِيَةِ وَالثَّانِيَةِ عَشَرَ

لِمُحَمَّدِ بْنِ الطَّيِّبِ الْقَادِرِيِّ

١١٢٤ / ١١٨٧ هـ

تَحْقِيقُ

هَاشِمِ الْعُلُوِي الْقَاسِمِيِّ

منشورات دار الإفاق الجديدة بيروت



## العشرة الأولى بعد مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام/

(٢٧٤) / العام الأول منها: عام واحد ومائة وألف  
٣٨٩ - وفي ثامن<sup>(١)</sup> وعشرين من رجب [سنة إحدى ومائة  
وألف<sup>(٢)</sup>] توفي «أبو اسحاق ابراهيم بن حسن الكوراني<sup>(٣)</sup>» المدني  
الكردي، أصله من: «شهرزور» من جبال الكرد، قرأ ببلاده ومهر في  
المعقولات والعربية، ثم قدم بغداد ثم ارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر ثم  
إلى الحجاز وأقام بالمدينة طالباً الطريق على يد «صفي [الدين]  
القشاشي<sup>(٤)</sup>»، ودفن بزاويته بالمدينة. وولد سنة خمس وعشرين وألف،

(١) ثامن: م قطعت بالحرم.

(٢) في النسخ ف، ر، خم: فيه.

(٣) ابراهيم الكوراني: عالم اسلامي كبير، وشيخ صوفي مشهور. له مؤلفات عديدة وصل بعضها إلى المغرب  
مثل «مسلك السداد في مسألة خلق افعال العباد» وله ثلاث رسائل في نفس الموضوع، وقد ناقش  
علماء المغرب آراءه وخاصة الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ اليوسي، كما دافع عنه العياشي في  
رحلته. وكانت طريقة الكوراني هي الطريقة الصوفية النقشبندية وعنه أخذها العياشي.  
انظر النشر ١٣٠/٢ - ١٣٦. العياشي: الرحلة ١/٣٢٠، ١/٣٩٨، ٤٠٦. الصفوة ص ٢١٠.  
الزركلي: الاعلام ١/٢٨. محمد المسناوي جهد المقل القاصر في نصره الشيخ عبد القادر (مخطوط خاص)،  
محمد الطيب الفاسي: المسح البادية (مخطوط خاص).

Brock (G.A.L.) S.2, P. 520.

M. Bencheneb: Idjaza, P. 60-63.

(٤) في النسخ: ف، ر، خم: الصديق القشاشي. والأصوب ما أثبتناه.  
انظر ترجمة: ٢٤٣.

وله مؤلفات كثيرة إلا انه انكروا عليه البعض منها التي بلغت للمغرب: كمسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد « وما في معناه مع أشياء قبيحة نسبوها له منها قوله: إن القدرة الحادثة لها أثر في أفعال العباد، وإن قيدها بإقرار الله قدرتها. وألف في ذلك ثلاث رسائل: ومنها ألف في مسألة تصحيح الغرائيق<sup>(١)</sup>. التي هي مذكورة في تفاسير سورة «النجم»<sup>(٢)</sup>، وانه ألف في شيئية المعدوم، وانه ألف في صحة إيمان فرعون لعنه الله.

وقد ألف العلماء في الرد عليه وقيّدوا منهم الضابط الحجة سيدي محمد<sup>(٣)</sup> بن عبد القادر الفاسي « فله تأليف<sup>(٤)</sup> في مسامرة كلامه والرد عليه وإلزامه الشنائع. وكذا ولد عمه الشيخ المتقن الضابط الحجة سيدي المهدي<sup>(٥)</sup> بن أحمد الفاسي فألف في الرد عليه كتاباً سماه « النبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق الأفعال الشهيرة »، وقد نصره في الرد عليه أئمة وقته كالإمام أبي علي اليوسي قائلاً في بعض مقدماته في شأن ابراهيم المذكور نعوذ بالله منه ومن هفوته، وهي نزعة لم يجد الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والأمانة». ١. هـ. ومن خطه نقلت. وكذا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف فقد شنع على ابراهيم المذكور ورد عليه رداً حسناً. وأجمع مشايخ فاس على الرد عليه. إلا ان منهم من اقتصر على بيان الحق بتلطف، ومنهم من شنع عليه.

(١) الغرائيق: يزعمون انه وصف جميل لآلهة العرب عن طريق الوحي. وقد بحث قضية الغرائيق من طرف الباحثين، وانتهى البحث إلى نقضها ورفض نسبتها إلى الوحي او إلى النبي، ولزيد من التوضيح انظر الدكتور رمزي نعاية: الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ٣٨٧ - ٣٩٤ طبعة دمشق - بيروت ١٩٧٠.

(٢) سورة النجم: سورة مكية (٥٣) عدد آياتها ٦٢. والآية التي طرحت مشكلة « الغرائيق » هي آية ٢٠ «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى».

(٣) انظر ترجمة ٤٣٩.

(٤) انظر النشر ١٧٣/٢.

(٥) انظر ترجمة ٤١٢.

ورأيت منقولاً عن أهل « تنبكتوا » لما بلغتهم بدعة الرجل يستدعيهم لها، كتبوا له عليها سورة الكافرون جواباً عن كتابه، وقد اشفى الغليل في هذا الرجل شيخ شيوخنا الإمام الحجة « أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي<sup>(١)</sup> » الدلائي في كتابه<sup>(٢)</sup> المسمى: « مجهد المقل القاصر<sup>(٣٧٥)</sup> » في نصره الشيخ عبد القادر ».

العام الثاني: عام اثنين ومائة وألف.

٣٩٠ - [وفي عام اثنين ومائة وألف<sup>(٣)</sup>] توفي الشيخ العلامة الشهير « محمد ابن عبد الله الخرشى<sup>(٤)</sup> المصري » صاحب الشرحين الكبير والصغير على مختصر خليل، وللناس إقبال عليها. وأخذ عن الشيخ « علي الأجهوري » والشيخ « ابراهيم اللقاني » وغيرها. ورهطه يدعون بأولاد صباح الخير وكان ورعاً زاهداً متقشفاً متعقفاً مدرس المالكية بالأزهر، وله شرح على صغرى الشيخ السنوسي، وقد راسل سلطان المغرب في وقته بكتاب<sup>(٥)</sup> يهنئه بفتح العرائش ومجازيه بالدعاء على

(١) انظر ترجمة ٤٨٧.

(٢) فقد لحص فيه موقف علماء المغرب من آراء ابراهيم الكوراني، لكن المسناوي يظهر معتدلاً في نقده يحاول ان يقف موقف الحياد.

انظر المقل القاصر، ورقة ٧ مخطوط خع.

(٣) في النسخ (ف، ر، خم) = وفيه.

(٤) محمد الخرشى: ولد عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م، تولى مشيخة الأزهر إلى وفاته، وكانت بينه وبين السلطان مولاي اسماعيل مراسلة يتحدث فيها عن اهدائه للسلطان نسخة من شرحه لخليل في الفقه المالكي، ويهنئه بفتح وتحرير مدينة العرائش عام ١١٠١ هـ. وقد أورد القادري في النشر مقتطفات من هذه المراسلة. أما شرحه على خليل فقد طبع بالمغرب ومصر، وقد اعتنى المغاربة والمشاركة بالتحشية عليه، وله غيره. وأصح الروايات في تاريخ وفاته، ما ذكره المؤرخ « أحمد جلي عبد الغني » في كتابه « أوضح الاشارات » حيث قال « انه توفي في ٢٧ حجة ١١٠١ هـ / ١ أكتوبر ١٦٩٠ م. شيخ الاسلام والمسلمين عمدة أهل اليقين.. الذي كان له في العلوم غاية البطش » وهذه الرواية تكاد تتفق معها رواية « محمد الطيب القاسي » في فهرسته.

انظر النشر ١٣٧/٢ - ١٤١. الصفوة ص ٢٠٥. المجوي: الفكر السامي ١١٧/٤. أحمد جلي: عبد الغني: أوضح الاشارات ص ٢٠٩. الجبرقي: تاريخ عجائب الآثار ١١٣/١. هدية العارفين ٣٠٢/٢. الزركلي: الاعلام.

Brock (G.A.L.):

(٥) انظر مقتطفات من هذه المراسلات في نشر الثاني ١٣٧/٢ - ١٣٨.

## العام التاسع: عام تسعة ومائة وألف.

٤١٢ - وفي تاسع شعبان عام تسعة ومائة وألف توفي الحافظ المحقق الصوفي المشارك «أبو عبدالله محمد المهدي»<sup>(١)</sup> بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي «رأس في العلم والعمل والزهد والورع، أخذ عن عمه الإمام أبي محمد عبد القادر، وعن خاله الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد الفاسي، وعن الشيخ حمّدون المزوار، والقاضي ابن سودة»<sup>(٢)</sup> [ومحمد بن أحمد الزموري، وأبي العباس بن جلال وغيرهم وصحب العارف بالله سيدنا [محمد بن]<sup>(٣)</sup> محمد بن عبدالله معن، ثم بعده تلميذه الشيخ سيدي قاسم الخصاصي ثم بعده سيدنا أحمد بن [محمد]<sup>(٣)</sup> بن محمد بن عبدالله إلى أن مات. وألف كتباً منها: شروحه الثلاث على

---

وقبل «مطلب» السلطان العثماني، فإنما يعبر ذلك سياسياً عن التزام الطرفين للحدود المعنية منذ عهد مولاي «محمد بن الشريف». وقد أورد الدكتور محمد بن عبد الكريم الموضوع وتناوله بصورة اعلامية أكثر منها علمية.

انظر النشر ١٦٠/٢. الاستقصا ٨٧/٧. صلاح العقاد المغرب العربي ص ٧٣ ط القاهرة ١٩٦٢. محمد ميمون التحفة المرضية ص ٢٣ - ٢٤ ط الجزائر ١٩٧٢. الزباني: الروضة السليمانية ورقة ١٠١. انظر ص ٣٣ هـ ٢.

H. Terrasse: Histoire du Maroc, P.2, P. 259.

Ch. A. Julien: Histoire de L'Afrique du Nord T. 2, P. 232-233

Dufontin-Mazange: Le Grand Ismail, P. 98

Abdellah Laroui: Histoire de Magreb, P. 255.

L'établissement des Dynasties des chérifs au Maroc P. 205 Par August Cour, Paris 1904.

(١) محمد المهدي الفاسي: عالم متخصص في تاريخ التصوف المغربي والانساب والتراجم، له مؤلفات كثيرة جعلها في مجال تخصصه السابق مما جعله المؤرخ الأول للمدرسة الصوفية الشاذلية وفروعها بالمغرب الأقصى. ولد بالقصر الكبير في ٢٩ رجب ١٠٣٣ هـ / ١٧ ماي ١٦٢٤ م. وتوفي بفاس في التاريخ الذي ذكره القادري. والذي يوافق ٢٠ فبراير ١٦٩٨ م.

انظر النشر ١٦٠/٢. محمد الأخضر: الحياة الأدبية في العهد العلوي ص ١٣٨ وهامش (١). التازي: جامع القرويين ٧٩٦/٣.

(٢) في نسخة (م) بياض.

(٣) محمد: في جميع النسخ (م، ف، ر، خم) اثبت فيها اسم «محمد» مرتين، والأصوب اثباته مرة واحدة فقط، اعتماداً على ما جاء في الترجمة (٤٥٤) من التقاط الدرر، وما جاء في نشر الثاني المطبوع ط/١٦١، ١٨٢/٢، وكذلك النشر المخطوط بجم رقم ٩٨٣٧، حيث يصير النص الصحيح «سيدنا أحمد بن محمد بن عبدالله معن».

دلائل الخيرات<sup>(١)</sup>، ومنها تأليفه في السير الثلاث<sup>(٢)</sup>، والدرة الغراء في وقف القراء، واللمعة الخطيرة في مسألة أفعال العباد الشهيرة، التي رد بها على ابراهيم الكردي الذي أثبت في رسائله الأثر لفعل العباد، وممتع الاسماع في مناقب الجزولي ومن له من الاتباع، والالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع، وتحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية، والجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية. وروضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية، وداعي الطرب باختصار أنساب العرب.

وهذه التآليف كلها وقفت عليها واستفدت منها ما قدر لي، وله تأليف آخر منها «الرصاص المطفية في الذب عن أهل المخفية»، رأيت كراسة كبيرة منه بخط مؤلفه، وغالب ظني انها جلّه، وله تأليفان في مناسك الحج كلها من الجودة بكان.

وولد عام ثلاثة وثلاثين وألف ودفن بداخل قبة جده سيدي يوسف.

٤١٣ - وفي أول ربيع النبوي توفي العلامة المشارك القدوة البركة المدرس النفاع سيدي «أحمد<sup>(٣)</sup> بن العربي المعروف بابن الحاج» الفاسي ولادة ومنشأ، ولد عام اثنين وأربعين وألف، وكان من العلماء العاملين والصلحاء الواصلين. ولي قضاء<sup>(٤)</sup> فاس الجديد ودرس بفاس وانتفع به خلق. أخذ عن شيوخ مغاربة، منهم الشيخ ميارة الأكبر. ومشاركة لما

---

(١) ومنها الشرح الوسط على دلائل الخيرات، مخطوط خع ١٤٤ ك.

(٢) في السير الثلاث يعني كتبه «العقد النضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد» وسمط الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر «و» كفاية المحتاج من خبر صاحب اللواء والتاج والعراج». انظر الأخضر: الحياة الأدبية ص ١٣٩ وهامش ٩، ١٠.

(٣) أحمد بن الحاج: من قضاء فاس المشهورين، ذهب إلى الحج عام ١٠٧٨ هـ، وتولى القضاء بفاس في ٢٢ محرم ١١٠٥ هـ.

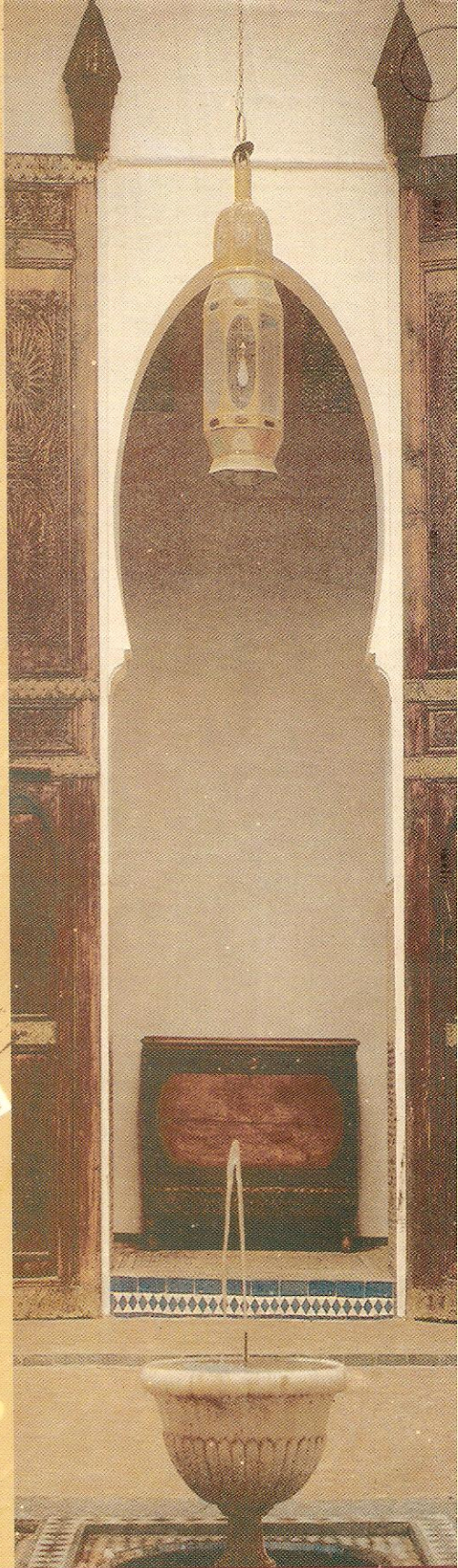
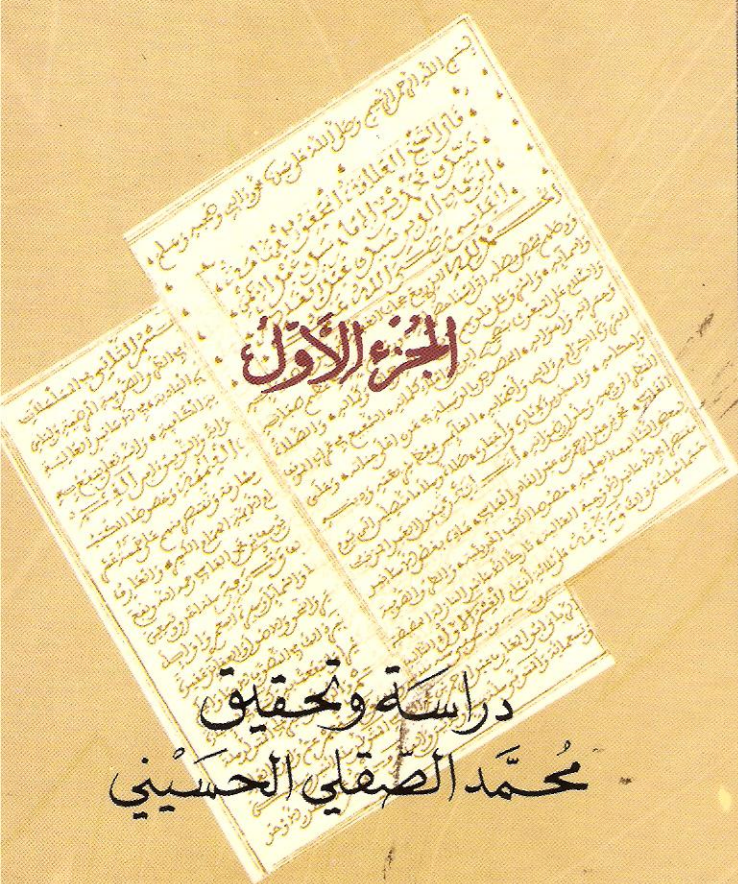
انظر النشر ١٦١/٢. الصفوة ص ٢٢٣. شجرة النور الزكية ص ٣٢٨. الفضيلي: الدرر البهية ٣٢٧/٢. أحمد الأخضر: الحياة الأدبية ص ١٣٦ (مع المصادر الحال عليها). محمد الطالب بن الحاج: رياض الورد (مخطوط خع رقم ٩٣٦ ورقة ٦١).



# المنهج البادية في الأسانيد العائلية

والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية

للأبي عبد الله محمد الصغير الفبايني  
(ت: 1134هـ)





**- الثاني عشر:** الشيخ عبد الباقي الزرقاني<sup>(1)</sup>، شارح مختصر خليل، المتوفى سنة

تسع وتسعين وألف، وهو يروي عن البابلي، والشبراملسي، واللقاني ومحمد الحموي<sup>(2)</sup>، والأجهوري، وغيرهم.

أجازني وكتب<sup>(3)</sup> ذلك بخطه.

**- الثالث عشر:** الفقيه المسن شيخ المالكية أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي<sup>(4)</sup>،

المتوفى سنة اثنين ومائة وألف.

وهو يروي عن والده عبد الله المعروف بنسبه بأولاد صباح<sup>(5)</sup> الخير، وعن الشيخ

إبراهيم اللقاني<sup>(6)</sup>، والشيخ علي الأجهوري وغيرهم. يموقد تكررت لي الإجازة منه.

**- الرابع عشر:** الإمام العلامة المحقق الصوفي، أبو العرفان ملا إبراهيم بن حسن

بن شهاب الدين الكردي، الكوراني، الشهرزوري [الشهراني]<sup>(7)</sup>، ثم المدني<sup>(8)</sup>، المتولد سنة خمسة وعشرين وألف، والمتوفى سنة اثنين ومائة وألف.

وهو يروي عن صفى الدين القشاشي، وتقي الدين عبد الباقي الحنبلي [البعلبي]<sup>(9)</sup>، ثم

الدمشقي، وملا محمد الشريف الشهرزوري الشاهوي<sup>(10)</sup>، والشيخ سلطان بن أحمد الشافعي

الأزهري، المتوفى سنة خمس وسبعين وألف، والبابلي ونبد الرحمن البهوتي، وعبد الملك بن

عبد اللطيف العباسي الهندي<sup>(11)</sup>، والشيخ محمد بن محمد الدمشقي، وملا محمد بن أبي سفيان

الحمارشي<sup>(12)</sup> البخاري ثم المدني، والشيخ عبد القادر / بن [مصطفى]<sup>(13)</sup> الصفوري<sup>(14)</sup> وعبد الكريم

بن أبي بكر هدية الله<sup>(15)</sup> الحسيني الكوراني، [الشاهوي]<sup>(16)</sup>، والفقيه نور الدين علي بن محمد

اليمني (التغزي العقبي الأنصاري، ونور الدين بن الديبع الشيباني اليمني<sup>(17)</sup> وعبد الكريم ابن

مطر<sup>(18)</sup> الحكمي اليمني<sup>(19)</sup> ونور الدين الشبراملسي، وزين العابدين الطبري، وأبي البركات عبد

(1) سبقت ترجمته.

(2) انظر خلاصة الأثر 459/3

(3) في (ب) كتب لي.

(4) سبقت ترجمته.

(5) في (ج): صاح وهو خطأ.

(6) المتوفى سنة 1041 هـ، انظر ترجمته في خلاصة الأثر 6/1، شجرة النور الزكية ص 291 (سبقت ترجمة ولده عبد السلام).

(7) من (ب) و (ج) وفي (أ): السمراني، والشهراني، نسبة إلى شهران بلدة من جبال الكرد، وبها ولد.

انظر الرحلة العياشية 321/1، عجائب الآثار 117/1.

(8) سبقت ترجمته.

(9) من خلاصة الأثر 283/2، وفي جميع النسخ: المعلي.

(10) ترجمته في الرحلة العياشية 287/2، خلاصة الأثر 280/4.

(11) روى عنه أيضاً مسند الحجاز حسن بن علي العجيمي (ت 1113 هـ) انظر فهرس الفهارس 812/2.

(12) ساقطة من (ج).

(13) من (ب) و (ج)، وفي (أ): المصطفى.

(14) ترجمته في خلاصة الأثر 467/2.

(15) في خلاصة الأثر 474/2: هداية الله.

(16) من (ب) و (ج)، وفي (أ): الشماهي، وما أتينا يوافق ما في خلاصة الأثر 2474.

(17) ذكر في خلاصة الأثر 193/3 أن الكوراني "قرأ عليه طرفاً من صحيح البخاري" سنة 1067 هـ في الروضة الشريفة.

(18) لعل الصواب: مطير، نسبة إلى بني مطير اليمنيين، انظر خلاصة الأثر 189/3.

(19) ما بين (أ) كتب في هامش (ج).

القادر الفاسي، والسيد علي بن محمد بن صالح<sup>(1)</sup> الحسيني، وإسحاق بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إسحاق بن إبراهيم، المعروف كسلفه بابن جعمان الصديقي الدوالي<sup>(2)</sup>، المكي، العدناني، اليمني الزبيدي<sup>(3)</sup>، وجعمان "بفتح الجيم، وسكون الهمزة لقب، جده الخامس عشر، واسمه عبد الله، وهو مخفف "جاع" "مان"، أي غلب، وسببه أنه اشتغل بالرياضة وجاع كثيرا فتعرض له الشيطان في ذلك فدفعه وغلبه، فقيل: جاع ومان الشيطان، أي غلبه. وعبد الله بن ملا سعد الله اللاهوري، ثم المدني<sup>(4)</sup>، المتوفى سنة ثلاث وثمانين وألف، وغيرهم.

وقد تكررت لي الإجازة منه مرارا ولولدي عبد الله.

**- الخامس عشر:** شيخنا أبو الأسرار حسن بن علي بن يحيى العجيمي<sup>(5)</sup> اليمني المكي الحنفي، المتوفى بالطائف سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وهو يروي عن أبي مهدي عيسى الثعالبي، والصفى القشاشي، وزين العابدين الطبري، وأخيه أبي الحسن، والبابلي، والديري، والنور علي بن محمد الديبع، بفتح الدال المهملة، وسكون المثناة التحتية، بعدها موحدة، وآخره مهملة.

[8- ب] ومعناه الأبيض بلغة النوبة<sup>(6)</sup>، والميموني، وابن سليمان [الروداني]<sup>(7)</sup>، وابن الغصين، وشيخنا المرباط الدلائي، وشيخنا أبي البركات عبد القادر الفاسي، وشيخنا الملا، ومفتي الحنفية بمكة السيد صادق بن أحمد بن بادشاه الحسيني<sup>(8)</sup>، وأبي الوفاء أحمد بن محمد [العجل]<sup>(9)</sup> بن عجيل، بضم العين المهملة، وفتح الجيم، اليمني<sup>(10)</sup>، وابن علان، و[الشنوبري]<sup>(11)</sup>، والشهاب [القليوبي]<sup>(12)</sup>، وغيرهم.

وقد تعددت إجازته لي مرارا، وكتب لي بخطه المسلسل بالأولية، وأجازني ولولدي عبد الله، ومن يتولد لي من الأولاد والأحفاد.

- 
- (1) في (ب) و(ج): صلاح.
  - (2) في خلاصة الأثر 395/1: الدوالي، بالبدال المعجمة، والنسبة إلى أحد الأجداد، واسمه: ذوال.
  - (3) ترجمته في خلاصة الأثر 394/1.
  - (4) قال الكتاني: "من أخيار الصوفية، اسمه عبد الله، وقيل سعد الدين، ولد ابن سعد سنة 985، وتوفي سنة 1083". انظر فهرس الفهارس 949/2، وانظر أيضا ج 495-167-166/1.
  - (5) في عجائب الآثار 123/1: العجمي، والصواب ما أثبتنا، وقد سبقت ترجمته.
  - (6) كتب في (ب) بعد (النوبة) كلمة (الديبع).
  - (7) في جميع النسخ: الروداني.
  - (8) توفي سنة 1079 هـ، انظر ترجمته في خلاصة الأثر 237/2.
  - (9) من (ب) و(ج)، وهي ساقطة من (أ).
  - (10) ولقب "العجل" به اشتهر المذكور وأسلافه، والصواب ضبطها بفتح العين، وكسر الجيم، انظر خلاصة الأثر 346/1.
  - (11) توفي سنة 1074 هـ، انظر ترجمته في خلاصة الأثر 346/1.
  - (12) من (ب) و(ج)، وفي (أ): القليوبي.



# فهرس المخطوطات العربية

المحفوظة في الخزنة العامة للكتب والوثائق بالمغرب

ص

القسم الثالث (1954 - 1957)

الجزء الاول

(1973)

ص

## رسالة في الإمامة وأحكامها

لأبي السعود عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي  
الفهري المتوفى عام 1091هـ/1680م.

أولها: الحمد لله الذي من اعتصم بحبله نجا وسلم.

في محفظة من ص 275 إلى ص 301، مسطرتها 21، مقياسها  
160/215.

خط مغربي متوسط به تلوين، خال من تاريخ النسخ والتأليف  
واسم الناسخ.

راجع ترجمة أبي السعود الفاسي في سلوة الأنفاس ج 1 ص  
314-309.

فيض الواهب العلي في جواب سؤال أبي الواهب  
الحنبلي

لبرهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني  
الشهرزوري الكوراني الشافعي المتوفى عام 1101هـ/1690م.

وهو يتضمن الجواب عما جاء في الآثار فيما يتعلق بالكرام  
الكاتبين هل ورد أنهم يكتبون الأدواء القلبية...

مبتور من الوسط.

أوله: الحمد لله علام الغيوب ...

في مجموع من ص 52 إلى ص 58، مسطرتها 25، مقياسه 160/210.

خط شرقي مليح ملون يتخلل أحد الصفحات تشطيب وإلحاق  
بالهامش بخط مغاير، قال مؤلفه: ... تم تسويده يوم الأحد سلخ ذي الحجة  
الحرام عام 178هـ.

توجد ترجمة المؤلف ومراجعتها في الأعلام للزركلي ج 1 ص 28.

3083 (2279 د)

-3-

مسلك الاعتدال الى فهم آية خلق الاعمال - تأليف : ابراهيم بن حسن الكوراني الكردي ثم المدني) الأنف الذكر .  
أوله : الحمد لله الذي هدى الى توحيد الافعال في عين اثبات الكسب للعبد باذن الله العزيز الحكيم ، الخ .  
في مجموع من ص 22 - 43 - مسطرته 22 - مقياسه 180/225 بخط مغربي وسط .  
ذكره البغدادي في ايضاح المكنون) ج 2 ص 479 - والقادري في (نشر المثاني) ج 2 ص 131 - وبروكلمان في ملحقه ج 2 ص 24/521 .

3084 (1771 د)

حاشية على (عمدة اهل التوفيق والتسديد، في شرح عقيدة اهل التوحيد) لمحمد بن يوسف السنوسي - تأليف : أبي علي الحسن بن مسعود اليوسفي المتوفى سنة 1102 هـ 1690 م .  
أولها : الحمد لله الذي أوضح معالم الدين وأنجح مقاصد المسترشدين ومنح هدايته أصفياه المهتدين الخ .  
ورقاتها 417 ، مسطرتها 23 ، مقياسها 160/210 مكتوبة بخط مغربي جيد ، ويوجد بها طرر على الهامش .  
ذكرها القادري في (نشر المثاني) ج 2 ص 146 - وبروكلمان في تاريخه ج 2 ص 250 وفي الملحق 2 ص 352 - راجع ترجمة المؤلف في (مؤرخو الشرفاء) لبروفنصال ص 269 .

3085 (1755 د)

-8-

جواب عن سؤال احمد بن ابراهيم العطار المراكشي عن دليل ابطال حوادث لا أول لها ، أي القسطل - للحسن بن مسعود اليوسفي المتقدم الذكر مع (تعقيب لأحمد بن محمد بن يعقوب الولايلي) المتوفى سنة 1128 هـ 1714 / 5م (وجواب المؤلف عليه) .  
أوله : سأل الاديب الاريب الحاذق اللبيب أبو العباس أحمد بن ابراهيم العطار المراكشي شيخ شيوخنا علامة الاعلام سيدي الحسن بن مسعود اليوسفي الخ .  
في مجموع من ورقة 153/ب الى 160/1 مسطرته 25 مقياسه 180/200 بخط مغربي لابأس به ، نسخه عبد السلام بن عبد المالك الوزاني من خط محمد بن الحسن البناني .

مَنشورات الخزانة العامة للكتب والوثائق

# فهرس المخطوطات العربية

المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط

المجلد السادس

الخزانة الكتانية-1

محمد المنوفي

طبعة أولى

2000 . 1999

3077 (2076 د)  
3

## نسخة أخرى منه

(مبتورة الآخر)

في مجموع من ص 365 - 545 مسطرتها 20 مقياسها 205/275 بخط مغربي جيد .

3078 (325 د)

حواشي على شرح السنوسي على أم البراهين لم يسم مؤلف الحواشي الذي لخصها من حواشي شيخه أحمد الغنيمي الانصاري المتوفى سنة 1044 هـ 1634 م وزاد عليها .

أولها : باسم الله ... الحمد لله الذي نطق بوحدايته لسان الكائنات السخ .

في مجموع من ورقة 129/ب إلى 233 ب مسطرتها 26 مقياسها 140/190 مكتوبة بخط مغربي ملون غير واضح ب : أصايبها بلل وبها أكل أرضة ، فرغ من نسخها ليلة 24 شوال 1119 هـ وهي بخط محمد بن علي الشريف ابن قصرية راجع ترجمة أحمد الغنيمي في (معجم المؤلفين) لكحالة ج 2 ص 132 وما بها من مراجع ، وسمى حاشيته (بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين) ، وبروكلمان ج 2 ص 329 والذيل . I ص 457 .

3079 (2279 د)  
2

(الاماع المحيط ، بتحقيق الكسب والتوسيط ، بين طرفي افراط وتفریط) - تأليف : ابراهيم بن حسن الكوراني الكردي ثم المدني المتوفى سنة 1101 هـ 1690 م - لخص فيه (الكشف والبيان عن مسألة الكسب بالايقان) ، لصفي الدين أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي المتوفى سنة 1071 هـ 1661 م وكتبه اجابة لطلب تلميذه أبي سالم العياشي المغربي .

أولها : الحمد لله الغني القريب الاقرب ، العلي الاعلى ، السخ .

في مجموع من ص 8 - 21 مسطرتها مختلفة مقياسه 180/225 بخط مغربي وسط ، كمل تسويده في رجب الفرد سنة 1073 هـ بظاهر المدينة المنورة .

نكره المرادي فهي (سلك الدرر) ج 1 ص 6 والبغداد في (هدية العارفين) ج 1 ص 35 - والقادري في (نشر المثاني) ج 2 ص 131 ، وكذا أبو سالم العياشي فقد أورده بخصه في رحلته (ماء الموائد) ج 1 ص 429 - 443 ولم يذكره بروكلمان .

# فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية الجزء الأول

إعداد محمد القادري  
بالاشتراك مع :  
أحمد أيت بلعيد و عادل قيبال

فهارس - 1

سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي حرفا حرفا ولم يسلم منه ولو حرف تبعا لأئمة السنة والجماعة المتقدمين والمتأخرين". ثم وجدت اسمه في "شجرة النور الزكية" لابن مخلوف ص. 329 في ترجمة محمد بن عبد القادر الفاسي: "...ورسالة بديعة في الرد على الشيخ إبراهيم الشهري".

#### مصادر الفهرسة:

ناصر السويديان، مداخل المؤلفين و الأعلام العرب، ص. 472  
الزركلي، الأعلام، مج. 1، ص. 35  
كحالة، معجم المؤلفين، مج. 1، ص. 19  
إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون، مج. 1، ص. 79  
إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، مج. 1، ص. 32  
أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ص. 47  
عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج. 1، ص. 166

#### 250 — رقم المخطوط : 17 / 333

##### الاستثناء في كلمة الشهادة

لهلالي، أحمد بن عبد العزيز بن رشيد (ت. 1175 هـ = 1761 م)

##### أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم ..... قال الشيخ..... أبو العباس سيدي أحمد بن علي عبد العزيز الهلالي السجلماسي ..... الحمد لله وصلواته وسلامه على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تلاه وبعد فقد سئلت عن الاستثناء في كلمة الشهادة أهو متصل أم منفصل أم قابل للأمرين باعتبارين

##### آخره :

إلى علم النحو وإلى علم الأصول كما دل عليه كلامهم ..... قلت هو المنقطع قطعاً لأن المركب من البعض وغيره ..... وإنما وقفت عليه في استعمال بعض المؤلفين وذلك لا يدل على جوازه في اللغة فإن ثبت جوازه فيها فلا شك في انقضائه كما اتضح به ما تقدم من القسطاس المستقيم و الضابط الأقوم والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى

— 8 ورقات، 23 س خط مغربي ق. — 150 × 210 م

##### ملاحظات :

— تتوفر المؤسسة على نسختين واحدة في مجموع برقم 31/2 والثانية برقم 222

— 7 ورقات، 21 س خط مغربي ق. — 180 × 230 م

##### مصادر الفهرسة :

ناصر السويديان، مداخل المؤلفين و الأعلام العرب، ص. 266  
بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مج. 6، ص. 603 - 685

الزركلي، الأعلام، مج. 3، ص. 301  
كحالة، معجم المؤلفين، مج. 2، ص. 82  
حاجي خليفة، كشف الظنون، ج. 1، ص. 187  
أحمد الشراوي إقبال، مكتبة الجلال السيوطي

#### 249 — رقم المخطوط : 1 / 414

##### الإلماع المحيط في مسألة الكسب

الكوراني، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم (ت. 1101 هـ = 1690 م)

##### أوله :

هذه الرسالة مسماة بالإلماع المحيط للشيخ الراشح والجيل الشامخ ملا إبراهيم الشهري في مسألة الكسب. الحمد لله الغني القريب الأقوى العلي الأعلى بالذات بين الكمالات المتقابلات. وله الحمد في الآخرة والأولى، أحمده على أن من علينا بالإيمان

##### آخره :

وأما ما ذكروه من العقليات على نفي تأثير قدرة العبد بالكلية فليس شيء منها لازماً. ثم تسويده ليلة الأربعاء رجب سنة ثلاث وسبعين وألف هـ بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل. ووقع الفراغ من نسخه أثناء ليلة الأحد 23 ربيع الثاني 1313 هـ على يد عبد ربه وأسير ذنبه أحمد بن محمد المهدي بن العباس بن صابر البعزاوي

— 6 ورقات، 31 س خط مغربي ق. — 170 × 230 م

الناسخ : أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس بن صابر البوعزاوي الفاسي (ت. 1377 هـ = 1918 م)

تاريخ النسخ : 1313 هـ = 1895 م

##### ملاحظات :

— بعض الكلمات كتبت بمداد أحمر وأخضر  
— انتشار بعض النقوب بسبب الأرضة من نوع الحفار  
— كتب في طرة الصفحة الأولى ما يلي : "الحمد لله وحده. أخبرني شيخنا العلامة سيدي أبو عبد الله محمد المدني بن جلون كان الله له : إن هذا التأليف الذي يعد في مسألة أن القدرة الحادثة مؤثرة قد رده عليه العلامة

فيها أحاديث قد جاءت منوعة من أجلها كان للأقوال  
إنشاء  
وجمعها أن أهل الفوز كلهم في الشكل و الأبن أطوار  
وأنحاء  
آخره :

وما مكفول وجملتها لها اتصال بأجساد و إنهاء  
فإن يسلم (؟) على جسم لها سمعت وهي تولم إن مسته  
ضراء  
عوالم الروح فاعلم صنع مقتدر تباركت منه أوصاف  
وأسماء  
والحمد لله ختما و الصلاة على من منه كان لأهل  
الفوز إعلاء  
— 2 ورقات، 13 س خط مغربي ق. — 160 ×  
200 مم

ملاحظات :  
— لم نقف على الناظم

**276** — رقم المخطوط : 543 / 9  
جلاء الفهوم في تحقيق الثبوت و رؤية المعلوم  
الكوراني، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ( ت.  
1101 هـ = 1690 م )

أوله :  
بسم الله الرحمن الرحيم.....جلاء الفهوم في تحقيق  
الثبوت و رؤية المعلوم تحرير عبد الله إبراهيم بن  
حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني الشهرزوري  
الشهراني ثم المدني.....الحمد لله الذي أحاط بكل شيء  
علما....أما بعد فقد سألت أيدك الله تعالى بما ذكره  
بعض شارحي العقيدة المسماة ببده الأمالي للقاضي  
سراج الدين علي بن عثمان الأوسي الفرغاني عند قول  
المتن : وما المعلوم مرتباً وشيئاً من قوله وما المعلوم  
المستحيل و غير المستحيل

آخره :  
اللهم أنعشني واجبرني أمين سبحان ربك .....رب  
العالمين قال المؤلف.....تم تسويده يوم الثلاثاء الثامن  
و العشرين من ربيع الأول سنة (.....) وتم تحريره  
في مجالس آخرها يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى  
الأخرة

سنة (....) و الحمد لله رب العالمين  
— 28 ورقة، 22 س خط مغربي ق. — 150 ×  
210 مم

مصادر الفهرسة :  
ناصر السويديان، مداخل المؤلفين و الأعلام العرب،  
ص. 472  
الزركلي، الأعلام، مج. 1، ص. 35

**274** — رقم المخطوط : 349 / 4  
تنبيه المعرضين عن آيات السموات و الأرضين  
لقادري، عبد السلام بن الطيب بن محمد ( ت. 1110 هـ =  
1698 م )

أوله :  
تنبيه المعرضين عن آيات السموات و الأرضين  
سبحان من بقدرته قد أحكما \*\* عرشا وكرسيا و  
رضا وسماء

.....  
وهذه أرجوزة اعتبار \*\* مفيد لأهل الاستبصار  
في بدء خلق الأرض و السماء \*\* و العرش و  
لكرسي ذي السنا  
آخره :  
بيد الأمر ومنه الفضل \*\* وما لعبد قوة و حول  
تد صلاة و سلام و فيا \*\* على النبي و آله شبه الضيا  
مربان دون ما تناهى \*\* ما أمل الأمل فضل الله  
تنهى والحمد لله من نسخة من خط الناظم

— 8 ورقات، 18 س خط مغربي ق. — 150 ×  
200 مم

ملاحظات :  
— نسخت من نسخة عن خط الناظم

مصادر الفهرسة :  
كتني، سلوة الأنفاس، ج. 2، ص. 348 - 350  
محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر، ص. 275 -  
281  
سيرة أعلام المغرب، ج. 5، ص. 1847 - 1869  
التحضر، الحياة الأدبية في المغرب، ص. 142 -  
143  
عبد الله، مؤرخو الشرفاء، ص. 195 - 197  
عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج. 2، ص. 774 -  
775

في نسخي، معجم المطبوعات المغربية، ص. 281  
في نسخي، الأعلام، ج. 4، ص. 5

**275** — رقم المخطوط : 315 / 14  
تجويد اقتراج في تنعيم الأرواح

أوله :  
تجويد اقتراج في تنعيم الأرواح...  
تد بدءا و الصلاة على من عمن منه في الدارين  
...  
... من فاز بالحسنى منعمة لها من الله إسعاد وإبقاء